مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج ٧ – ٨

صفر – رمضان / ١٤٠٠ هـ.

السنة الثالثة

كانون الثاني – تموز ١٩٨٠م.

المشتمل

تأهيل أعضاء هيأة التدريس للتدريس بالعربية

للدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

قرّر مجلس اتحاد الجامعات العربية ، أن يكون الموضوع الرئيسي للمؤتمر العام الرابع للاتحاد هو « تعريب التعليم الجامعي » ، فكان هذا القرار معبرا عن النتائج والتوصيات التي انتهت اليها المؤتمرات والندوات العربية حول تعريب التعليم الجامعي .

منذ حوالي ثمانية عشر عاما ، وعلى وجه التحقيق في المدة الواقعة بين الثالث الى العاشر من شهر ايار (مايو)سنة ١٩٦١ ، اجتمع ممثلو الدول العربية في حلقة لدراسة مشكلات التعليم الجامعي في مدينة بنغازي، وكان لي شرف المشاركة فيها ، وكنا اذ ذاك ، في الأردن ، نكافح من أجل تأسيس جامعة وطنية في بلدنا .

وقد صدر عن الحلقة توجيهات وتوصيات مهمة ، نتيجة دراسات موضوعية ، وبروح الانتماء الى امة واحدة ، تكوّن اللغة العربية الفصيحة مقوّما اساسيا من مقومات وجودها . واود هنا أن اقف عندبعض الاشارات فيما يتعلق بالتوصيات حول التعريب الجامعي ؛ فالاشارة الأولى تتمثل بالمبدأ ؛ اذ قررت الحلقة آنذاك أن التعريب وتدريس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية ، علاوة على انه ضرورة قومية .. الى ان تقول : « هذا الى أن الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلاّ اذا كانت تعلّم بلغتها ،

وتكتب وتؤلف بلغتها أيضا ... » (١) .

والاشارة الثانية التي أود أن اقف عندها أيضا ، هي اتفاق الحلقة بالاجماع على مبدا تعريب التعليم الجامعي والعالي ؛ ثم خلصت من ذلك الى توصيات تتناول وسائل التنفيذ . وها انذا أشير الى توصيتين من التوصيات الخمس ؛ فقد نصّت التوصية الأولى على مايلي :

« أنْ تسرع الجامعات العربية بتعريب التعليم في كلياتها المختلفة ..... ».وجاء في التوصية الخامسة ما يلي :

« العمل على توفير امّهات المراجع باللغة العربية ، وكذلك الدوريات العلمية ، واصدار المجلات الخاصة لنشر مختصرات عربية لكل البحوث الأجنبية المهمة » (٢) وتوالت المؤتمرات والندوات العلمية لدراسة مختلف مشكلات التعليم الجامعي والعالي وكان الراي دائما متّفقا على تعريب التعليم الجامعي والعالي في جميع كلياته .

ومنذ ذلك التاريخ أيضا تسارعت حركة تأسيس الجامعات في الوطن العربي ؛ ففي تلك الحلقة التي عقدت سنة ١٩٦١ ، لم يكن عدد الجامعات العربية المشتركة فيها يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدةإلاّقليلا. وفي الحلقة الثانية التي عقدت ببيروت سنة ١٩٦٤ ، شاركت سبعُ عشرة جامعة عربية من مختلف أرجاء الوطن العربي . وهكذا أخذ التعليم الجامعي يحتل مكانة حية في البناء الثقافي والاقتصادي في البلاد العربية، في دور تحرّرها من نير الاستعمار المباشر . فازداد عدد الجامعات

---

١ — انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ، الحلقتان الاولى والثانية ص ٥٣ — ٥٨ .

٢ — انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ، الحلقتان الاولى والثانية ص ٥٢ — ٥٨ .

العربية . وقد بلغ اربعين جامعة ، كما ورد في دليل اتحاد الجامعات العربية المنشور سنة ١٩٧٦ ...

ان وطننا العربي بحاجة شديدة الى اعداد اخرى كثيرة من الجامعات والمعاهد ومؤسسات البحث العلمي ؛ ولكنني اود ان اتساءل فيما اذا كانت المستويات العلمية والانجازات المبدعة قد سايرت هذه الحركة المباركة من الانتشار الأفقي في التعليم الجامعي والعالي في وطننا العربي، وهو يخوض كفاحا مريرا للتغلّب على مخلفات الاستعمار ، ومراكز نفوذه ، ومصالحه في مجال الثقافة والاجتماع، وكذلك في مجال الاقتصاد والسياسة ! .

لا شك أن المستويات العلمية العالية والانجازات المبدعة التي يجب أن يحققها التعليم الجامعي في الوطن العربي ما زالت بعيدة عن الواقع؛ وأن من أهم اسباب هذه النتائج ، هو التردد والتلكؤ حتى الوقت الحاضر في تعريب التعليم العالي والجامعي .

فاذا نظرنا الى جوهر هذه القضية الحيوية ، التي تتصل اتصالا عضويا بكيان أمتنا ونهضتها العلمية الاصيلة ، وجدنا انها تتوقف على عاملين اساسيين : العامل الأول هو سياسة الدولة وادراكها اهمية التعريب في بنيانها السياسي والاقتصادي والعلمي ؛ ولذا فان الدولة مدعوّة الى اتخاذ قرار في اعلى مؤسساتها التشريعية ، يجسّد ارادتها السياسية في تعريب التعليم الجامعي والعالي، في جميع ميادينه ومستوياته، وأن تكون العربية الفصيحة لغة العلم والتقنيات والحضارة الحديثة .

اما العامل الثاني ، فهو عضو هيئة التدريس ، بل الانسان المعلّم ، الركيزة الاساسية في بناء الأمة . فقد اصبح من البَدَهيّات القول ان التقدم يعتمد بصورة كبيرة على مميزات وقابليات اعضاء هيئة التدريس ، سواء أكانت مميزاتهم الانسانية ام التربوية والعلمية ام التقنية.

ونحن اذا اعتبرنا التربية حياة ونمواً ، تمتد بالانسان من المهد الى اللحد ، وتهدف دائما الى تطوير الشخصية الانسانية ، وتسعى الى التقدم الروحي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع ، نجد الانسان المعلّم محور هذه العملية . وان من عوامل هذا التقدم في مجتمعنا العربي استخدام اللغة القومية للتعبير عن جميع حاجاتنا الحضارية ، وعن حصيلة ما وصل اليه الانسان في جميع مجالات العلوم والتقنيات الحديثة . وسنقتصر في بحثنا هذا على جانب مهم واحد من جوانب هذه القضية الخطيرة ؛ وهذا الجانب يتمثل بكيفية تأهيل عضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، لكي يصبح قادرا على استخدام اللغة العربية في التدريس والتأليف والبحث .

ربما كان من المفيد ان ننطلق من واقعنا في الجامعات العربية ،لكي نستشرف المستقبل ، مستفيدين من تجاربنا وخبراتنا ، وكذلك من تجارب الأمم الاخرى التي سبقتنا في هذا المضمار .

فاذا أخذنا احصائية ١٩٧٦ ، كما وردت في دليل اتحاد الجامعات العربية ، وجدنا ان ثمّة أربعين جامعة عربية ، تفرّدت من بينها الجامعات السورية ، وعلى راسها جامعة دمشق منذ أكثر من خمسين عاما ، بتدريس جميع العلوم والفنون في مختلف الكليات الجامعية باللغة العربية ؛ وأن العلوم الانسانية قد سجّلت نجاحا كبيرا في التعريب في كثير من جامعاتنا ، وان كان الامر لا يخلو من نكسات مؤسفة ، لايمكن ان نجد لها مبررا في مجال العلم والمنطق والمصلحة الوطنية . أما من حيث اللغة العربية ، فاخالنا قد اتفقنا منذ زمن بعيد على ان القضية لا تتعلق باللغة العربية من حيث هي لغة ، ولكنها تتعلق بعوامل اخرى غريبة عن مصلحة الأمة ، كما هي غريبة عن لغتها وتراثها .

إن نظرة شاملة للكفايات العلمية العالية التي يتمتع بها كثير من

علمائنا من اعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية ، تشير الى تعدّد المصادر الثقافية والعلمية التي تشارك في التكوين العلمي والثقافي لكثير من هؤلاء العلماء ؟ فثمة أعضاء هيئة تدريس انهوا دراساتهم في جامعات أمريكية وروسية وبريطانية وفرنسية والمانية وايطالية ، فضلا عن الجامعات الأخرى من اسبانيّة ورومانيّة وبولونيّة ويوغوسلافيّة وغيرها . .

فاذا كانت الفترة الاستعمارية حتى الحرب العالمية الثانية وبعيدها بقليل ، قد جعلت مشرق البلاد العربية منطقة مغلقة على اللغة الانجليزية، ومغربها منطقة مغلقة على اللغة الفرنسية ، مع انعكاس هذا الوضع على لغة التعليم الجامعي وغيره ، فان هذا الأمر لم يعد قائما ، بل اصبح كثيرا ما يدعو للسطحية والسخرية . فكيف نطلب من خريج هذه الجامعات المشهورة في المانيا او روسيا او غيرها ان يدرّس باللغة الانجليزية ، مثلا ، معتمدا على ماتبقى عنده من تعلّمه في المرحلة الثانوية . . في حين يفترض فيه العجز سلفافي التعبير بلغته القومية التي رضعها مع لبان امه ، وتعلّمها وتعلّم بها في كثير من مراحل التدريس . . . . . ؟

بل قد يصل الأمر الى حال من السخرية عجيبة . . فكيف يمكن لهذا المدرس الجامعي الذي نال جميع شهاداته باللغة البولونية او الروسية او الالمانية،مثلا،ان يدرّس بالانجليزية !! ولكي يعيّن للتدريس بكلية تدرّس باللغة الانجليزية ، توفده هذه الجامعة او تلك الى بلد ناطق بالانجليزية لكي يعود ليدرس باللغة الانجليزية !. في حين تنكر عليه حقّ التعبير بلغته القومية التي نشأ وترعرع في أفيائها !!

نريد من هذه الاشارة العابرة أن نخلص الى القول إن مصادرنا في تكوين أعضاء هيئة التدريس في جامعاتنا باتت متعددة ومتنوعة ، وإن الحلّ الوحيد الذي لا ثاني له في مواجهة هذا الوضع هو جعل « اللغة العربية » لغة البحث والتدريس في جميع هذه الجامعات ، وبين جميع هؤلاء العلماء من أعضاء هيئة التدريس .

فاذا سلّمنا بالقيمة التي يشغلها الانسان من حيث هو محور كل عملية تربوية ، فان من اهم العوامل التي تُعيق الانطلاق في عملية « التعريب الجامعيْ » هي هذه الحرب النفسية التي تشنّها وسائل الاعلام المختلفة من الخارج والداخل ، تدعمها سياسات معيّنة تكون نتيجتها ايحاء عدم الثقة بالنفس ، وتكون العقدة أمام تفوق الاجنبي، فتنعكس هذه القيم على ضعف عضو هيئة التدريس باللغة العربية ، او كسله ، وهو المختص بمادته العلمية ، عن بذل الجهد في التعريب، واتصاله بالجذور التاريخية لهذه العلوم الحديثة ، من خلال التعرّف على نصوص هذا التراث العلمي . وربما دفعته هذه الحال من عدم الثقة بالنفس الى استعلائه على مواطنيه ، بهجره لغتهم الى التحذلق بكلمات وتعابير أجنبية .

ان القناعة بضرورة التعريب ، ووجود الدوافع الكافية بين أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي والجامعي ، من أجل بذل الجهد اللازم للتعريب ، شرطان اساسيّان لكي نضمن نجاح اي برنامج يهدف الى جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع مجالات العلوم . ولذا فان عقد المؤتمرات،واقامة الندوات ، واثارة الحوار حول قضايا التعريب ومشكلاته ووسائله ، في جميع الأقطار العربية ، بل في جميع المؤسسات العلمية والجامعية ، يساعد كثيرا في التغلب على هذه الرواسب النفسية .

وان معظم هذه الحرب النفسية يتّجه الى طبيعة المستوى العلمي، واطلاق التحذيرات من ضعفه ، والانحدار في هاوية التخلف اذا ما انتقل عضو هيئة التدريس الى التعليم باللغة العربية .

ان عضو هيئة التدريس الذي يستوعب مادة تدريسه ، ويحقق مستوى علميا ممتازا في تدريسه الجامعي بلغة اجنبية ، سيرتفع مستوى

تدريسه عندما يعبّر باللغة العربية ، لغته القومية ؛ والسبب في ذلك انه بحاجة أولا الى استيعاب المضمون في مصادره الأجنبية ، وفهمه وهضمه ، ثم التعبير عنه باللغة العربية .

فكيف يمكن أن يهبط المستوى اذا كان الشخص نفسه ينتقل من التدريس بلغة اجنبية الى التدريس بلغته العربية ؟ فهو في مثل هذه الحال يرى أن من واجبه ان يستوعب المصطلحات والمفاهيم التي وردت عند المؤلف ، وان يستبدل بها صيغا بلغته العربية ؛ وفي ذلك مافيه من عملية ذهنية نشطة مبدعة ؛ في حين أن عضو هيئة التدريس الذي يدرّس بلغة أجنبية ، قد تجذبه المادة الجاهزة ، ويميل به الكسل الى تكرارها دون أن يتفهم دقائقها تفهما عميقا . ونحن اذ نتحدث في هذا الباب عن « تعريب التعليم الجامعي » فاننا نعني به العمق والأصالة ، وننأى به عن أن يكون مجرد ترجمة سريعة رديئة قد يقوم بها غير المؤهلين لممارستها.

ويطيب لي في هذا الصدد ان استشهد بتجربة خاصة في العلوم الهندسية خاضها الاستاذ الدكتور علي محمد كامل ،وسردها في حديثه عن « تعريب العلوم الهندسية في جامعة عين شمس » ، الذي القاه في مؤتمر تعريب التعليم الجامعي المنعقد في بغداد من الرابع الى السابع من شهر آذار ١٩٧٨ . والاستاذ — حيّاه الله — كان قد حصل على الدكتوراه في الهندسة من انجلترا،يقول :

« مضى عليّ عقد من الزمان وانا أزاول التدريس بالخليط العربي الانجليزي ، قبل أن استجمع عزيمتي — وقد اصبحت استاذ المادة التي ادرّسها ، ورئيس القسم الذي اعمل به ، وهو قسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس في القاهرة — واستندت الى نصّ قانون الجامعة الذي يعتبر العربية لغة التدريس ، ما لم تكن هناك عقبات في سبيل ذلك . وخطوت نحو التعريب الكامل للمحاضرة ، فلم

اجد العقبات التي كان بعض الناس يتصوّرها .

فكثير من المصطلحات كان متداولا ، وان احتاج بعضه الى شيء من التهذيب ، وغيرها كانت تحتويه المعاجم ، وان اعتراه بعض التشتيت ؛ اما الباقي فقد افادتني خبرة التدريس لعشر سنوات خلت في الوثوق من معناه الى درجة تؤدي في يسر الى اختيار اللفظ العربي الصالـــــح لتأديته .

وكان عليّ أن أتعود اتباع الأسلوب العلمي الصارم في التعبير .. حتى اصل من اقرب الطرق وأوضحها الى اذهان الدارسين ، فأنقل اليهم المفاهيم في ترتيب منطقي سلس .» (٣) .

وثمة تجارب أخرى كثيرة في هذا الصدد ؛ وان أكبر مثال وأوضحه تلك التجربة الجماعية الخصبة التي توفّرها لنا جامعة دمشق وأساتذتهـا منذ اكثر من خمسين عاما . فقد انطلق هؤلاء الأساتذة الأعلام،بمجهوداتهم الفردية والجماعية أحيانا ، وفي إطار ظروف صعبة وإمكانيات ماديـــة محدودة ، للتعريب في محاضراتهم الجامعية ، وفي ترجماتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم ... هذا مع العلم أنهم قد تكوّنوا في الأصل علميا في جامعات أجنبية .

لا أحد يزعم أن هؤلاء الرواد في النهضة الحديثة لم يواجهوا مشكلات حقيقية ؛ بل على النقيض من ذلك ، فقد واجهوا ومازالوا يواجهـــون تحدّيات صعبة في مجال إلقاء المحاضرات باللغة العربية . والمحاضر في حقيقة الأمر يقوم بنقل العلم من اللغة التي تُعُلِّمه بها الى اللغة العربية ، من خلال عملية ترجمة فكرية ، ومجهود علمي عقلي مبدع في اختيـــار الصِيَغ ، وتركيب الجُمَل باللغة العربية ، لتأدية تلك المعارف والمفاهيم ،

---

٣ ــ تجربة في العلوم الهندسية ، الدكتور علي محمد كامل ، ص ٣ ــ ٤ .

وبالتالي للوقوع على المصطلحات العلمية .

لاشك أن ممارسة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية، هي الطريق الوحيد الذي يضعنا على بداية الطريق في تنفيذ سياسة التعريب التي يجب أن تتبناها الدولة ؛ فمن خلال هذه الممارسة يستطيع أعضاء هيئة التدريس ايجاد المصطلحات العلمية ، والوصول الى الصِيَغ اللغوية العلمية ، مستفيدين من الانجازات العظيمة التي بُذِلت في بعض الجامعات العربية وفي المجامع اللغوية العربية . وثمة تجربة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الأردني : فقد قام ، ضمن امكانياته المادية المحدودة ، بمشروع ترجمة الكتب العلمية الأساسية التي تُدَرَّس في السنة الأولى في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك . فاختار أحدث الكتب العلمية التي تُدَرَّس في الجامعات الاجنبية في مجال الرياضيات والكيمياء والاحياء والجيولوجيا والفيزياء ، وشكّل لجانا من اعضاء هيئة التدريس المتخصصين الذين يقومون بالتدريس الجامعي في هاتين الجامعتين، وجميعهم من الأساتذة النابهين الذين تخصصوا في الجامعات الأجنبية. وخلال بضعة اشهر أنجزت الترجمة ، ودفعت معظم المشاريع الى الطباعة . وقد استفاد هؤلاء الاخوة من جميع الجهود الخيّرة التي بُذِلت في الجامعات والمجامع اللغوية العربية ، ومن المؤلفات والترجمات التي وُضِعت باللغة العربية . حدثني احد هؤلاء المتخصصين النابهين ، وقد اتمّ جميع دراساته الجامعية في الفيزياء في انجلترا ، انه وقف أمام بعض المصطلحات ، ولم يكن أمامه الا ان يأخذ اللفظة الاعجمية بأصواتها الناشزة كما هي ، او انيأخذ ترجمة التعبير الى اللغة العربية . ثمقال: وفي اثناء مطالعاته لمقال في هذا المجال في مجلة « المقتطف » ١٩٣٠ ... كانت فرحته عظيمة حين وجد كاتب المقال يستعمل لفظة « حَسَكَ » للتعبير عن المدلول المطلوب ، فاستعملها هو ... لقد حدثني بذلك للتندر ، لان هذه اللفظة،بمدلولها المحدَّد ، شائعة وذائعة في لغة العامة عندنا ...

وعلى كلّ فهي كلمة معجمية فصيحة .

وتجربة مجمعنا تجربة متواضعة ، نرجو ان تكون بداية طريق للنجاح في تعريب التعليم الجامعي ، وبالتالي جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث والتأليف دون تأخير ودون تردُّد .

لقد اوردتُ هذه الأمثلة السابقة لكي أُخلُص إلى القول : إنّ عملية تعريب العلوم ، وجعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف المبدع ، إنما هي عملية تنمو وتتقدم عبر الممارسة الفعلية والتنسيق المستمر بين ذوي الاختصاص العلمي في جميع الجامعات العربية ، ومؤسسات البحوث العلمية ، والمجامع اللغوية العربية .

كلُّ ذلك يجري في تفاعل مستمرّ من اجل التهذيب والتشذيب والتصحيح ، من اجل مسايرة اللغة العربية لجميع متطلَّبات الحضارة الانسانية الحديثة . فهي عملية حيَّة نامية،وسرُّ حياتها يكمُن في الاستعمال والتطبيق والممارسة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وتنمو بالتطبيق والممارسة ، ولاتحيا في بطون الكتب وفهارس المعجمات . وفي هذه العملية يمثّل عضو هيئة التدريس المكانة الاولى من حيث الفاعلية والتطبيق .

الثورة العلمية والتعريب

لقد أصبح من الحقائق الثابتة القول : إنّ العلاقة بين التنمية والتربية والتعليم العالي والجامعي عميقة وجوهرية : وان كل توسع في هذا المجال من التعليم يجب ان يتمّ في ضوء حاجات القوى العاملة ، وحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الحاضر وفي المستقبل ، وذلك ضمن الاهداف الانسانية الرفيعة التي تهدف الى رُقيّ الفكر الانسي والحضارة الانسانية في جميع جوانبها .

وقد راينا كثيرا من الدول الحديثة التي اجتازت مرحلة التخلُّف ، ودخلت مضمار الثورة العلمية ، كاليابان في أوائل القرن العشرين ،والصين

الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين ، قد رفعت لواء العلم للتنمية وللمجتمع . ومن البدّهيات أن تدخل هاتان الأمتان وغيرهما من الأمم الحديثة مضمار هذه الثورة العلمية من خلال اللغات القومية . وما كان من الممكن مطلقا أن تصل اليابان الى ماوصلت اليه من ذروة العلم والتقنيات الحديثة إلاّ من خلال لغتها اليابانية ؛ وكذلك القول في الصين ، وقد ورثت قرونا ثقيلة من التخلّف ، تراكمت على إرثها القديم من حضارة انسانية عريقة في القدم .

وكانت هذه الأمم قد أعادت النظر في جميع أنظمتها الجامعية والتربوية ، ووضعت خططا بعيدة المدى واخرى قصيرة المدى ، آخذة بعين الاعتبار ما تتطلبه التحوّلات الجذرية في الثورة العلمية ، سواء منها ما يتعلق بسيطرة الآلة والتسيير الذاتي ، أم مايتعلق بالمكانة الخاصةالتي يحتلّها البحث العلمي،من حيث هو عنصر اساسي في زيادة الانتاجية . ولا شكّ أن هذا الاتجاه الجديد يحتّم على النظام التربوي ان يُعدَّ انماطا جديدة من الاختصاصيين والفنيين ؛ وفي طليعة هؤلاء يأتي الاختصاصيون بالصناعات الالكترونية ، والعلماء الباحثون في ميادين الكيمياء وعلم الحياة والذرّة بصورة خاصة ، وكذلك الفنيون الخبيرون بالوسائل الحديثة في الادارة والتسيير والتنظيم بصورة عامة (٤) .

وفي جميع الأحوال كانت اللغة القومية المنطلق الاساسي الذي تنطلق منه هذه الامم جميعها في ثورتها العلمية . فما كان لشعار « العلم للتنمية وللمجتمع » أن يكون له معنى خارج اللغة القومية ، وسيلة للتعبير ، ومقوّما من مقوّمات فكرها الابداعي وهُويّتها المميزة . ولذا راينا التأهيل اللغوي لأعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الباحثين والفنيين في مجال التخطيط يحتلّ مكانة خاصة في برامج الإعداد والتدريب المستمر .

---

٤ — انظر : التربية في البلاد العربية ، الدكتور عبد الله عبد الدائم ، ص ٢٢٣ .

وهكذا نستطيع القول : ان الثورة العلمية قد أدّت الى تعميق مفهوم التربية المستمرة او الدائمة في حياة الانسان ، وفي حياة الجامعات والمؤسسات العلمية والحضارية المختلفة .

وما كان لهذا المفهوم التربوي ، أن تكون له آثاره العلمية والحضارية بمعزل عن اللغة القومية .

ونحن اذا وَجّهنا نظرنا صوب مجتمعنا العربي ، وبصورة خاصة صوب جامعاتنا العربية ،حيث يكوّن اعضاء هيئة التدريس جوهر وجودها، وجدنا أننا بالفعل امام ثورة علميّة لابد قادمة ، لكي تزيل ما تراكم من غبار القرون في التخلف والجهل ، وتصهر من جديد ما تراكم من مخلفات الاستعمار ، لكي تزيل الأوشاب ، ويظهر من جديد عنصر هذه الامة سليما نقيّا ، لكي تعاود مسيرتها المبدعة في ركب العلم والحضارة الانسانية.

ان التعريب ، أو استعمال اللغة العربية في التدريس الجامعي في جميع مستوياته ومجالاته ، وفي البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، هو القاعدة الاساسية التي تُبنى عليها ركائز هذه الثورة العلمية المقبلة إن شاء الله . ومن دون ذلك يصبح كل تخطيط لا معنى له ، لانه يكون قد خالف طبائع الأشياء ، ونواميس التقدم والرقي . وفي مجال هذا التخطيط ، يهمّنا في هذا البحث جانب واحد من جوانب قضية التعريب ، هو الجانب الذي يتعلق بكيفية الوصول بعضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، ولاسيما في الكليات العلمية ، الى المستوى اللغوي اللائق، لكي يستطيع ان يتكلّم ويكتب بلغته العربية بشكل سليم ، وان كان الهدف البعيد الذي يجب ان تسعى اليه جامعاتنا العربية هو ان يكون المتخصص في اي علم من العلوم على معرفة واسعة باللغة العربية ، الى جانب اتقان لغة او لغتين من اللغات العالمية الحية .

لابد لكل تخطيط ناجح يهدف الى تأهيل اعضاء هيئة التدريس

وجَعْلهم قادرين على استعمال اللغة العربية في محاضراتهم وابحاثهم، ان يرتكز على منطلقات الواقع وما يستشرفه من مستقبل يتطلّع اليه ؛ سواء اكان ذلك في مجال بناء خطّة بعيدة المدى ، ام خطة قصيرة الأجل ، تهدف الى معالجة قضايا التحوّل وفترات الانتقال . وربما كان من المفيد أن لاندخل في جزئيات هذا التخطيط ، الذي لابد ان يتأثر بالظروف والاحوال المختلفة في كل قطر من اقطار العروبة ، وانما نعالج الموضوع من حيث المنطلقات العامة التي تُقيّدها مبادىء واهداف ، اصبحت تعتبرها أُمّتنا من المسلّمات التربوية في بنائها الحضاري والقومي والانساني .

يمكن ان ننظر الى موضوع إعداد اعضاء هيئة التدريس لغويا على مرحلتين : فالمرحلة الأولى تشمل إعدادهم قبل العمل الجامعي ،والمرحلة الثانية تتناول إعدادهم في اثناء الخدمة والعمل الجامعي .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا قبل العمل الجامعي :

لا يخفى على كل مهتمّ بقضايا اللغة العربية ان يسجِّل حقائق محزنة في مجال ضعف المثقفين العرب ، والمتخصصين منهم في شتى العلوم في لغتهم العربية . وقد يصل هذا الضعف ، مع الأسف ، الى بعض المتخصصين في اللغة العربية ، وليس من مهمتنا في هذا البحث أن نستبين اسباب الضعف وطرق العلاج ، فقد اقيمت ندوات في هذا الموضوع ، وُوُضعت توصيات مهمة ، ولكنها،مع الاسف،تنتظر طريقها الى التنفيذ . . . ولكن ما نودّ أن نشير اليه ، هو اننا لا نستطيع أن نبحث في ضعف اعضاء هيئة التدريس الجامعيين في اللغة العربية بمعزل عن ضعف طلابهم في لغتهم القومية ، وبمعزل عن أسباب الضعف المتراكمة في تعليم هذه اللغة منذ الطفولة ، وعبر المدرسة : بمراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية . بل لانستطيع ان نبحث في ضعف اعضاء هيئة التدريس باللغة العربية بمعزل ايضا عن ضعف الطلبة الجامعيين في هذه

اللغة .

وهكذا لابد من اعادة النظر بصورة جذرية في تعليم اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة ، من حيث أساليب تدريس اللغة العربية ، واستخدام التقنيات الحديثة في التربية ، ومن حيث الكتاب المدرسي ، مادة وطباعة واخراجا ، ومن حيث المنهاج في مرونته وشموله وقابلياته لمسايرة حجم المعارف الأساسية المتسارعة في نموّها ... وقبل ذلك كله ، العمل على اعداد المعلم الناجح أعدادا خلقيا وعلميا ومهنيا .

ان مرحلة الاعداد الأولى هذه تتطلب ، من حيث الأساس ، رعاية اللغة العربية في مراحل الطفولة ، نطقا وتعبيرا وتذوّقا ، وأن تكون هذه الرعاية احدى المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها سياسة الدولة التربوية . فلو القينا نظرة على مدارسنا الابتدائية والاعدادية والثانوية ، في الأقطار العربية التي درجت على التعليم باللغة العربية في جميع هذه المراحل ، ومنذ خمسين عاما تقريبا ... وسألنا انفسنا : هل نحن نعلّم حقيقة باللغة العربية في هذه المراحل .... ؟ ونحن اذ نتحدث عن اللغة العربية لانعني بطبيعة الحال سوى اللغة الفصيحة ،لغة القرآن الكريم ، العامل الأبدي في وحدة امتنا ووجود كيانها .

وفي الجواب عن هذا السؤال ، نسارع فنقول : مع الأسف كلاّ ، فان اللغة التي نعلّم بها جميع المواد في هذه المراحل المعرَّبة قانونا وعرفا، هي خليط من اللغة الفصيحة والعامية ؛ وقد يتعدّى الامر ذلك في بعض الأحيان ، لكي نرى مدرسي اللغة العربية يدرّسون (النحو) باللغة العامية ، أو بهذا الخليط المستهجن من المفردات والتعابير ... فرعاية اللغة العربية في المراحل التعليمية الثلاث : الابتدائية والاعدادية والثانوية ، والاهتمام بتطوير برامجها التدريسية ووسائلها التعليمية ، ضرورة اساسية ، يجب أن توضع في مقدمة الموضوعات التي يجب ان

تهتم بها الدولة في سياستها التربوية والتعليمية . ولا شك ان العناية باللغة العربية على هذه الشاكلة ، واستخدام اللغة الفصيحة في تدريس جميع المواد ، وفي تلك المراحل التعليمية التي تسبق التعليم الجامعي ، ضرورة اساسية في البناء اللغوي السليم لجميع الذين ينهون الدراسة الثانوية ، سواء منهم الذين يخرجون للحياة العملية أم أولئك الذين يلتحقون بالمعاهد المهنية أو الجامعات .

فالاعداد اللغوي في هذه المرحلة قبل التعليم الجامعي ، يشكل الأساس المهم في تأهيل هؤلاء الذين سيواصلون دراساتهم ، وبالتالي يصبحون في المستقبل الهيئة التدريسية في الجامعات . ونحن نُوْلي هذه المرحلة اهمية كبرى في الاعداد اللغوي ، وذلك لاهمية المرحلة التربوية التي يجتازها الفرد في تكوينه العقلي والعاطفي ، ولأن بعض هؤلاء النابهين قد يلتحقون مباشرة بجامعات اجنبية في الخارج، حيث يحصلون على جميع درجاتهم العلمية . وفي مثل هذه الحال يصبح إعدادهم اللغوي حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ركيزة سليمة في نقل العلوم والمعارف التي يتعلمونها باللغة الأجنبية الى اللغة العربية .

أما المرحلة الثانية في الاعداد اللغوي لأعضاء هيئة التدريس ، فتتمثل في التركيز على ضرورة رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية ، وذلك عن طريق وضع مناهج متطورة وبرامج تدريسية لتعلم اللغة ، والتركيز على قواعدها الأساسية ، وجعل محور هذا البرنامج الممارسة الفعلية في مجالات التخصص العلمي بكفاية وفعالية . فمعظم أعضاء هيئة التدريس سيكونون ممن أنهوا دراساتهم الجامعية الاولى في جامعات عربية ، وحصلوا على درجاتهم الجامعية العليا المتخصصة من جامعات اجنبية . ولذا فان الاهتمام برفع مستوى الطالب الجامعي ، بصورة عامة ، باللغة العربية ، هدف أساسي يجب أن تحققه جامعاتنا العربية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان هذا التعليم الجامعي هو الـــذي يُمِدّ التعليم الاعدادي والثانوي ، غالبا ، بالمدرسين . ومن هنا نرى مدى العلاقة الجوهرية بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي والعالي ، ولاسيما في مجال التعريب والعناية باللغة العربية .

فالتعريـــب ، مـــن حيث هو استخدام اللغة العربية لغة للتدريـــس في جميع العلوم ، والعناية باللغة العربية السليمة ، من حيث الممارســـة وفهم قواعدها النحوية والصرفية الأساسية ، واستيعاب متطلباتهـــا كل ذلك يكوّن وحدةً متكاملة توفّر للطالب الجامعي الحد الادنى لفهـــم الحقائق العلمية ،وادراك المعارف المختلفة ،والتعبير عنها بسهولة ويسر. وفي جميع الأحوال ، نحن نعتقد أن دراسة النصوص العربية المختارة يجب أن تكون محور هذه الدراسة في جميع الكليات والأقسام العلمية .

ونحن في هذا البحث لا نريد ان نعالج جزئيات هذا المنهاج الذي يمكن ان يكون أساسا في النهوض بمستوى الطالب الجامعي في اللغـــة العربية ؛ ولكن من المفروض ان تحدّد الجامعة مستوى معينا في اللغـــة العربية يجب ان يجتازه جميع طلبة الجامعة ، مهما كانت تخصصاتهم . ولا شك ان مثل هذه الدراسة لن تكون هامشية ، بل يجب أن تؤدي الى رفع مستوى الطلبة العلمي ، وزيادة كفاياتهم في فروع تخصصاتهم ؛ فقد يَشْتَرِط كثير من الجامعات العريقة في البلاد المتقدمة ، عند استخدام عضو هيئة التدريس ، أن يجتاز مستوى معينا في اللغة التي سيدرِّس بها . وما أحوجنا في الجامعات العربية الى تطبيق هذه السياسة ، على أن نُدَعِّمَهـــا بتنظيم برامج معينة في الدراسات العليا تهدف الى تأهيل عضو هيئـــة التدريس الجامعي المرتقب ، لكي يصبح قادرا على استخدام اللغـــة العربية في مجال تخصصه ، تدريسا وبحثا وتأليفا ، وأن يؤخذ هـــذا البرنامج بالتقدير والاعتبار عند تعيين عضو هيئة التدريس في الجامعة .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا في اثناء الخدمة

ربما يمضي وقت طويل قبل أن نصل الى تحقيق اهدافنا في مختلف المراحل التعليمية : قبل المرحلة الجامعية منها ، وخلالها ، وما يتبعها من دراسات عليا . وليس في مقدورنا أن نضمن ، في المستقبل المنظور ، ان اية نسبة كبيرة من طلاب الدراسات العليا سيستفيدون من هذه البرامج والخبرات للتأهيل باللغة العربية . ومهما يكن من أمر ، فان الحقيقة الواقعة تنبىء بأن نسبة كبيرة من اعضاء هيئة التدريس في الجامعات في الوقت الحاضر ، ولوقت قد يطول في المستقبل ، ستكون من هؤلاء الذين قد تمّ استخدامهم في الكليات والمعاهد والجامعات . واذا انطلقنا من واقعنا المرير ، حيث يشكو أعضاء هيئة التدريس من الضعف في اللغة العربية ، فاننا نخلص الى القول : انه من الواجب ، مع البدء بعملية التعريب عن طريق الممارسة الفعلية ، أن تقوم كل جامعة ، بل كلّ كلية وكل قسم مختص فيها ، بتخطيط برنامج يكفل رفع مستوى اعضاء هيئة التدريس في اللغة العربية ، وتدريبهم اثناء الخدمة ، لكي يتمكنوا من استعمال العربية لغة للتدريس والبحث العلمي .

لقد اشترطت معظم الجامعات ، عند تعيين عضو هيئة التدريس فيها ، أن يكون حاصلا على شهادة الدكتوراه في مجال تخصصه ، ثم وضعت شروطا معيّنة في الانجازات العلمية والبحث العلمي من اجل الترقية من مرتبة الى اخرى ...... ولكنْ امام حجم المعارف الأساسية الذي يتزايد كل يوم ، وأمام هذا التسارع الهائل في تطوّر العلوم ، ولاسيما العلوم التطبيقية والنظرية البحتة ، باتت الجامعات والمؤسسات العلمية مدعوة لأن تخطط برامج محددة ، موجهة لاعضاء هيئة التدريس ، من اجل تجديد معلوماتهم وزيادة فعالياتهم ، وأن لا تترك هذا الموضوع الخطير لقواعد وشكليات جامعية قد تجاوزت مرحلتها التاريخية . ففي الوقت

الذي تشير فيه الاحصائيات ، مثلا ، الى ان بعض العلوم الهندسية تتبدّل كليا كل عشر سنوات ، واخرى كل خمس عشرة سنة ، ولا تستطيع هذه الجامعات وتلك المؤسسات العلمية ان تقف جامدة في اطار قواعد وانظمة قد تجاوزها الزمن . هذا كله يستلزم عملية دؤوبا هادفة ،من شانها ان تجعل اعضاء هيئة التدريس يسايرون التطورات الجديدة والنظريات العلمية الحديثة في مجال تخصصاتهم ، وبالتالي تؤدي الى تعديل مستمر للمناهج ، وتبديل مبدع للكتب المعتمدة في جميع هذه العلوم.

ان من ضرورات الثورة العلمية المرتقبة ان تتجاوز جامعاتنا العربية هذا الاطار التقليدي من القواعد والأنظمة ، التي أُخذ معظمها تقليدا لجامعات اجنبية قد تجاوزت ظروفنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وان ماتطبقه من هذه التركة يأتي في كثير من الاحيان مشوها لا هوية له . وكيف يمكن للتقليد ان يرقى الى درجة الأصالة ، حتى لو حسنت النيات واخلص القائمون على التنفيذ . فلا بد للجامعات العربية اذن،من اجل قيامها بدورها التاريخي في نهضة هذه الأمة ، من ان تخطط وتنفّذ ، بفعالية وبمستوى رفيع ، برامج علمية ولغوية وتربوية تهدف الى تهيئة اعضاء هيئة التدريس الجدد في الجامعة ، من ناحية ، والى نموّ مزدهر ومستمر لقدرات اعضاء هيئة التدريس القدامى من جهة اخرى . ولا شك ان هذا الوضع هو ترجمة عملية لمفهوم التربية المستمرة ، او الدائمة ، في عصر هذه الثورة العلمية . وان هذه الحياة العلمية المتسارعة في نموّها وتطوّرها لايمكن ان تكتسب أُصالتها في امتنا العربية إلاّ من خلال لغتنا القومية .

وفي هذا الاطار من التخطيط الشامل للتدريب المستمر في اثناء الخدمة الجامعية لاعضاء هيئة التدريس في الجامعة ، يأتي دور وضع برنامج مستمر لتاهيل اعضاء هيئة التدريس كي يصبحوا قادرين على

التدريس والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية في اثناء خدمتهم . ونحن نعتقد أن مثل هذا البرنامج يجب ان يُعَدّ إعدادا على اسس علمية سليمة ، وفق ما وصل اليه العلم الحديث في النظريات اللغوية والتربوية ؛ وإن التطور السريع في وسائل التقنية لتعليم اللغات ، لابد أن يغني هـذا البرنامج ، ويزيد من فعالياته وحيويته .

وربما كان من الواجب أن يرتكز التخطيط لهذا البرنامج على منطلقات تمثّل سياسة تربوية ثابتة للدولة ، في مبدأ جعل اللغة العربية لغة البحث والتدريس في التعليم الجامعي في مختلف مستوياته ومجالاته . وان كل خطّة تهدف الى التدريس باللغة العربية،وتهيئة عضو هيئة التدريس علميا ونفسيا ، وتدريبه المستمر في اثناء الخدمة ، يجب أن تحقق ما نصبو اليه من المستوى العلمي الرفيع الذي نريد ايصال الجامعيين اليه . وانطلاقا من مفهومنا الشامل لعملية التعريب ومقوماتها الأساسية المترابطة ترابطا عضويا ، نرى ان هذا البرنامج يجب ان يتّجه الى مجالين رئيسين : فالمجال الاول يخصّ عضو هيئة التدريس بصورة قاصدة،والمجال الثاني يخص الوسائل والامكانيات التي تشكّل البيئة العلمية الخصبة لعملية التعريب ، ومن دونها فان فعاليات عضو هيئة التدريس تبقى جامدة محدودة .

يهدف البرنامج في المجال الأول الذي اشرنا اليه ، الى تنظيم دورات مركزة في اللغة العربية ، والقاء محاضرات خاصة بالتعريب والمشكلات اللغوية ، وتتناول القواعد الاساسية في النحو والصرف ، والوسائل اللغوية التي تمكّن عضو هيئة التدريس من اختيار الالفاظ المناسبة للمفاهيم والمصطلحات العلمية ، وضعا او استنباطا او تعريبا ، بالمعنى الاصطلاحي الضيّق للتعريب.ولا شكّ ان من اهم هذه الوسائل اللغوية التي لابد من ان يركّز عليها هذا البرنامج ، هي الاشتقاق بأنواعه،والابدال

والقلب ، والمجاز ، والنحت ، والتوليد ، والترجمة ، وكذلك التعريب، سواء أكان بصياغة اللفظ بالنقل الصوتي الى العربية مع تحريف في الحروف والحركات والأوزان ، لتتناسق وباقي الألفاظ العربية ، أمبصياغة اللفظ بأصواته الأعجمية كما هي ....

وان تنظيم الندوات والحلقات الدراسية كي تناقش فيها جميع مشكلات التعريب ، والقضايا المهمة التي يواجهها اعضاء هيئة التدريس، وايجاد الحلول المناسبة ، يشكلان جزءا مهما من معالم هذا البرنامج . وان استعمال وسائل التقنية المتطورةفي التعليم ، يجعل هذاالبرنامج،يسرا واكثر فعالية ، وذلك مثل استعمال الافلام العلمية المتخصصة ، وكذلك الافلام الراجعة (الفيدوتيب) والشرائح ، والكتب العلمية المبرمجة، وغير ذلك من الوسائل الحديثة . فان تسجيل محاضرة علمية باللغة العربية واعادتها للدراسة وملاحظة الاخطاء التي اقترفها عضو هيئة التدريس في برنامج التدريب ، لهي وسيلة فعالة في التصحيح الذاتي وتنمية القدرة اللغوية السليمة ... وهكذا فالنقاش المفتوح والحلقات الدراسية والتطبيق ، واستعمال التصوير المتلفز ، من أجل تقويم الأخطاء ، تشكّل بنودا مهمة في برنامج تأهيل أعضاء هيئة التدريس لاستخدام اللغة العربية .

إن تصميم هذا البرنامج يجب ان يتخذ من النص محورا اساسيا لجميع فعالياته ، وان اختيار هذه النصوص عملية في غاية الاهمية بحيث توفر للدارس روافد لغوية مهمة في مجال تخصصه العلمي، فضلا عن فصاحة اللغة وجمال الاسلوب . ومن خلال هذه النصوص والمصادر العلمية المختارة من التراث العربي،يستطيع عضو هيئة التدريس أيضا ان يربط العلم الحديث بجذوره التاريخية التي تمتدّعميقة فيهذا التراث العربي، ليحقّق بذلك انطلاقة الاصالة العلمية الى جانب الاثراء اللغوي في التعابير

والمصطلحات .

ودون ان نخوض في دقائق هذا البرنامج،ومجالاته العلمية واللغوية، نقول : إنه من الضروري ان يُعْنَى بفن الترجمة عند عضو هيئة التدريس، لأنه في حقيقة الأمر مترجم ماهر سواء اكان ذلك في إعداد محاضراته ام في التاليف والترجمة العادية ؛ وانه من المهم أن يعرف عضو هيئة التدريس اللغة التي يُتَرجِم عنها معرفة دقيقة،وكذلك معرفة اللغة التي يترجم إليها؛فضلا عن معرفة دقيقة لمجال تخصّصه العلمي،وهو موضوع الترجمة . فالترجمة ليست قضيةِ لغوية فحسب ، ولكنها من حيث الجوهر تتعلق باختصاص وبمضمون معيّن ، يحتلّ فيه صاحب الاختصاص العلمي المكانة الأولى،حيث تتّضح له وحدة حقائق العلم ودقائقه .ولذا فمن الواجب ان نضع المعجم المختص في موقعه الطبيعي ، إذ لايكفي ان يلجأ المترجم ،ايًّا كان،الى معجم مختصّ ؛ فما يذكره المعجم المختصّ لا يفهمه سوى صاحب الاختصاص .ومن هنا نريد أن نقرر ان اللغوي غير المختص، لا يمكن ان يكون إلاّ عاملا مساعدا في عملية التعريب والترجمة . ولعلّ من أعظم الخدمات التي يمكن ان يقدمها اللغويون في هذا المجال ، وضع كتاب شامل في اللغة والنحو والصرف ، ليستطيع المثقف العربي ، كما يستطيع عضو هيئة التدريس المختص في اي علم من العلوم ، أن يعود إليه بين الفينة والفينة،من اجل تقويم وزن او تصحيح تركيب لغوي او نحوي . وان كتاب المرشد في اللغة يجب ان يوجّه لمعالجة المشكلات اللغوية والنحوية والصرفية التي يمكن أن تواجه المثقف العربي في حياته العلمية، وذلك من خلال نصوص ادبية وعلمية حيّة .

وطالما نحن بصدد الحديث عن (النصوص) العلمية : القديم منها والحديث ، نجد من الواجب أن نشير الى قضية فرعية ، ولكنها على جانب كبير من الأهمية،وهي ضرورة « الشكل » ، ولا سيما في النصوص

العلمية باللغة العربية .

فأسلوب التعبير العلمي يقتضي اثبات حركات الحروف في نهايات الكلمات ، حتى ننقل المفاهيم العلمية بدقّة الى القراء ، كما أن اثبات حركات بدايات الكلمات واواسطها يمنع اللبس ، واحتمال التحريف .

وأما المجال الثاني الذي اشرنا اليه سابقا ، فيما يخص البيئة العلمية الخصبة المؤاتية لعملية التعريب، وبالتالي لفعاليات أعضاء هيئة التدريس ، فانها تتمثّل في القضايا الرئيسية التالية :

أولا : انشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة ؛ كأن يكون هنالك مركز للطب، وآخر للهندسة ، ومركز للكيمياء ، وآخر للفيزياء ، وكذلك للرياضيات، وهكذا. ويهدف كل مركز من هذه المراكز الى جمع الأعمال العلمية ، والحصول على المعلومات والنشرات من مجلاّت متخصّصة ودوريات وملخصات وغيرها ، وان يقوم كل مركز بتصنيف هذه المواد ووضعها في فهارس متعددة الأساليب والاغراض ، بحيث يحصر كلّ ما كُتِب ، بمختلف اللغات عن موضوع علمي معين ، او حقل علمي في العالم اجمع ؛ ذلك لأن ارشاد هذه الفهارس الى مصادر المعلومات ومراجعها وحجمها ومكان وجودها، يساعد أعضاء هيئة التدريس والباحثين العلميين مساعدة كبيرة. ومن دونها فإن كثيراً من الوقت والجهد يذهب سدى ؛ هذا فضلا عن بقاء أعضاء هيئة التدريس يدورون في مجالات ضّيقة وضمن امكانيات محدودة .

ثانيا : انشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر ، تكون مهمته نقل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية ، فيوفّر المصادر والمراجع العلمية باللغة العربية في جميع التخصصات على مختلف مستوياتها. ونحن نرى ان من واجب مثل هذا المركز ان يقوم بتعريب العلم

والتقنيات الحديثة ، كما ذكرنا ، لابمجرد ترجمة هذا الكتاب أو ذاك.

وهنا لابد من أن نشدّد على ضرورة وجود التعاون التـــام والتنسيق الكامل بين هذا المركز الرئيسي وبين المراكز العلميـــة المتخصصة،والجامعات،والمؤسسات العلمية،ومجامع اللغة العربية، من اجل وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية والتقنية ، وتغطية ما يُسْتَحدث منها . فقد دلّت الاحصاءات التي بين ايدينـا على ان عدد المصطلحات التي تُسْتَحْدَث كل عام يربو على عشريــن الف مصطلح .

وان تعريب هذه المصطلحات العلمية المتسارعة في نموّها ، لايوازيه في الاهمية الا قضيّة توحيدها في الوطن العربي ، لئلا تنشأ لغات علمية مختلفة نتيجة استعمال مصطلحات علمية مختلفة ؛ وفي هذا ما فيه من خطر كبير .

لقد باتت الحاجة ملحة لاقامة مثل هذا المركز الرئيسي ، واذا اردتُ أن احدّد هذا المشروع ، اجدني اقول : ولماذا لاتتَبَنّى،مثـلا ، دولة من الدول ذات الامكانيات المادية الهائلة ، موضوع تأسيـس جامعة دون طلبة ، تُطلَق عليها اسم « جامعة التعريب »تحشد فيها خيرة العلماء المتخصصين ، لفترات دورية ، وتكون مهمتهم نقــل العلوم والتقنيات الحديثة الى اللغة العربية ؟! وفي رحاب هــذه الجامعة العتيدة تعقد المؤتمرات واللقاءات بين المتخصصين لبحــث مشكلات التعريب التي يواجهونها فيإاثناء ممارساتهم الفعلية المبدعة، سواء منها ما يتعلق بالمصطلحات أم بالمصادر العلمية أم غيرها .
ان جامعة مثل تلك المقترحة ، ستدخل التاريخ الثقافي والعلمي لهذه الأمة من أوسع أبوابه ؛ هذا مع العلم ان مجالها الحيوي ، سيكـون الوطن العربي كله في جميع أقطاره ، في جامعاته ومؤسساته العلميـــة

وطلابه وعلمائه ، ولاسيما ان من بعض أوجه نشاطها العلمي، اصدار المجلات العلمية والدوريات المتخصصة للعلوم المختلفة باللغـــــة العربية العلمية الموحدة .

الخلاصـــــة :

وخلاصة القول ان وطننا العربي مُقْبل،ولا شك،على ثورة علمية ، لابد من أن ترتكز على تعريب التعليم في جميع مراحله ومستوياته ، وجعـــل اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة . إن مثل هذه الثورة العلمية والتعليمية ستكون الوسيلة الوحيدة لكي تجتاز امتنا العربية وضعها الحاضر ، حيث تقبع على هامش الحضـــــــارة الانسانية ، لكي تأخذ دورها في المشاركة العلمية الكاملة ، وبناء حضارة اصيلة ، تصل ماضيها بحاضرها ، وتندفع نحو مستقبل زاهر ، فترفـــــد بخصوبتها حضارة الانسان ورقيِّه ، ويحتلّ العلم بصورة عامة ، وعضـــو هيئة التدريس في المعاهد والجامعات بصورة خاصة ، المكانة الاولى في هذه النقلة الحضارية .... وفي ضوء هذا التطور السريع في الوسائـــل التقنية للتعليم في جميع مراحله ، سيُحْدُث تغيير اساسي في دور أعضاء الهيئة التدريسية ، من حيث استخدام الوسائل التقنية ، والتأكيد على مسؤولية الطلاب انفسهم في عملية مفهوم التربية المستمرة او الدائمة . ولابدّ من توجيه الاهتمام الى تطوير كلّ ما من شأنه ان يبعث على التعلّم.

وان الركيزة الأساسية في هذه الانطلاقة العلمية والتربوية ، ستكون اللغة العربية ، من حيث كونها اللغة التي يستطيع ان يعبرّ بها المواطـــن العربي عن جميع حاجاته الحضارية وعن كل ما يتعلمه من معارف فـــي جميع مراحل التعليم المختلفة ، ومن حيث كونها لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي ، ولغة العلوم والتقنيات الحديثة . ونحن نعتقد ان عملية التعريب عملية متكاملة ، تدور حول محور اساسي هو المعلم بصورة

عامة وعضو هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العليا بصورة خاصة. ومن اهم الجوانب التي يجب ان يُعْنَى بها في تأهيل اعضاء هيئة التدريس لكي يتمكنوا من التدريس الجامعي والبحث العلمي باللغة العربية، ما يلي :

١ ـ ان تُتخذ الدولة قرارا سياسيا ، في أعلى مؤسساتها التشريعية ، بوجوب جعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع مراحله : الابتدائية، والاعدادية والثانوية، والجامعية، والدراسات العليا ؛ وذلك لكي تأخذ على عاتقها الدعم المادي والمعنوي من اجل تنفيذ هذه النقلة التاريخية .

٢ ـ العناية التامة باللغة العربية منذ مراحل الطفولة الاولى ، وفي جميع مراحل التعليم ، وضرورة اعادة النظر في الكتب المدرسية ، والمناهج ، ووسائل التعليم ، وسياسة إعداد المعلمين ، في ضوء النظريات التربوية والوسائل التقنية الحديثة . وكذلك وجوب جعل اللغة العربية الفصيحة لغة التدريس في جميع المواد ، وان تنطلق في هذه المراحل من المبدا القائل ان كل معلم هو معلم للغة العربية. هذا مع الحرص على شكل جميع الكتب المدرسية شكلا كاملا .

٣ ـ ان تفرض الجامعات ، في جميع الكليات ، مستوى معينا في اللغة العربية يُعْتَبَرُ متطلبا اساسيا لتخرُّج الطالب الجامعي في مجال تخصصه.

٤ ـ أن تُنظَّم دراسات لغوية في أثناء الدراسات العليا ، تهدف الى تمكين من ينضمّ اليها من أن يقوم بالبحث العلمي والتدريس الجامعي باللغة العربية ، وان يقدَّر من ينهي هذا البرنامج تقديرا مجزيا عند التعيين في عضوية هيئة التدريس الجامعي .

٥ ـ ان تُنظَّم برامج للتدريب المستمر لاعضاء هيئة التدريس في الجامعة في أثناء خدمتهم ، وذلك لتأهيل أعضاء هيئة التدريس من اجل القيام بأعبائهم التدريسية باللغة العربية ، وان تشتمل هذه البرامج

على القضايا الأساسية في النحو والصرف واللغة ، ومشكلات التعريب والترجمة ، وذلك عن طريق محاضرات وحلقات وندوات للنقاش المفتوح ، مع الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في مجال التعليم ، مثل التصوير المتلفز ، والنصوص المبرمجة ، والتسجيلات، وغير ذلك .

٦ — ان يوضع في أيدي اعضاء هيئة التدريس كتابٌ خاص باللغة وقضاياها الأساسية في النحو والصرف والأساليب اللغوية ، لكي يكون مرشدا يمكن الرجوع اليه بين الفينة والأخرى من اجل التصحيح الذاتي .

٧ — انشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة من اجل جَمْع الاعمال العلمية في أهم اللغات الحية وفهرستها ، لمساعدة اعضاء هيئة التدريس في بحوثهم وإعداد محاضراتهم .

٨ — انشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر ، وربما كان « جامعة »دون طلبة ، حيث يُحْشد فيها اهم المتخصصين والعلماء ، وتكون مهمتهمتعريبُ العلوم والتقنيات الجديثة ،وإصدار الموسوعات العلمية ، والمجلات ، والدوريات المتخصصة باللغة العربية ، ليكون مجالُها الحيوي جميع الأقطار العربية : بجامعاتها ومؤسساتها العلمية وطلابها ، وان يُحْـرَص على ان يكون جميع منشوراتها باللغة العربية مشكولة شكلا تاما ؛ وذلك لأن شكل اواخر الكلمات ضرورة قصوى تتطلبها طبيعة الاسلوب العلمي الدقيق ، ولا سيما في نقل المفاهيم العلمية ، كما أن شكل اول الكلمة ووسطهايزيل اللبس. ويتحوَّل الى عادة متأصلة في الكتابة .

٩ — ان تأهيل اعضاء هيئةالتدريس لكي يستطيعوا استخدام اللغة العربية في البحث العلمي والتدريس ، لايمكن ان يُنْظَر اليه الا من خلال جميع هذه العوامل بصورة كلية ، ومن خلال الممارسة الفعلية والبدء

بالتعريب الكامل ، دون تأخير او تأجيل .

الدكتور عبد الكريم خليفة

المصادر والمراجع

١ ـ مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ـ الحلقتان الاولى والثانية

الحلقة الاولى : بنغازي ـ مايو ١٩٦١ .

الحلقة الثانية : بيروت ـ مايو ١٩٦٤

القاهـرة

٢ ـ المؤتمر الاول لاعداد المعلمين في المملكة العربية السعودية

٨ ـ ١٣ صفر ١٣٩٤ الموافق ٤/٧/مارس ١٩٧٤

٣ ـ مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي

بغداد ٤ـ٧/٣/١٩٧٨

٤ ـ دليل الجامعات العربية ، القاهرة ١٩٧٦

٥ ـ جورج شهلا وعبد السميع مريلي ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربيـة بيروت ، ١٩٦١ م

٦ ـ عبد الله عبد الدائم ، التربية في البلاد العربية ـ حاضرها ومشكلاتها ، ومستقبلهـا بيروت ١٩٧٤ م .

٧ ـ عبد الغني النوري وعبد الغني عبود ، نحو فلسفة عربية للتربية ، ١٩٧٦ .

٨ ـ نعيم عطية ، معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الاخيرة بيروت .

٩ ـ علي محمد كامل ، تجربة في العلوم الهندسية ، بغداد ١٩٧٨ .

١٠ ـ بول وودرنج ، اتجاهات حديثة في اعداد المعلم ، ترجمة الدكتور حسين سليمان قـوده القاهرة .

PAUL L. DRESSEL, The undergraduate curriculum in higher education, Washington, 1963

JENN THOMAS, Teachers for the schools of tomorrow, UNESCO, 1968

صناعة المعاجم والجدول الهجائي الكامل

للأستاذ نجيب اسكندر

في وسعنا ان نكتب في العربية اي لفظ بمجرد سماعه ، فالاملاء العربي سويّ ، لكنه ما هكذا هو الامر في بعض اللغات الأوروبية، حيث الإملاء اصطلاحي ؛ فلو اردنا مثلا أن نكتب في الانكليزية اللفظ « تو » لمثلت امامنا ثلاث طرق تتوقف على المعنى المقصود : too ، two ، to واللفظ « رايت » يمكن ان يكتب بأي من هذه الصور ، write ، right ، rite . وفي صناعة المعجم نرى العكس ؛ ففي حين يكون لكل مفردة مكانها الصحيح في المعاجم الأوروبية ، فيه يضعها المؤلف، وفيه يجدها المراجع بلا ادنى صعوبة في الحالين ، نلمس في المعجم العربي حيرة المؤلف في تعيين موضع كثير من المفردات، وحيرة المراجع في الاهتداء إليها . ويرجع الفضل في سهولة المعجمية الغربية إلى كون الجدول الهجائي عندهم كاملا .

الترتيب المعجمي

كان المعجم العربي يرتب حسب الاصول ، فيثبت كل مزيد ومشتق تحت اثلة المجرد، ولم يُثر هذا الترتيب ، على تعدد الطرق في تطبيقه ، الاشتباه في صلوح الجدول الهجائي المعتمد .

اما الآن ، وقد بدأ الاتجاه إلى الترتيب اللفظي الذي تُدرَج فيه المفردات حسب حروفها، كما هي الحال في دليل الهاتف ، فيصبح اكمال الجدول وتنسيقه ضرورة بالغة في كل عمل معجمي .

صيـــغ معجمية

يُدرَج الفعل في المعجم العربي في صيغة الماضي باعتبارها الأصـــل الذي يصرَّف منه المضارع والأمر . ويُفترض في الفعل عند اثباته في المعجم ان يكون مطلقاً ؛ لكنّ جميع الصيغ الفعلية العربية مسندة، بما في ذلك صيغة فَعَلَ، وهي ابسط تصاريف الماضي، وعند الوقف تَطرح هذه الصيغة الفتـــح لتُلفَظ ساكنة . ومن الصواب أن تُؤخذ الصيغة الوقفية الساكنة هذه لتكون الصيغة المعجمية للفعل ، بسبب افتراض الصرفيين أن صيغة فَعَـــلَ، المفتوحة الآخر، هي الأصل، وَضعوا قاعدة لما أسموه تبدُّل حركة الماضـــي في التصريف . لكنّ إنْ نحن افترضنا أن الأصل هو الصيغة الساكنة فَعَلْ، ادركنا أن ثمة لا فتحة تُبْدل، بل سكون يلازم الفعل المطلق، وما الفتحـــة في الحقيقة سوى نوع من ضمير بارز متّصل تدخل على الفعل المطلـــق لتُخَصِّصَه للغائب المفرد، كما تدخل عليه الفتحة الطويلة (الالف) لتُخَصِّصَه للغائب المثنى، الى آخر هذه التصاريف .

وتُدْرَج معظم الأسماء مضمومة الآخر ومعرَّفة بالأداة . والذي اراه ان وجود الأداة لا يَتّفق مع الترتيب المعجمي الذي يقتضي ادراج المفـــردة حسب الحرف الأول فيها . والأفضل، اذا ما أُهملت اداة التعريف ، الاكتفاء بالضمة غير منوَّنة ، فما التنوين في الواقع سوى أداة تنكير .

وكذلك هي الحال في المنقوص ، فليس ثمّة من موجب لحذف الياء من آخره عند تجريده من اداة التعريف. وقد درج نفر من الثقات علـــــى الاحتفاظ بياء المنقوص في كل حال .

ونظرًا لإهمال علامات الحركة والتنوين في الكتابة اليدويـــة وفي الطباعة اليومية، جَرَت العادة بزيادة الالف بعد تنوين الفتح فلا تهمل ، لان الجمهور يعدّها جزءًا من أحرف الكلمة .

لكن هذا الحرف الذي لا -بمة املائية له، وما كان القصد منه سوى

التعويض عن علامة التنوين،من شأنه الاخلال بالترتيب المعجمي . اكتفي بمثال واحد : ابدٌ ، أبدٌ (ابدًا)؛ففي الترتيب الهجائي الصحيح تجيء ابدٌ قبل ابدٌ ، لأن الفتحة تسبق الضمة ، لكن زيادة الالف تقضي بعكس هذا الترتيب .

على هذا يُسْتَحْسَن الاستغناء عن الالف في طبع المعاجم الكاملة التشكيل، اكتفاءً بعلامة تنوين الفتح،كما هو الحال في الاسماء المقصورة والممدودة والمنتهية بتاء التانيث ، فهذه كلُّها لا تزاد عليها الالف في اي حال.

وهكذا يمكن ان يتوفّر للمعجم صيغ ملائمة : الفعل الماضي ساكن الآخر،والاسم نكرةً غير منوّن،والمنقوص كاملا،والمنصوب مجتزءا بعلامة التنوين دون الف .

الحروف

اذا حلّلنا النطق البشري، لاحظنا انه يتالف من اصوات متتابعة يختلف بعضها عن بعض اختلافا اساسيا ؛ كما نلاحظ أن الصوت الواحد يقف أحيانا بمجرد نطقه،لكنه في احيان اخرى يظلّ يتردد بعض الوقت، متخذا في تردده اتجاهات متباينة . وتسمى مدة التردد واتجاهه بالحركة .

ويمكن ان نشبّه الأصوات بالجوهر،والتردّد الذي يصحبها أحيانا بالعَرَض .

وقد اقتصرت الأشكال الأولى التي وضعها الانسان للرمز الى الأصوات على اظهار الاختلافات الأساسية في وقع الاصوات على الأذن ، مثل الاختلاف الذي نحسُّ به بين صوت اللام وصوت السين .

لكنَّ الانسان يتعذّر عليه ان ينطق كلاما مؤلّفا كلّه من اصوات ينتهي كل منها عند نطقه، فبدات المحاولة لابتداع اشكال ترمز الى تردد الاصوات، واتجاهات هذا التردد .

وفي حين تُعْرف الأشكال التي ترمز الى الاصوات بالحروف الصامتة، فقد اصطلح على تسمية الاشكال التي ترمز الى الحركات بالحروف

المصوّتة .

وقد عَمَدت بعض الشعوب الى اظهار كلّ حرف صامت باشكال مختلفة ترمز الى انواع الترددات التي يتخذها هذا الحرف في الكلام .

وتمثل هذه الطريقة القصور — قصور الاقدمين — عن ادراك الحركة عنصراً إضافيا يمكن ، رغم لطافته ، الرمز إليه بشكل خاص به. ويظهر اثر هذه الطريقة في اللغات الأوروبية ، إذ صوّروا الهمزة بعدة اشكال، ليدلوا على مختلف الحركات في نطقها a e i o . لكنهم عندما جاء دور الحروف الصامتة الاخرى، تركوا الحرف على حاله واتبعوه ، إظهاراً لحركته ، بالاشكال التي رمزوا بها الى الهمزة متحركة .

وهكذا صار لاشكال الهمزة وظيفة مزدوجة ، فهي تُلفَظ همزة متحركة اذا جاءت بداية مقطع، وتكون مجرّد حركة عندما توضع بعد اي حرف صامت آخر .

وتحتفظ العربية بظاهرة من هذا النوع ؛ فما الحالات التي تُكتَب فيها الهمزة فوق الالف او الواو او الياء، إلاّ اثراً من هذه المحاولة للرمز الى الصامت متحركاً بتبديل شكله .

لكنْ، في حين فقدت الهمزة في اللغات الاوروبية اسمها ورسمها الخاصين، ولم يبق منها سوى اللفظ ، فإنها في العربية تحتفظ ، بالإضافة إلى لفظها ، باسمها، وتتوّج جميع الاشكال التي تتّخذها بعلامتها المميّزة ، بل إنها في بعض الحالات تظهر مجردة من اي شكل إضافي .

الحروف المصوتة

ومن جهة اخرى، فعندما ارادوا في العربية اثبات الحركات، استعانوا، كما راينا في اللغات الاوروبية ، بأحرف صامتة هي ، فضلا عن الهمزة، الواو والياء . ولم يكن اختيار هذه الأحرف الثلاثة بدون مبرر من قواعد التصريف .

ويسمى الحرف الأول في العربية واللغات الأخرى بالالف، ومن هنا عُرِفت حروف الهجاء بالألف باء ، لكنه في العربية يسمى ايضا ، بوصفه صامتاً ، بالهمزة . وعندما صار هذا الحرف يُرْمز الى الفتح، سُمّي الفتح بالألف . وخطر للبعض بعد مدة ان يزحزحوا الفتح عن موضع الصدارة منعا للالتباس، ولقصورهم عن تصوّر الحركة في شكل مستقل، عمدوا الى حرف صامت آخر هو اللام، فكانت اللام الفاً .

وفي اللغات الأوروبية تظهر الحركات بجميع انواعها واقدارها في شكل حروف تتلو الصامت . ولم يدوّن في العربية سوى حركات ثلاث . ولما كانت الأحرف التي اختيرت لاظهار هذه الحركات لا تبيّن قدر الحركة، جعلوا يشيرون الى الحركة القصيرة بالنصّ عليها: (فتح فسكون فضم). واخيرا فطنوا الى اظهار الحركات القصيرة شكلات فوق الحروف الصامتة أو تحتها .

وقد ترك التأخر في اظهار الحركة القصيرة ما نراه في ضبط الفعل الناقص وبعض حروف المعنى، مثل متى ، إذا ؛ فالحركة هنا قصيرة، ولمّا لم تكن قد وُجدت بعد طريقةٌ لاظهار الحركة قصيرة، ضُبطت هذه الفئة من الكلمات بالفتح الطويل .

إن وضع الحركات القصيرة بصورة شكلات تختلف عن الحروف، شاهد على احساس واضعيها بأن الحركة من عنصر آخر غير عنصر الصوت في حدّ ذاته . ونحن نرى مثل هذا في تدوين الموسيقى، فبينما يُرْمز الى انواع النغمات بموضعها من المدرج، يُرْمز الى الأزمنة التي تستغرقها بعلامات خاصة .

على أن هذه الطريقة البارعة في اظهار الحركة القصيرة لم تَضْمن لهذه الحركة من الحرمة ما للحركات الطويلة التي تظهر في شكل احرف . ففي الكتابة والطباعة غالبا ما تُهْمل الحركة القصيرة، فتجيء الكتابة سهلة، لكنها

عديمة الضبط .

وفي الصرف العربي يختلف دور الحركات القصيرة عن دور الطويلة . لكنّ في علم الاصوات فالنوعان يجتمعان في مفهوم مشترك، هو ما يسمى في اللغات الاوروبية بالفاولز . ولسنا نجد في العربية لفظة مقابلة ؛ ففي حين تُعرَف الحركة الطويلة بحروف العلة، او حروف المد، تعرف القصيرة بالحركات او بالشكلات. ويمكن وصف الفرق بين الحركات الطويلة والقصيرة بأنه كميّ لا كيفي ؛ فالفتحة والضمة والكسرة لا تختلف عن الألف والواو والياء إلاّ بأنها أقصر تردداً : نام لم ينم ، يقول لم يقل ، يبيع لم يبع .

ولما كانت الحركات جميعها، من طويلة وقصيرة، جزءا اساسيا من بنية الكلمات متمما للحروف الصامتة، فإن الجدول الهجائي لا يكون كاملاً ومعتمداً إذا لم يشمل الحركات .

وعلى الرغم من الاختلاف في الشكل بين الحركات الطويلة والقصيرة ، وعدم توفر اسم مشترك، فقد فطن الأقدمون الى الصلة بين كل حركة قصيرة والحركة الطويلة المماثلة لها في الاتجاه، واسموا هذه الصلة بالموافقة .

وقد حاول الفيومي، كما يقول في مقدمة « المصباح »، ترتيب هذا المعجم بتتبع الحركات القصيرة على الحرف الواحد قبل الانتقال الى الحرف التالي، لكنّه عدَلَ عن هذا الترتيب لما بدا له من وعورته . ويمكن أن نعرّف هذا الترتيب، الذي حاوله هذا اللغوى الثبت، بنظام الشوط الواحد، وهو المتبع في المعاجم الأوروبية . لقد جاءت الفكرة قبل اوانها . ولا ريب في أن تكون هي المتبعة لو أُعطِيَت الحركات القصيرة شكل حروف سوية .

وفي الوضع الحالي ليس امامنا سوى مواصلة نظام الشوطين: تناول المفردة، وتَتبُّع الحركات على حروفها واحدا واحدا قبل الانتقال الى المفردة التالية .

الكتابـة المنفصلـة :

من المرجح أن رموز الاصوات الكلامية،التي نسميها الحروف الهجائية، وُضعت اول ما وُضعت منفصلة . وكان هذا النظام ملائما لوسائط الكتابة المستعملة آنذاك،كالنقش في الحجر،او الخط على الفخّار . وما تزال لغاتٌ كثيرة تُكْتَب بحروف منفصلة ولا تعرف الوصل ابدا . وفي العربية نفسها، الفصل غير شامل،فثمة مفردات لا تتّصل حروفها في حال : اداري ، ارادات .

وتطوَّرت وسائط الكتابة،فظهر الورق والقلم،الامر الذي اقتضى وصل الحروف . وقد بدأت الآراميّة هذا الاتجاه،وتبعتها العربيّة . بل ان الأوروبيين أوجدوا نمطاً متصلاً من الحروف للكتابة بالورق والقلم .

لقد استلزم وصلُ الحروف العربية تعديلَ اطرافها،مما شوّه احجامها، وقلّل من الفروق بين اشكالها،الامر الذي اضطر معه الى الاستعانة بالنقط للتمييز بينها،وحال دون ابتداع حروف جديدة ترمز الى الحركات القصيرة، فرُسمت هذه الحركات بصورة شكلات .

ورغم تقبّل المطبعة للحروف المنفصلة،فقد تمسَّك الطابعون بالحرف المتصل،واخذوا يكيّفونه للتنضيد الطباعي،متجاهلين الدعوات القوية التي ظهرت بُعيد دخول المطبعة لاستعمال حروف منفصلة في الطباعة .

وفي سنة ١٩٤٧ دعا مجمع القاهرة ، وكان اسمه اذ ذاك مجمع فؤاد الأول ، الى مسابقة لتيسير الكتابة العربية ، فكان اقتراحي فصل الحروف في الطباعة،واعطاء الحركات القصيرة اشكال حروف عادية،على غرار الحركات الطويلة،وتسوية مشكلة الهمزة ؛ لكن المجمع قرّر في نهاية الأمر حفظ جميع المقترحات التي وردت اليه .

وبعد مدة من مسابقة المجمع،عاد الى لبنان المغترب نصري خطّار ،

وعرض آلة تنضيد تُسْبك الحروف منفصلة . لكن هذا الحدث لم يُلْقَ في حينه ما يستحقّ من الاقبال لدى أوساط الطبع والنشر . وحين شَرَع صانعوا الحاسبات (الكومبيوتر) يُدخلون الحروف العربية،فضّلوا الحرف المنفصل،وبذلك بدات الحروف المنفصلة تغذّ مسيرتها الحالية .

ميزات فصل الحروف

ان فصل الحروف في الطباعة،فضلا عن فائدته في تبسيط عملية التنضيد الطباعي وتسهيل تعلم القراءة،سيكون من شأنه التمكينُ من تحويل الحركات القصيرة من علامات ثانوية الى حروف عادية،وايجادُ ما يعرف بالحرف الكبير (كابيتال) للعناوين وبدايات الجمل واسماء الاعلام، ووضع جدول عربي مقابل لجدول IPA يرمز الى الأصوات غير المعروفة في العربية،بقصد ضبط المفردات الاجنبية .

وفي صناعة المعجم خاصة يمكن ، عند فصل الحروف ، ايجادُ مخرج عملي لمشكلة تَقَبُّل الحرف الواحد لأكثر من حركة : ففي العربية افعال واسماء يصحّ ان تُلْفَظ الواحدة منها على عدّة وجوه،من حيث السكون والحركة الطويلة او القصيرة،والتخفيف والتثقيل بدون اي تبدل في المعنى؛ اكتفي منها بمثال واحد هو:اصبع،فإن كلاًّ من الهمزة والباء تقبل أيا من الحركات الثلاث . ويتمّ اثبات هذه الحالة في المعاجم عادة إما بتكرارادراج المفردة بمختلف الحركات،او باظهار الحركات جميها دفعة واحدة على الحرف،او بالنص أنّ الحرف ثلاثي الحركة . ولو فُصِلَت الحروف لتَيَسَّر وضع رموز خاصة في شكل حروف (حركات) لهذه الحالات .

ثم ان الحروف المنفصلة تفوق بقوتها التدوينية الحروف المتصلة،وهذا يجعلها اشد ملاءمة للمعاجم . ونلاحظ في « مختار الصحاح » للرازي ، الذي طبع قبل سنوات في القاهرة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي،ان المفردات كُتِبت منفصلة ، فكان هذا

استاذين جليلين من المدرسة التقليدية تعبيراً عن ادراكهما تَطَلُّب المعجم للحروف المنفصلة .

النمـــط

لدينا الآن نمطان من الحروف المنفصلة : نمط خطّار الذي سار على اساسه الكومبيوتر ، والآخر هو الحروف المطبعية كما تظهر منفصلة في الحالات التي لا تَقْبَل الوصل .

لكن يبدو عند التأمل ان هذين النمطين كليهما غير صالحين للطباعة؛ فقد اكتفى خطّار بالفصل الجسماني بين الحروف المتصلة،ولم يحاول ايجاد نمط خاص من الحروف المنفصلة ، ولهذا جاءت حروفه مستهجنة ؛ امـــا الحروف المنفصلة اساسا في الطريقة المتصلة،فانها لو صُفّت لتؤلف كلمات وسطورًا لبدت متنافرة عاطلة من الجمال .

لقد اكتسبت الحروف المتصلة جمالها من توفر اجيال بعد اجيال من الخطاطين على تطويعها وتحسينها ، ولا شك ان في وسع الخطاطين اليوم ان يبتدعوا اطرزة مختلفة من حروف منفصلة تَتّسم بالبساطة والوضوح، والتمايز فيما بينها،والجمال الأخاذ .

الجـــدول الهجائي

يمكن تشبيه الأسلوب الصحيح في الترتيب المعجمي بطريقة ترتيـــب الأعداد : فالذي يحفظ جدول الآحاد،ويعرف كيف تُكْتَب بهذه الأرقام العشرة مختلف الكميات،يستطيع،حتى دون إلمام بالعمليات الحسابية،ان يرتّب اي مجموعة من الاعداد حسب قيمها الكمية .

وفيالجدول الهجائي، الموضوع هو الأشكال التي تُستعمل في تدوين الأصوات على اختلافها . ويعرف هذا الباب من قواعد اللغة الذي يعالج الجدول بـ « الرسم »،وهو مستقل بطبيعته عن الصرف.وادخال اي اعتبار

صرفي من شأنه الاخلال بقواعده .

لقد مرّ الجدول الهجائي العربي بأنواع من الترتيب، منها الابجدي، ومنها الترتيب الصوتي الذي يتمثل في تقاليب « كتاب العين » . اما الترتيب الحاليّ فيقوم على اساس اشكال الحروف، ويبدو مع ذلك ترتيباً عملياً . على انه لكي يصحّ اعتماد هذا الجدول بصورة مضبوطة في اي عمل معجمي، وفقا لاملاء المفردات، ينبغي ان يشتمل على جميع الاشكال المستعملة في الكتابة من حروف وحركات ؛ ذلك ان المفروض ان يجد المُراجع جميع هذه الاشكال في الجدول، ويتبيّن موضع كل واحد منها، ليستطيع ان يجد المفردة في المعجم في سهولة .

الهمزة

تُعرَف الهمزة احيانا باسم الالف، وتظهر في بداية الكلمات مركّبة على الالف، بل انها كثيرا ما تُكتَب بصورة الف خالية من سمتها الخاصة . وعندما تَرِد في كلمة متبوعةً بالالف، يبدل شكلها وتوضع فوق الالف، وتسمى مدّة . وفي حالات اخرى تظهر الهمزة مركّبة على الواو أو الياء . وفي التصريف، فانها تشارك الحركات فيما يسمى بالاعلال . كل هذا اسبغ على هذا الحرف الصامت السويّ شيئا من الابهام، واقتضى وضع قواعد لكتابته .

لقد ادى وصل الحروف في الكتابة الى شيء من التعديل في شكل كل حرف، حسب موضعه من الكلمة ؛ وهذا التعديل امرُه يسير ولا يتعارض مع الترتيب المعجمي . لكنّ الهمزة يتبدّل شكلها، لا وفقا لموضعها من الكلمة، بل وفقا لحركتها أو حركة ما قبلها ؛ وهذا خارج عن اصول الرسم، ويعود الى اعتبارات صرفية، ولا يتفق مع الترتيب المعجمي الصحيح والطباعة المتطورة . ولما كان هذا الشذوذ ليس من طبيعة الهمزة ، يمكن تسويته وكتابة الهمزة على غرار بقية الحروف .

وفي فئات معينة من الكلمات المبدوءة بالهمزة، يُهمَل نُطق الهمزة في

الدَّرْج . وللتنبيه على هذا رُسِمَت هذه الهمزة بشكل خاص يعرف بهمزة الوصل، لكنها لم تدخل في الجدول الذي جعلوه مقتصراً على شكل واحد لكل حرف صامت ، واستكمال الجدول يقتضي ادخال هذا الشكل .

لا شك أن اظهار الهمزة المتبوعة بالألف بالشكل المعروف بالمدة ترتيب عملي في الكتابة اليدوية ، لكن ليس لهذا الشكل موضع في الجدول الـذي يقتصر على رموز الأصوات البسيطة غير المركّبة . وكل محاولة لاستعمال هذا الشكل في المعجم من شأنها الاخلال بالترتيب الصحيح المستند الـى الجدول . وينبغي ادراج كلّ همزة متبوعة بالألف على حالهما ، كما هـو الامر مع الهمزة والواو والهمزة والياء .

التـــاء المربوطـــة

تُلفظ تاء التأنيث عند الوقف شبيهة بالهاء، ولهذا وضعوا لها شكـــلا خاصا كما فعلوا في همزة الوصل، وينبغي اكمال الجدول باضافة هـــذا الشكل الآخر للتاء الى جانب الشكل العادي .

الألـــــف

ليست الألف سوى حركة فتح طويلة ، ولهذا لم يكن لها موضع في الجدول الذي لم يتصوَّر واضعوه ان يكون للحركة شكل خاص ، وعمدوا الى اظهارها متطفّلة على الهمزة ، ثم جعلوها متطفلة على الـلام .

لكننا ندرك الآن ان الرمز الى الحركة بشكل مستقلّ امر ممكن ؛ وعلى هذا تضاف الألف الى الجدول ، ومكانها الى جانب الواو والياء، كما فطن الذين اختاروا لها اللام ، وكما يفهم من ادراج المعاجم التقليدية للأجوف الواوي في هذا الموضع .

وعندما تجيء الألف آخر الكلمة، تُكتَب احيانا بشكل ياء مهملة . وقد ابتدع الرسم والاسم لاعتبارات صرفية لا موجب لها من اصول الرسم .

على أنه ما دمنا نستعمل هذا الشكل ينبغي اثباته في الجدول الى جانب الألف العادية .

الـــواو واليـــاء

يكون هذان الشكلان حرفين صامتين ، كما يكونان حركتين طويلتين. والتفريق بين الوظيفتين غير صعب في الكتابة الكاملة التشكيل .

تكون الواو او الياء حرفا صامتا اذا جاءت متحركة بحركة طويلة أو قصيرة ، أو جاءت ساكنة وما قَبْلَها متحركا .

تكون الواو او الياء حركة اذا جاءت غير متحركة بعد حرف ينتظـــر التحريك .

وينبغي أن تَرِد في الجدول اشارة الى ازدواج وظيفة هذين الحرفين.

وفي الترتيب المعجمي، فان المفردة التي تكون فيها الواو أو الياء حرفا صامتا تجيء قبل مثيلتها التي يعمل فيها هذا الحرف حركة .

كما ينبغي أن تحتفظ الياء الصامتة بالتنقيط عند ورودها في نهايـــــة الكلمة، لتلافي الالتباس مع الياء المهملة التي هي شكل آخر للألف .

الحركات القصيرة

لما كانت الحركات القصيرة جزءا اساسيا من الكلمة، ينبغي ادراجها في الجدول، وضبط ترتيبها وفقا لترتيب الحركات الطويلة .

الشَــدّة

عندما يتتابع الحرف الواحد ساكنا فمتحركا، فانه يُكْتَب شكـــــــلا واحدا تعلوه علامة تعرف بالشَدّة . ان الفكرة في الرموز هي ابتداع شيء صغير يرمز الى شيء اكبر ، لكن الشدة وقد أُوجِدَت لاعتبارات صرفية لا

تؤدي هذا الغرض ، فهي عبارة عن شكل بليد يوضع فوق الحرف فيشوّه الكتابة، ولا ينوب الا عن شكل واحـد هـو الحرف المحذوف رسمه .

لكن ما دمنا نستعمل الشدة، فان الترتيب المعجمي الصحيح هو ادراج المفردة ذات الحرف المشدد وفقا لحركة الحرف الثاني ؛ لكنْ في حالة وجود كلمة مماثلة غير مشدّدة فان هذه الكلمة المماثلة غير المشدّدة تُدْرَج اولا .

ويقتضي ترتيب المعجم اللفظي ادراج اللفظ الثلاثي المدغم بموجب الحرفين الظاهرين رسما؛ وهذا هو المتبع الآن ، في حين تراعي المعاجم المرتبة حسب الأصول الحرف الثالث الذي حُجِب رسمه بالشدة ، فتدرج سِرّ بعد سُرْد .

السكون والحركـة

في الترتيب الصحيح يُدرَج الساكن اولا ، والسكون لا يحتاج الـى علامة، فكل حرف غير متحرك يكون ساكنا، ويتجلى ذلك على اتمّه في المعاجم حيث التحريك كامل .

وعندما يكون الحرف الصامت متبوعا بحركة طويلة لا يبقى لزوم للاستعانة بالحركة القصيرة .

أداة التعريـف

هذه الاداة المؤلفة من همزة وصل ولام لا تُلفَظ دائما هكذا ؛ فاذا دخلت على كلمة مبدوءة بحرف شمسي انقلبت اللام الى حرف مماثل، وأُدغِم الحرفان : واذا جاءت في الدَرْج سقط لفظ الهمزة ، اما اذا زاد على ذلك دخولها على شمسي بَطَلَ لفظُها كلية ، وبقي الشمسي مشددا . وعلى هذا يكون لها أربع طرق في اللفظ . همز ولام ، همز وحرف شمسي ، لام ،حرف شمسي .

ولو صنع شكل خاص لأداة التعريف يلفظ حسب الحالة كما فعلوا في همزة الوصل والتاء المربوطة لكان ذلك افضل من الهمزة واللام في الرمز الى هذه الظاهرة .

تدوينٌ اضبط وكتابةٌ ابسط

ان الأخذ بالجدول الطبيعي للحروف سيجعل الترتيب المعجمي محكما دون أدنى خلل . ثم ان تسوية رسم الهمز والاستغناء عن الحركة القصيرة عند وجود الحركة الطويلة ، واهمال علامة السكون من شأنه تبسيط الكتابة وجعل المطبوع يبدو اوضح واجمل .

الحروف الهجائية : الجدول الطبيعي الكامل لغرض التدوين المعجمي

الحروف الصامتة

أ	آ	س	ل
ب		ش	م
ت	ة	ص	ن
ث		ض	ه
ج		ط	و
ح		ظ	
خ		ع	
د		غ	ي
ذ		ف	
ر		ق	
ز		ك	

الحروف المصوتة (الحركات)

طويلة	قصيرة
ا ى	ـَـ
و ← هذا الحرف اذا جاء غير متحرك بعد حرف ينتظر الحركة	ـُـ
ي ← هذا الحرف اذا جاء غير متحرك بعد حرف ينتظر الحركة	ـِـ

يدرج الحرف الذي تعلوه الشدة حسب حركته فان وجدت
كلمة مماثلة غير مشددة تأخرت الشدة عنها

الهمـــزة

أ   ٭   ـئـ   ء

في البدايــة   في الدرج والاخــير   في الاخير بعد حرف لا يقبل الاتصال

اداة التعريف

شـكـل مقـــترح

ﭐ

نجيب اسكندر

لو أَخَذَ القوسَ غيرُ باريها

للدكتور ابراهيم السامرّائي
(كلية الآداب بجامعة بغداد)

رعاك الله — اخي الكريم — وسدَّد خُطاك، واقال من عثرتك ؛ لقد ضبطتَ الكُلِم في مبحثي المنشور في « العدد المزدوج الخامس والسادس »، تكملة لعمل المطبعة التي ينقصها الشكل ، ثم مررت بقولي : «يتوفر فيه » في آخر الموضوع ، فرايت ان تصحّح ما بدا لك انه خطأ ، فرسمت ألفاً بعد الواو ، فصارت « يتوافر فيه » .

شكر الله لك سعيك، انك حفزتني الى الكتابة في موضوع التصحيح اللغوي لما هو خطأ وتجاوز ، ولما خُيِّل لطائفة من اهل العلم انه خطأ .

اقول : إن الذين ذهبوا الى ان من الفصيح ان نقول : توافر الشيء، ولا نقول : توفّر الشيء ، لم يكونوا على علم كاف بكتب العربية ، واقرب هذه هي المعجمات . ليس غريبا ان اقول : إننا نحن معاشر العرب ، ولا سيّما اهل العلم منهم ، لا نرى فينا حاجة الى الرجوع الى المعجم القديم . فماذا من امر « تَوَفَّر » و « تَوافَرَ » في المعجم ؟ جـــــاء في « التهذيب » للازهري :

والمستعمل في التعدي : وفَّرناه توفيراً .

وجاء في « اللسان » :

وَفَّرَ عليه حقه توفيرا ، واستوفره ، اي استوفاه . وتوفَّر عليه اي رعى حُرُماته ، ويقال : هم متوافرون اي هم كثير ، ووَفُر الشيء وَفرا ،

ووفّره : كثّره . فليس من « توافَرَ » إلاّ قولهم : « هم متوافرون » أي هم كثير . وقولهم « توفّر عليه » شيء آخر ليس من قبيل استعمالنا في اللغة المعاصرة ، لأنه يفيد رعي الحُرُمات .

وليس لنا إلاّ أن نقول إن استعمالنا الحديث « توفّر الشيء » (متاتٍ) من وفّرته فتوفّر ، كما تقول علّمته فتعلّم . إن المعجم لا يعرض لما هو واقع وجارٍ على سنن العربية .

لقد خلت مادة « حزب » من بناء « تَحَزَّبَ » ، كما خلت مادة «خرب» من بناء « تَخَرَّبَ » . فهل يجوز لنا ان نقول : إن الفعلين « تَحَزَّبَ » و « تَخَرَّب » غير صحيحين فصيحين ، وإن استعمالهما من الخطأ ؟ فاذا كان « تحزيب »، كما في حديث أوس بن حذيفة قال : سألت أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كيف تُحَزِّبون القرآن ؟

اقول اذا كان هذا ، فلِمَ لا يكون « تحزّب » ؟ واذا اشتملت العربية على الفعل « خَرَّب » والمصدر التخريب ، فلِمَ لا يكون « تَخَرَّب » ؟ الم يُقُلِ اللغويون بالمطاوعة ، نحو قدّمته فتقدَّمَ ؟ ثم الم يستعمل الفصحاء طوال قرون الفعلين : تَحَزَّبَ وتَخَرَّبَ في نثرهم وشعرهم ؟ وعلى هذا كان استعمال « تَوَفَّر » هو الفصيح المليح ، ولم يرد « توافَرَ » إلاّ في قولهم : « هم متوافرون » أي هم كثير ، وهذا لا يعني ما نريد من « توفّر » الشيء اذا كان وافراً .

ولا حجة لأصحاب التخطئة من المتصدّين الى تصحيح الألفاظ والأبنية ووجوه القول ، في أنّ المعجم القديم خلا من هذه اللفظة او تلك، ذلك انّ المعجم القديم مُعوِز يفتقر الى شيء كثير من الاستقراء . ثم ان المعجم قد يذكر الكلمة ويفوته ذكر الجمع ؛ فهل يعني هذا ان الجمع غير وارد في اللغة ، وليس من حق المعربين الا يأتوا بجمعها حملاً على نظائرها ؟ إن « الخمر » معروف ، وهو مادة طويلة في المعجم القديم ،

ولكنها خلت من « الخمور » وهو الجمع ؛ فهل يقال : إن « الخمور » خطأ لان المعجم اخلّ بها ؟ و « الخَمَر » بالتحريك ما واراك من الشجر ، وليس من جمع له في المعجم ، فهلاّ اذِنّا لانفسنا ان نجمعه على « افعال » مثـل قلم واقلام ؟ واذا اشتمل المعجم على « تمر وتمور » فلِمَ لا نقول إن المعجم اخلّ بـ « الخمور » جمعا لـ « خَمْر » ، واخلّ بـ « البقول » جمعا لـ « بَقْل » ، وغير هذا كثير لا يحصره العد . واذا خلا المعجم من « التطور » في مادة « طور » فهل ترى أن جمهرة المعربين،منذ ما يقرب من مئة سنة،مخطئون في صوغ هذا المصدر ؟ ثم إنك تجد الفعل في المعجم ولا تجد مطاوعه،وهو جار في الاستعمال الفصيح منذ قرون عدة ، الا ترى ان المعجم قد اخـــلّ بـ « انحبس » و « انحجز » و « انجحر »،وكلّه فصيح جار في اساليـــب المتقدمين ؟ ولعل مما آخذه على اصحابنا المتصدين للتخطئة في عصرنـــا هذا انهم لا ينظرون في اساليب المعربين في المظانّ الادبية واللغويةوالتاريخية غير ما ندعوه « معجمات » . ومن امثلة هذا الكثير مما ندعوه خطأ ، لانه لم يرد في المعجم القديم ، ما قالوا في الفعل « ساهم » بمعنى « شارك » كأن يقال : « ساهم محمد في إنجاز المشروع الثقافي الكبير » بمعنى أنـــه شارك مع غيره من العاملين .

جاء الفعل « ساهم » في لغة التنزيل العزيز في قولـــــه تعالى : « فساهَمَ فكان من المُدْحَضين » . اي قارع اهل السفينة فقُرِع ، في الكلام على النبي يونس — عليه السلام فقال تعالى : « إذ أَبَقَ في الفُلْـــك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتَقَمَه الحوتُ وهو مُليم .(١) »

وفي الحديث الشريف : ان رجلين احتكما الى النبي — صلّى الله عليه وسلّم — في مواريث قد دَرَست،فقال لهما : اذهبا فتوخَّيا ، ثم استَهِما ، ثم ليأخذ كل واحد منكم ما تُخرجه القِسمة بالقُرعة .

---

١ — سورة الصافات ، الايات ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

ان هذا ليشير الى أن الفعل « ساهم » او « استهم » متصل بالمقارَعة التي تقوم على المساهمة،اي المقارعة بـ « السهام » ؛ فأما دلالة المشاركة العامة كما هي الحال في اللغة المعاصرة فقد اخلّ بها المعجم القديم والنصوص القديمة . غير أن اللغة حين اتسعت فيها مجالات القول، وتأثرت بما فُرِضت عليها الحضارات،استجابت للتوسّع الكبير،فاتّسعت ، فكان من ذلك أن يكتب الشريف الرضي الى ابي اسحق الصابي رسالة يعزّيه بفقد ولده فيقول له : وانا المساهِمُ لك في تحمّل النائبة .

لقد اخلّ المعجم القديم بالفعل « شاكَسَ »،وهو معروف مشهور، في حين ورد فيه « تشاكس »،كما في لغة التنزيل العزيز : « ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سَلَماً لرجل هل يستويان مثلاً » . اقول: اذا ورد الفعل « تشاكس »فمن الصحيح أن يكون الفعل « شاكَسَ »،لأن « التشاكس » أن « يشاكس » الرجل آخر . فهل من الحقّ ان نقول إن الفعل « شاكس »،والمصدر المشاكسة،او الشِكاس،من الخطأ لأن المعجم القديم قد اخلّ بها ؟

واذا عرفنا ان قياس المصدر في «فاعَلَ» هو «الفِعال والمُفَاعَلَة»،وجدنا المعجم قد يكتفي بأحدهما،والغالب ما جاء على « مفاعلة »،ويهمل « الفِعال» ؛ كما في « المواظبة » ولم يشر المعجم الى « الوظاب » . ومثل هذا «المباراة» مصدر الفعل « بارى »،يشير اليه المعجم القديم ولا يشير الى نظيره « البِراء » . ونجد « المضاهاة » ولا نجد « الضِهاء » ونجد « المساماة » ولا نجد « السِماء » .

وقد حلا لأبي عثمان الجاحظ ان يستعمل الأبنية القياسية وان لم تكن مما ألفها الاستعمال واشارت اليها كتب اللغة ، فقداستعمل«الخِطار» ولم يقل « المخاطرة »،وهي اشيع في القياس ؛ واستعمل « البراء » ولم

يستعمل « المباراة » (٢) ، ولأبي عثمان نظر فريد في دلالة الألفاظ ؟ لقد فرضت علينا الحياة المعاصرة الفاظا تعد بالمئين بل الآلاف لا مكان لها في المعجم ، فهل جاز لنا ان نعدّها من الخطأ او المولّد او ما شئت ؟ افليس من الحكمة ان يكون لنا معجم جديد يشتمل على المباحثة والمكالمة والمشادّة ونحو هذا ؟ اما ان تقول — حفظك الله — ان هذا خطأ وتجاوز، فما أراك رعيتَ للّغة حقّها وحُرمتَها ، افلستَ ممن حَمَل الضيمَ عليها ووشمها بالتخاذل والضيق ؟!

قلت : إن المتصدّين للتخطئة والتصحيح لم يتجاوزوا المعجم القديم ، ومنهم من لم يُطِل النظر في هذا المعجم فيعرف ما فيه معرفة يستوفي فيها الكلمة واستعمالها . وكيف يتأتّى لفلان او فلان من اصحاب العلم المتصدّين للتخطئة وتقويم اللسان والقلم، وهو لم يستوعب ما جاء في كلام اللــــه العزيز ؟! .

اعرف من خبر احد هؤلاء الفضلاء ، بل من متقدّميهم ممن ضربوا في هذا الامر بسهم صائب ، انه قد شارك في وضع كتاب مدرسي في «البلاغة» مع اثنين آخرين ، فاتفق الثلاثة على ان يضطلع اثنان منهم بوضع مادة الكتاب ، وينفرد صاحبنا المعنيّ بتقويم اللغة واساليب القول والكتابـــة بمراجعة الكتاب . ولما أن تم لصاحبيه وضع الكتاب ، اقبل هو يراجعه فوجد في فاتحته شيئا موجّها الى الطالب جاء فيه :

« فليتدبَّر الطالب هذه الموضوعات ... » . كأن استاذنا الجليل قد هجس في نفسه ان « التدبُّر » في قول كاتب مقدمة الكتاب من الخطـــأ فقـــال : « ان التدبُّـــر » يعني النظر في الأدبار .

اقول : لو ان استاذنا الجليل قد اطال النظر في كتاب الله العزيـــز

---

٢ — لابي عثمان الجاحظ مادة لغوية ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وكنت اشرت الى هذا في كتاب لي ما زال مخطوطا وسميته بـ « معجم الجاحظ » .

لقرا الآية الكريمة : « افلا يتدبَّرون القرآن ... » . ثم انه قد أُثِر عنه انه كان يقول : « يقال هذا الشيء عاديّ » وهو خطأ، لأن « العاديّ » هو الشيء القديم العتيق ، والنسبة الى «عاد» من الأمم البائدة الاولى ، ومن ذلك « العاديات » للنفائس والتحف . لقد قيل له : وكيف النسب الى « العادة » ؟ فلم يكن منه إلاّ أن تراجع وصدَّق .

اقول : إن يبتدر المرء الى القول بـ « الخطأ » شيء يناقض العلم، ذلك ان الإحاطة بالمستعمل وغير المستعمل من الابنية والأساليب أمر عسير ، ومن هنا كان الاقتصار على ما في المعجم القديم لا يحقق غرضا علميا . الا ترى ان المعجم القديم لم يشر الى بناء « فظّع » المضاعف، وقد تحسبه من لغة العوام لانهم يستعملون « التفظيع »، ولكنك تفاجأ حين ترى هذا البناء في « شرح المفضليات » للتبريزي حيث يقول (٣) : « والقصد الى التفظيع .. »

ثم نجد ابن المقفع يقول في « الأدب الصغير » (٤) :

« فالسعيد الفالح ، والمرجوُّ من لم يخصِم » .

لقد اخلّ المعجم القديم بـ « الفالح » اسم الفاعل من « فَلَحَ » ذلك ان في المعجم « افلح » الرباعي ليس غير ، افجائز ان نذهب الى خطأ القول بـ « الفالح »، وقد استعمله ابن المقفع، بحجة ان المعجم لم يشر اليه ؟ ولا بد لي ان اتوجه الى أصحابنا الغيارى على العربية والساعين الى سلامتها فأقول لهم : إن الطريق الى معرفة الصحيح والخطأ في الأبنية والأساليب رهين بالنظر في كتاب الله العزيز، والحديث الشريف، وسائر المواد الأخرى مما اشتملت عليه كتب اللغة والأدب والتاريخ ، وان الاقتصار على المعجمات

---

٣ ــ التبريزي ، شرح المفضليات (بتحقيق البجاوي) ١/٢١٧ .

٤ ــ ابن المقفع ، الادب الصغير (دار الجيل في بيروت) ص ١٧٢ .

اللغوية لا يحقق هذا الغرض العسير .

إن اصحابنا اهل التصحيح وتخيُّر الاساليب القويمة قد وقعوا في أوهام بسبب من نقص ادواتهم . لقد قال احدهم مثلا : إن الصحيح « اجوِزَة السَّفَر » لا « جوازات السَّفَر » والحجة ما جاء في « اساس البلاغـــة »: « وخذوا اجوزة سفركم » ومثله في « التاج » .

اقول : وفات المصحح الفاضل المتوخي استعمال الأبنية الصحيحة ان الجاحظ استعمل في احدى رسائله « الجوابات » (٥) جمعا لـ « جواب ». الا يحق لنا ان نقول بعد استعمال الجاحظ هذا ، بصحة « جوازات » السفر، كما نقول بصحة « اجوزة » السفر الذي جاء ذكره في (اساس) الزمخشري وفي « تاج العروس » .. وقد جمع الجواب على « اجوبة » (٦) ايضا . وكنت قد لاحظت، كما لاحظ غيري، ان اهل التصحيح قد عرضوا لموادّ نجدها مكرّرة مردّدة منذ عصر الحريريّ الى يومنا هذا ؛ فانت تجد ان جُلّهم قال : الحوائج جمع حاجة من الخطأ الشائع ، وإن اثّر في الشيء هو الصحيـــح لا اثّر عليه . ولا يشير المتأخر من هؤلاء الى ما ذكره المتقدم حين يعود الى القول نفسه .

وسأعرض لنماذج من هذا الذي تردّد في مصنَّفات اصحابنا الذيـــن تصدّوا الى تصحيح الأبنية والاساليب . وليس غريبا ان اقول : إن طائفة كبيرة مما ذهبوا فيه الى الخطأ قد ورد في كتب الأدب والتاريخ واللغة ، ولكنهم حين اقتصروا على المعجمات فاتهم علم كثير • على أن من الحـــق ان أقول إن بينهم من كان دائم النظر في كتب الادب والتاريخ واللغة ، ولكن الاحاطة والشمول أمر معجز ، فنقصّر كما قصّر غيره .

---

٥ ــ الجاحظ ، فصل من صدر كتابه في الجوابات في الامامة (المورد ج ٧ ، ١٩٧٨) .

٦ ــ ولابي حامدالغزالي كتاب عنوانه « الاجوبة الغزالية في المسائل الاخروية » ط . مصر ١٣١٩ هـ .

قال غير واحد من الأساتذة العلماء في مادة التصحيح :

يقولون : تسرَّب اليه بمعنى تسرَّب فيه، والثانية هي الصواب. اقول اذا كان السابق المتقدم قد اشار الى هذا، فلِمَ يتكثَّر علينا من جاء بعده فيحشُر هذا في مادته دون ان يشير الى سابقيه ؟ وقال الشيخ ابرهيم اليازجي في « لغة الجرائد » (٧) : ويقولون : تخرَّج على فلان ، وتخرَّج في مدرسة كذا وهو خرِّيج فلان .

وخلف بعده جماعة فأعادوا المسألة مع خلاف ، فقال احدهم : تخرَّجَ فلان في الكلية الفلانية وليس تخرَّجَ من الكلية .

اقول : والذي وقفت عليه في كتب الرجال اني قرات كثيرا وتخرَّجَ به جمهرة من العلماء .

واذا كنا قد عرفنا في باب التضمين قوله تعالى : « عَيْناً يشربُ بها عبادُ الله » فهل ترانا انصفنا العربية وانصفنا انفسنا ؟ افلا يكون من الجور ان نتشدَّد الى هذا الحد ؟ قالوا : لقد حجَّرتُ واسعا.

وقالوا : من الصواب ان نقول : تعرّفتُ الامورَ لا تعرَّفْتُ بها .

إنّ من المتقدمين في عصرنا من قال بهذا، الشيخ ابرهيم اليازجي في « لغة الجرائد » (٨) :

ويقولون : تعرَّفت على فلان اذا احدثت به معرفة ، وهو من التعبير العامي .

ومرجع الشيخ اليازجي والذين أعادوا مقولته هو المعجم القديم . ولكن الأساليب تتغير، وان المعربين يصيرون الى انماط من الاعراب تخالف ما درج عليه متقدموهم . ولست اذهب مذهب اللغويين الأوائل فأحظر ان

---

٧ ــ ٨ ــ اليازجي ، لغة الجرائد ص ٥٤ .

يؤخذ بأقوال من سمّوهم « مولّدين » او « مُحدَثين » ؟ تلك شنشنة قديمة عفّى عليها الزمان ؛ أفلا ترى أن من التعسف الكبير الاّ ناخذ بقول أبي الفرج الاصبهاني، صاحب « الاغاني » الشهير، في اخبار « عُبادل » ونسبه وهو قوله : « فحرّكت بعيري لاتعرَّف بهنَّ وانشدهنّ » ؛ ومثل هذا ما قراناه في « نفح الطيب » ، في الكلام على يوسف الدمشقيّ : وكان من الذين اخفاهم الله لا يتعرَّف به الا من تعرَّف له (٩) .

ومما كرَّره غير واحد من غير اشارة الى المتقدم السابق قولهم : دَعَسَتْه السيارة لا دَهَسَتْه .

وقولهم : كتاب شائق لا شيِّق .

وقولهم : « ثُكْنة الجنديّ »، بضم الثاء مع سكون الكاف لا « ثَكَنة » بفتحتين .

وقولهم : « فلان يرأَس اللجنة »، بفتح الهمزة، لا « يرئِس » بكسرها .

وقولهم : « كابدَ فلان العذاب » لا « تكبَّد » .

وقولهم : « استُهتِرَ بالخمر » لا « استَهتَرَ » .

لقد كان ممن نبّه على هذا من السابقين ، ابو الفرج بن الجوزي في كتابه « تقويم اللسان » ؛ قال ناقلا عن غيره : « تقول استُهتِر فلان بكذا » بضم التاء الاولى وكسر الثانية على ما لم يُسَمَّ فاعله، والعامة بفتح التاءين (١٠) .

وكان الاساتذة قد وقفوا على ما في « لسان العرب » حين صححوا هذا الخطأ الشائع ، لقد جاء في « اللسان » الحديث الشريف سبق

---

٩ ـ من كتاب « الاستدراك على كتاب قل ولا تقل » للاستاذ صبحي البصام ص ٩٠ .

١٠ ـ تقويم اللسان (دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٦) ص ٧٧ .

المُفرِدون ؛ قالوا وما المُفرِدون ؟ قال الذين أُهتِروا في ذكر الله . وجاء في حديث آخر : هم الذين استُهتِروا بذكر الله، اي اولِعوا به . كما جاء في « اللسان » وفلان مُستَهتِر بالشراب، اي مولَع به .

ومما ردده اصحاب التصحيح من اقوال يأخذها لاحقهم عن سابقهم قولهم :

اسِّسِت المدرسة لا تأسَّسَتْ .

و « ما زال الخلاف قائما » وليس « لا زال الخلاف قائما » .

و « هو عائل على غيره، وهم عالة على غيرهم » وليس « هو عالة على غيره » .

و « ينبغي لك » لا « عليك » . و « صادَرَه على المال واستصفى ماله » لا « صادَرَ ماله » .

هذه جملة موجزة لمواد ادرجت في كتب التصحيح في عصرنا هذا، يرددها غير واحد منهم مع أن شيئا منها قد تنبَّه له المتقدمون .

واريد أن اعرض لنمط آخر ممّا لم يُرِد في هذه الكتب، بل اختصّ به علم من الاعلام من اهل الفضل والدراية والتبحُّر .

قال — رحمه الله —

قل : « ايُّما افضلُ العلمُ ام المالُ » ولا تقل « ايُّهُما افضل العلم ام المال » . والحجة أن « هما » في قولك « ايهما » ضمير يعود الى اسم ظاهر متأخر عنه لفظا ورتبة عودا غير مجاز .

وقال : « ان التركيب مخالف للمنطق اللغوي » .

اقول : إن ما ذهب اليه الأستاذ الجليل هو الأسلوب الفصيح الذي نجده في كلام المتقدمين الفصحاء ؛ غير ان الوجه الآخر الذي شدّد النكير

عليه مما نواجهه في كلامهم ايضا،فمن ذلك ما جاء في اخبار ابي عمرو بن العلاء : انه كان يخاف الحجاج بن يوسف ، فكان يتستّر . قال : فخرجت في الغَلَس أريد التنقل من الموضع الذي كنت فيه الى غيره فسمعت منشدا ينشد :

رُبَّما تكرَهُ النفوس من الامـــر له فَرْجَةٌ كحلِّ العِقالِ .

وسمعت عجوزا تقول : مات الحجّاج ، فما أدري بأيِّهما كنتُ أسَرُّ - أبقول المنشد « فَرْجَة » بالفتح ، أم بقول العجوز : مات الحجّاج ؟ (١١)

ولقد استدرك الأستاذ صبحي البصام على استاذه الدكتور مصطفى جواد — رحمه الله — شواهد كثيرة تشير الى أن ما انكره،وهو القول « ايهما » كلام فصيح وارد في كلام المتقدمين الفصحاء ، ومن ذلك :

١ — جاء في « نهج البلاغة » : وسئل عليه السلام ، ايُّهما افضل العدل او الجود . ؟

٢ — وفي طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي : « ان أبا العطاف قال : إن شابا لقي الفرزدق ، فقال له : ايهما احبّ اليك،تسبق الخير أو يسبقك » ؟

٣ — وفي « الاغاني » : انَّ ام عمر بنت مروان قالت لطُوَيس المغنّي، ايهما احبُّ : العاجل ام الآجل » ؟ (١٢)

واستوفى الأستاذ البصام من هذا خمسة عشر موضعا كلها تؤيد استعمال « ايهما » وعودها على الضمير المتاخر .

---

١١ — الزبيدي ، طبقات النحويين ص ٢٩ .

١٢ — البصام ، الاستدراك ص ١٣ — ١٤ .

ان هذا يعني ان العربية وإنْ دَرَجت في سننٍ واضح من النظام النحوي في نظم الكلم في الجمل المفيدة ، تبتعد كثيرا عن هذا السنن في طائفة من وجوه القول . ثم الم نذكر ان النحاة حين رسموا القاعدة في عدم عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، اشاروا في الوقت الى شواهد ما جاء شاذا عن هذه القاعدة النحوية كقول ابي الأسود الدؤليّ يهجو عديّ بن حاتم الطائي، وقد نسبه ابن جني الى النابغة الذبياني :

جزى ربُّه عنّي عَديَّ بنَ حاتمٍ جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَلْ

وكقول حسان يرثي مُطعم بنَ عدي احد اجواد العرب :

ولو أن مجدا اخلَدَ الدهرُ واحدا من الناس أبقَى مجدُهُ الدهرَ مُطْعِما

وقال — رحمه الله — :

قل : « السكك الحديد ولا تقل : السكك الحديدية » .

وقال شارحا العلّة : وذلك لأن السكك المذكورة مصنوعة كلها من الحديد ولم يُضَف اليها شيء آخر من الفلزات والمعدنيات .

وهو يقول : إن الناس اتبعوا في هذا الخطأ ما جاء في « تذكرة الكاتب » لأسعد خليل داغر .

وقد عرض لهذا القول الأستاذ البصام فجاء بشواهد من الشعر والنثر ما يردّ به مقولة الدكتور مصطفى جواد، وخلص منها الى ان السكة الحديد والسكة الحديدية كلاهما فصيح (١٣) .

وقال — رحمه الله — :

« قل اجاب عن السؤال ، ولا تقل اجاب على السؤال » .

---

١٣ — البصام ، الإستدراك ص ٢٣ — ٢٤ .

اقول : إن القول بفصاحة الاستعمال الاول صحيح مليح، ولكن الاستعمال الثاني قد ورد في نثر المتقدمين كما ورد الاستعمال الأول، والشواهد كثيرة في كليهما .

ثم ان لاستعمال حروف الجر في العربية طرائق عدة تظهر ان بعضها ينوب عن بعض ويحلّ محله . وما القول بـ « التضمين » في هذه الأدوات الا مظهر من مظاهر التطور اللغوي ، فاذا كان التضمين جائزا وقد عرض للعربية في عصورها المتقدمة ، فلِمَ لا نقبل حلول « على » محل « عن » مثلا في قولنا : اجاب عن السؤال او على السؤال ؟

ولِمَ لا نقول : وفق الحاجة تأسّياً بأبي عثمان الجاحظ كقوله في رسالته « استنجاز الوعد » « واسماؤكم وكُناكم بين فَرَحٍ ونُجحٍ ، وبين سلامةٍ وفضلٍ ، ووجوهكم وُفق اسمائكم، واخلاقكم وفق اعراقكم » (١٤)

ومجيء « وفق » من غير أن يسبقها « على » كثير ، فهل آن للمتصدين للتصحيح ان يعيدوا النظر في مناهجهم ويتعقبوا النصوص في كتب الأدب واللغة والتاريخ ؟ .

ثم انهم لم يأخذوا في ان « الايجاز » هو من البلاغة في الأساليب العربية حيث يجب الايجاز . ومن الايجاز البليغ قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلا » اي من قومه . ان حذف الجارّ تفرضه علينا البلاغة العربية فنقول : حَدَثَ اثناءَ ذلك ، او خلال ذلك ، وهو ابلغ مما نقول : « في أثناء » أو « في خلال » .

ولقد عُني بموضوع التصحيح في عصرنا جمهور من العلماء من اهل الفضل والدراية، حتى اذا توفّاهم الله خَلَفَ من بعدهم خلفٌ لم يكن لهم

---

١٤ ـ مجموعة رسائل الجاحظ ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ص ١٧٥ .

من العلم ما كان لأولئك،فتعجلوا الطريق فكانوا كحاطب الليل،وعادوا الى ما سطّره اولئك الأعلام فزادوه عبثا .

لم يكن هذا الخلف على علم بالعربية ، معتمدا على كثير من المواد التي توزعتها كتب الأدب والتاريخ . ومن أجل ذلك اقتصر جلّهم على مادة من سبقهم فرددوها غير مشيرين الى أصحابها ، ثم انهم يصلون الى تلك المواد بلغة العصر الجديد التي كثر فيها التجاوز بل الخطأ .

ان أحدهم يستعمل « التصويب » وهو يريد به « التصحيح » ،وهذا من لغة العصر ؛ فالتصويب ان تصوّب كلاما اي تجده صوابا وتعدّه صوابا، كأن يقال : ابدى فلان رايه فصوّبتُه . وان آخر يستعمل « الكواهل » فيقول : « كواهل عقولهم » وما ادري أعرف صاحبنا معنى « الكاهل » أم جهله ؟ واذا كان قد عرفه فهل جائز استخدام هذه الاستعارة في حدود العقل ؟ وكيف يكون للعقول « كواهل » ؟

وكيف يتأتّى هذا وقد عاب النقاد المتقدمون على أبي تمام قوله :

يا دهرُ قَوِّمْ من أخدعَيْكَ فقد ... اضجَجْتَ هذا الأنامَ من خُرُقِك

لقد هالهم أن يكون للدهر « أخدعان » كما يهولنا الآن ان نعير « العقول كواهل » . ويستعمل هذا النفر كلمة « التشويش » ، وهذه الكلمة عامية في عصرنا هذا ، يقال : « حدث تشويش في البلد » اي اختلاط واضطراب . ولقد عدّ اللغويون المتقدمون هذه الكلمة من العامية . قال ابن الأنباري : اجمع اهل اللغة على أن « شوّش » عامية (١٥) ووهم الجوهري في عدّها في جملة الفصيح الصحيح . اترى بعد هذا أن من الفصاحة ان نستعمل هذه في كتاب لغوي انصَرَف لتصحيح الأبنية والأساليب ؟! .

---

١٥ ـــ انظر اللسان (هوش) .

و « التشويش » نظير « الفوضى » وقد استعملت « الفوضى » في المعنى نفسه ، والأصل فيها الجمع ، والمفرد « فضيض » ، ثم عرض لها الابدال ، فاذا قلنا : « الناس فوضى » فالمعنى : متفرقون مختلطون . قال الأفوه الأودي :

لا يصلُحُ الناسُ فوضى لا سَراة لهمْ ولا سَراةَ اذا جُهّالُهم سادوا

ولست أرى ان يضطر مُعرِب في كتاب في اصول العربية ان يستعمل « القرون الوسطى » مستعيرا هذا المصطلح من التاريخ الغربي المسيحي.

ثم اليس من التساهل والتعسف ان تستعمل وصف « الاملائية » للاخطاء فنقول : « الاخطاء الاملائية »؟ إن مصطلح « الاملائية » مأخوذ من مادة « الاملاء » وهو ان المعلم يملي على تلامذته ليختبر معرفتهم بـ « رسم » الحروف ؛ وعلى هذا لا يمكن ان ينصرف « الاملاء » الى معنى رسم الهمزة والألف المقصورة كأنْ ترسم الفا قائمة أو برسم الياء ونحو هذا . ويستعملون « الاستعجال » بمعنى العجلة فيقولون : « ان هذا الكتاب يعين المستشير المستعجل » . وكان الصواب أن يقال « العجلان » لأن الاستعجال والاعجال والتعجل بمعنى الاستحثاث وطلب العجلة . واعجله وعجّله واستعجله اذا استحثّه وطلب العجلة .

ومن العجب أننا نقف على اخطاء يذكرها هذا النفر لا نراها الا في كتبهم ، وهي إنْ وُجِدَت ففي استعمال الصبية او قل العوام ؛ وإلاّ فمن يقول « المروءة » بفتح الميم أو « الخراج » لما يخرج من القرح أو شبهه ، بفتح الخاء ؟

واني لأعجب من طائفة منهم في قولهم يقال : خرج عن القانون ولا يقال : خرج على القانون . ولو قرأ هؤلاء في كتب التاريخ وأحصوا الخارجين على السلطان في عصر بني أمية وعصر بني العباس لوجدوا جمهرة من هؤلاء كلهم « خارج على السلطان » . ولا يعني هذا ان المرء حين يقول :

« خرجت عن الحد اللائق » مخطىء ، فكلاهما صحيح ، ولكل توجيه في الدلالة والمعنى ؛ فاعرف ذلك ـــ رحمك الله ـــ

ولم اكن أقصد الى استيفاء هذه المواد،ولو قد فعلت لكان لي منـــه كتاب برأسـه ما زلت احتفظ بمواده ، ولكني اقول : إن المعربين في العربية قد ضاقوا بها ذرعا فلم تسلس لهم،ولم تسلمهم قيادها لانهم لم يملكوها ولم يشقوا بالنظر في مصادرها .

واذا لم يكن هذا فكيف اقرا في مجلة مغربية ان احدهم كتب : لقد خلا الوطاب وتنوعت الأسباب وكثرت السبل . . .

اقول : إن صاحب هذا الكلام لا بد أن يكون قد فهم أن « الوطاب » مفرد لا جمع ل « وطب » ، ومن اجل هذا لم يلحق الفعل « خلا » بتـــاء التأنيث،في حين ان الفعل الذي اتى بعده مقترن بالتاء في قوله : « وتنوعت الاسباب » وبعده « وكثرت السبل »،مع أن الأمر جائز مع الفاعل اذا كان جمعا مكسرا . غير ان التزام تاء التأنيث في الجملتين مع خلو الاولى منها يشعر ان المُعرِب حَمَل « الوطاب » على الافراد والتذكير ، وهو في حقيقته جمع . قال تأبط شرا :

اقول للحْيانٍ وقد صَفِرَتْ لهـــــم وطابي ويومي ضيِّق الحُجر مُعوِرُ

ومثل هذا استعمالهم « اذ »،وهو ظرف للزمان الماضي،استعمـــال « اذا » الشرطية فيقولون : « واذ لم يتهيأ لي العمل في بغداد فقد غادرتها الى . . . » .

والصواب « اذا » اما « اذ » فكقوله تعالى : « ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنـــا بعد اذ هديتنا » .

وبعد فهذه إلمامة موجزة بشيء يتّصل بمبحث سلامة العربية ونهج المعنيين فيه،لم ارد منه أن اقسو على احد من العاملين ، وفقهم الله لخير هذه اللغة الشريفة .

الدكتور ابرهيم السامرائي

العرب وتراث فارس في العصر الحديث

للدكتور يوسف حسين بكّار
(جامعة اليرموك / الأردن)

ثمة ظن قديم جديد يسود اوساط كثيرين من ادبائنا ومثقفينا، خلاصته أن اهتمامنا باللغات الشرقية عامة، وصلاتنا بآدابها وتأثرنا بها، ضعيفة، بل هي اقلّ بكثير من اهتمامنا وصلاتنا وتأثرنا بلغات الغربيين وآدابهم(١). قد تكون لهذا الظن وجاهته وصدقه في شِقّه الاخير عند من يتابعون مسيرة المتخصصين منا باللغات الشرقية وآدابها، والفارسية خاصة، أما الذين لا خَبَرَ لديهم بهذا ولا خُبْر، فهم آخذون — ولا شك — بشقّي الظن كليهما.

هذا الظن هو الذي دعاني الى التفكير في موضوعه، ومحاولة العمل على نفيه او التخفيف من حدته وسطوته على الاقل، الى أن تمخّض عنه هذا البحث، الذي يؤكد بوضوح عنايتنا بالفارسية وصلاتنا بآدا بها، وتأثر بعض ادبائنا بها، في القرنين التاسع عشر والعشرين خـ ة، وأن يكن التأثر اقل من نظيره بآداب الغرب (٢).

البحث في حقيقة امره مقدّمة لعمل علمي اكبر واشمل اسميته «العرب وتراث فارس — في القرنين التاسع عشر والعشرين» وهو عمل ببليوغرافي ادبي وصفي نقدي لجهود باحثينا المعاصرين في لغة الفرس وتراثها، تقديماً

١ — انظر، مثلا: رجاء النقاش، موقفنا من الآداب الشرقية، مجلة الدوحة، السنة الثالثة، العدد ٣٤، اكتوبر ١٩٧٨، ص ٥٤ — ٥٧.

٢ — سوف اعرض لهذا الموضوع في بحث مستقل ان شاء الله.

والحديث . وهو أصدق برهان على صلات العرب العلمية والادبية بواحدة من أعرق اللغات الشرقية وتراثها المتشعب الفنون والموضوعات ، اتيح لها أن تتأثر بلغتنا وآدابنا وتؤثر فيهما ايضا ، فكان العطاء — وما زال — خصبا ، والعناق مستمرا .

القسم الاول

الوشائج الثقافية والعلمية بين العرب والفرس

(مظاهرها وأنواعها وازدهارها)

العلاقة بين الأمتين العربية والفارسية بعيدة الغور في جـــذور التاريخ ؛ فهي وان تأرجحت بين مدّ وجُزْر في الجاهلية ، فقد اخذت تتوطد وتتقوى بعد ان دخل الفرس في دين الله افواجا ، وبعد ان تعانقت الأُمّتان تحت شعار « اللـهأكبر » في ظلال دستور الاسلام وكتابه الخالد القرآن الكريم .

لقد كان لكل من الفترتين الجاهلية والاسلامية وسائل اتصالوضروب تأثير وتأثر بين الأمتين . لكن تلك الصلات والعلاقات كانت اصلب واقوى في الاسلام، مما جعل تأثير الفرس في العرب حينئذ اوسع واعمق منه في الجاهلية ، كما أن آثار العرب في الفرس لم تكن تقلّ عما نقلوه منهم ، ان لم تزد عليه شمولا وعمقا وسعة ، فيما يقول الدكتور احمد الحوفي (٣) .

ولسنا في حاجة الى الاسهاب في الحديث عن هاتيك العلاقـــات والصلات القديمة في الجاهلية والاسلام ، فاخبارها مبثوثة في امّهات كتـب التراث الاسلامي والعربي ، فضلا عن دراسات حديثة قيّمة تعهدت دراسة تلك العلاقات والصلات وبحثها نشاة وتطورا وتحليلا .

---

٣ — تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، ص ٤ .

ليس غريبا أن يصادف تاريخ العلاقات بين العرب والفرس حينا من الدهر ، تضاءلت فيه الصلات بين الثقافتين العربية والفارسية عن غير قصد . ولقد كان مرجع هذا كلّه السبات العميق والركود الطويل اللذين ابتليت بهما الأمة العربية في مرافق حياتها المختلفة،من سياسية وثقافية وعلمية وادبية وغيرها ، في فترة سماها العرب انفسهم « الفترة المظلمة » او « فترة الركود » .

وليس غريبا ايضا أن يكون علم العرب بشؤون الأدب الايراني قبل النهضة ضيقا محدود الوسائل . يقول المرحوم طه حسين : « وقد كان علمنا بشؤون الأدب الايراني ضيّقا محدود الوسائل،لا نستطيع أن نتلمسه عند أهله وانما نتلمسه عند الانجليز والفرنسيين والالمان الذين سبقونا ـ مع الأسف ـ الى العلم بهذا الادب وتذوّقه.ويكفي،اننا عرفنا أول ما عرفنا عمر الخيام في هذا العصر الحديث عن طريق التراجم الانجليزية ، وعن طريق ما كتب عنه الانجليز (٤) .

وعلى الرغم من كل الظروف والملابسات التي ألمحنا اليها ، فان الصلات لم تَنبتَّ كلّياً ، بل ظلّت اشتات منها قائمة ؛ وكان للغة الفارسية شيء من مكانة . فكثرة المتعلمين والشعراء العرب في الدولة العثمانية الى بدايات القرن العشرين كانوا يعرفون الفارسية (٥) ، لأن التركية والفارسية كانتا متلازمتين ، وكان الأتراك يعدّون الفارسية أصلا لثقافتهم (٦) ، وكان العلم بها « ضرورة ثقافية لا غنى لتركي عنها ، وكانت

---

٤ ـ من مقدمته لكتاب « حافظ الشيرازي » ، للشواربي .

٥ ـ محمد كفافي : في الأدب المقارن ، ص ٣٠١ .

٦ ـ فؤاد عبد المعطي الصياد : دور الفرس في بناء الحضارة الاسلامية في كتاب : الصلات الثقافية بين ايران والعرب ، ص ١٢٩ .

الفارسية عندهم لغة الفصحاء»(٧) : ومن هؤلاء جبرائيل المخلّع السوري، الذي ربما كانت ترجمته لگلستان سعدي الشيرازي،بالنظم والنثر المسجّع، أول ترجمة من الفارسية الى العربية في الأعصر الحديثة ؛ وميخائيل عوراء اللبناني ، الذي كان يحسن الانشاء بالعربية والتركية والفارسية (٨) ، والأديب اللبناني أحمد فارس الشدياق ، والمصلح والأديب السوري عبد الرحمن الكواكبي (٩) ، والشاعر المصري محمود سامي البارودي ، والشاعرة المصرية عائشة التيمورية ، وعدد غير قليل من علماء العراق و « ساداته » وشيوخه ممن كتبوا بعض اعمالهم بالفارسية ، وخاصة من كان منهم من أصول فارسية .

فالبارودي ، مثلا ، كان يتقن ، فضلا عن التركية والانجليزية ، الفارسية (١٠) التي لقِنَها في اثناء مقامه بالآستانة (استانبول) ، واطّلع على آدابها ، واستظهر شعرها ، ونظم بها وبالتركية ايضا شعراً ، وتاثر ببعض أشعار شعرائها (١١) ، وترجم شيئا منها شعراً.ومما ترجمه ،دون أن يدل على صاحبه (١٢) :

هتف الديكُ سُحْرَةْ ... فأصطبحنا لهتفه
بشرابٍ كعينه ... وكبابٍ كعُرْفه

٧ ــ حسين مجيب المصري : ايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٣٣ .

٨ ــ لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ٧ .

٩ ــ جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ١ : ٣٢٣ ، الطبعة الثالثة، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٢٢ .

١٠ ــ لويس شيخو : الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، ص ١١ ، وجرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق ٢ : ٢٩٩ .

١١ ــ محمد حسين هيكل : مقدمة ديوان البارودي ١ : ١١ دار المعارف ١٩٧١ ، وحسين مجيب المصري : ايران ومصر عبر التاريخ ٣٤ ــ ٣٥ .

١٢ ــ ديوان البارودي ٢ : ٢٩٥ .

وكالبارودي، كانت عائشة التيمورية (١٨٠٤ — ١٩٠٢)،التي عاشت في استانبول حوالي عشرين سنة او تزيد ، تعرف التركية والفارسية ، فضلا عن العربية . ونظمت الشعر باللغات الثلاث جميعا (١٣) . غيرانها ذكرت في مقدمة ديوانها بالتركية انها القت — بعد وفاة ابنتها — ديوانها بالفارسية في النار صفحة صفحة، ليحترق كما احترقت فلذة كبدها « توحيدة » ، فتلاشى شعرها الفارسي ، ولم تُبْقِ منه الأيام شيئا (١٤) .

ويقال إن عراراً ، مصطفى وهبي التل شاعر الأردن (١٨٩٧—١٩٤٩) شغف بالفارسية بعد أن قرأ رباعيات الخيام التي ترجمها الشاعر الفلسطيني وديع البستاني ، فعمد الى تعلمها ليقرأ الخيام بلغته الأم ،ومن ثم نفذ الى ترجمة رباعيات الخيام نثرا (١٥) ، هي التي نشرها في مجلة « مينرفا » اللبنانية (عدد تشرين عام ١٩٢٥) التي كانت تصدرها السيدة ماري يني عطا الله . وهاهو ذا يتحدث عن معرفته بالتركية والفارسية، وعن ترجمته الرباعيات : « انني اتقن التركية اتقانا لا بأس به ، والتركية كما لا يخفى على من عرفها،تتألف من ثلاثة احدها فارسي ، كما تتألف الفارسية من ثلاثة أحدها عربي. فمن انضمام معلوماتي الفارسيةالمستقاة من علمي بالتركية والعربية،الى معلوماتي الخاصة الضئيلة بالفارسيةكانت ترجمتي اقرب الترجمات المعروفة (في زمانه) للأصلالفارسي (١٦)».ولم

---

١٣ — لويس شيخو : الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، ص ١٦ ، ومي زيادة : شاعرة الطليعة عائشة تيمور ، ص ١١٧ — ١١٨ (دار الهلال) ، وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص ٤ المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٦٧ م .

١٤ — حسين مجيب المصري : في الادب العربي والتركي ص ٣١ ، وايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٣٥ .

١٥ — يقال انه ترجمها قبل هذه المرة في عام ١٩٢٢ عن التركية (البدوي الملثم : عرار شاعر الاردن ، ص ٩٤) .

١٦ — البدوي الملثم : عرار شاعر الاردن ، ص ٩٣ .

يُخِلُّ انشغال الشاعر بالخيام ورباعياته من أن يترك آثارا في سلوكه وشعره ، والأمثلة على تأثره بالخيام (أو بما نسب اليه) كثيرة (١٧) .

يقول عرار :

كوخنا يسمو على القصر المنيفْ
كل ما فيه جميل وظريفْ
تلكمُ دنياكمُ قد بِعْتُها
انا بالدنِّ وذيّاك الرغيفْ
يا نديمي ان عيشي اليوم طابْ

ويقول الخيام :

واخلُ بي نحسو شرابا عتقا
ثم نلهو بنشيد نمقا
ورغيفٍ تحت ظل اورقا
وأَشُدُّ بالالحان ، يرتدُّ الخلا
جنّةً راق بها الحسن وراعْ

ويقول عرار :

وحياتي : لا تسل عن كنهها   إنّها حانٌ والحانٌ وَصَدْحُ !

ويقول الخيام :

يعلم الله انني سكيرُ   وهو امر عند العليم يسيرُ

---

١٧ ـ المصدر السابق ٧٦ ـ ٨٤ .

ونظيري بين الكرام كثير   وزقاقي مملوءة ودناني

وانا أشرب الكؤوس امتثالا !

ومن شعرائنا في هذه الايام من ينظم الشعر بالفارسية ، ومن هؤلاء الدكتور حسين مجيب المصري،صاحب المؤلفات الرصينة في الآداب الثلاثة: العربية والفارسية والتركية،ويقال إن له ديوان شعر بالفارسية لمّا يطبع (١٨) . وهو ، علاوة على ذلك ، من أكثر شعراء العرب المعاصرين تأثرا بالشعر الفارسي في شعره العربي والفارسي ، سواء في انتخاب عناوين دواوينه،من مثل : « شمعة وفراشة » (١٩٥٥) ، و « وردة وبلبل » (١٩٥٨) ، و « حسن وعشق » (١٩٦٣) ، و « همسة ونسمة » (١٩٦٤)، أم في أفكاره ومضامينه . وكثيرا ما كان يكشف هو نفسه عن تأثراته الفارسية في هوامش أدواوينه (١٩) . ومن شعره المتأثر بالفارسية (٢٠) :

أدِرْ كأساً على ذكري	والهم خاطري شعرا
بِشَعْرِك مِلْ على راسي	وأَوْدِعْ مُهجتي سِرّا
لأنسى المُرَّ من ياسي	وتنفحُ روضتي عطرا
وزيِّنْ مجلس الانس	بزهر الخَدِّ محمرّا
والقِ الشمس في كأسي	شعاعاً منك او تِبرْا
فشمعة ليلنا ذابت	وحسنك يظهر الفجرا

---

١٨ — انظر من شعره الفارسي : قصيدة ((ونام)) (الاخاء ، السنة ١١ ، العدد ٢٠٠ ، آب ١٩٧١) وقصيدة ((خير مقدم)) — اهلا وسهلا — (الاخاء ، السنة ١٢ ، العدد٢٤٧، ايلول ١٩٧٢) .

١٩ — راجع : وحيد الدين بهاء الدين : شخصيات من الادب المعاصر ، ص ١٦٠ — ١٦٢ ، حلب ١٩٧٠ ، والدكتور المصري نفسه : ايران ومصر عبر التاريخ ، ص ٣٦ — ٤٠ .

٢٠ — ايران ومصر عبر التاريخ ٣٧ — ٣٨ .

فراشة قلبنا طافت بثغرك يضرم الجمرا
تَوامك سَرْوةٌ مالت وهزّتْ عطفها سكرا
أفي الجنّات قد كانت ترشف ماءها خمرا
أَعِدْ ماضي ليالينا ربيعاً عاد مخضرّا
فكأسك تلك تحيينا غماماً يسكب القطرا

فمطلع القصيدة متأثر بأحد ملمّعات (٢١) حافظ الشيرازي « الا ايها الساقي أدر كأسا وناولها » ؛ وبيتها الثاني يرنو الى قول الشاعرالايراني نفسه « ومال على اذني ، وقال بصوت عميق الحزن : يا عاشقي منذ طويل زمان ، أنت الآن وسنان ».وكذا الامر في سائر مضامين القصيدة ورموزها؛ فالعطر في شعر الفرس الصوفي رمز لنشوة العشق الالهي ، وشرب الخمرة وحي الى التمذهب بالتصوف . فالصوفية ، وان ذكروا الخمرة بأسمائها وأوصافها ، فانهم يرمزون بها الى ما أفاء الله عليهم من معرفة او شوق.وما أكثر تردد ذكر « الفراشة والشمعة » في حنايا الشعر الفارسي ؛ فالفراشة عند الفرس قلب العاشق الذي يحترق في ضرام العشق الالهي ، والمرأة طيف خيال ؛ وهم يشبّهون القامة المشوقة بشجرة السرو ، في حين شبّهها العرب بغصن « البان » .

انه لمن الطبيعي أن يتأثر شاعرنا بالأدبين التركي والفارسي بعد أن طوى ما يقرب من نصف قرن في حدائقهما الغنّاء وبساتينهما الوارفة الظلال .

ومن أنواع الصلات الأخرى في القرن الماضي واوائل هذا القرن

---

٢١ ــ الملمّع : شعر مختلف اللغة ، فيه شطر عربي وآخر فارسي ، او بيت عربي وآخر فارسي . وهو كثير في الشعر الفارسي والتركي .

ايضا ، وهو ما يعدُّ دليلاً حيًّا على اهمية الفارسية وآدابها عند العرب ، مسألة طباعة الكتب الفارسية في البلدان العربية ، وطباعة الكتب العربية في ايران . فقد كان للكتاب الفارسي — على قلّة المطبوعات عموما آنذاك — نصيب فيما كانت تخرجه المطابع العربية . يقول لويس شيخو:« وكانت مطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربى على الخمسين في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية (٢٢) ، ويقول عن الفترة ما بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٥٠ م ، إن مطبعة بولاق أبرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتى بالعربية والتركية والفارسية (٢٣) .

ويقال إن اول كتاب فارسي طبع بمطبعة بولاق بمصر هو كتاب « تحفة وهبي — في تعليم اللغة الفارسية » الذي طبع عام ١٢٤٣ هـ.اي قبل أكثر من قرن ونصف ، ثم تلته طباعة كتب ودواوين اخرى في مصر — في بولاق وغيرها — لأمثال فريد الدين العطار ، وسعدي الشيرازي ، وحافظ الشيرازي ، وغيرها من المؤلفات الحديثة ؛ وقد تتبّعها مبشر الطرازي تتبعا تاريخيا ، واثبتها في بحثه عن « الكتاب الايراني في مصر » (٢٤) . وقد انصرفت العناية منذ حوالي قرن من الزمان الى إعداد فهارس بما في دار الكتب المصرية سابقا (دار الكتب والوثائق القومية حاليا) من كتب فارسية ، فأُعدَّ هذان الفهرسان :

١ — فهرس الكتب الفارسية الموجودة بدار الكتب . إعداد الداغستاني عام ١٣٠٦ هـ .

٢ — فهرس الكتب الفارسية بدار الكتب (الجزء الثاني) عام ١٣٥٨ هـ .

ويذكر مبشر الطرازي في بحثه السابق أن قسم الفهارس الشرقية

---

٢٢ — الاداب العربية في القرن التاسع عشر ١ : ٢٠ نقلا عن : المجلة الاسيوية الفرنسية Journ. AS. 1843, 11,31 - 38

٢٣ — المرجع السابق ١ : ٤٨ نقلا عن : Journal. AS. 1843 24 - 61

٢٤ — راجعه في : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ، ص ١٥٧ — ١٥٩ .

بدار الكتب أَعَدَّ – تحت اشرافه – فهرسا بالمطبوعات الفارسية فيها منذ تاسيسها الى عام ١٩٧٠ (٢٥) .

وكانت مصر كذلك ، الميدان الثاني ، بعد تركية ، للصحافة الفارسية خارج ايران ؛ حيث أصدر الايرانيون فيها خمس صحف (٢٦) ، كانت صحيفة « حكمت » (الحكمة) أولها ، وقد صدر اول عدد منها في ١٩أيلول (سبتمبر) عام ١٨٩٢،في عهد الخديوي عباس حلمي باشا . وصاحب هذه الجريدة الدكتور ميرزا محمد مهدي التبريزي،الذي انتقل من استانبول الى القاهرة ، ودرس الطب في « القصر العيني » ، ثم مارسه طيلة اقامته بمصر . ويقال إنه قامت بين هذا الطبيب والامام محمد عبده صداقة امتدت اربعين عاما ، وكان من اثر الامام في صديقه الفارسي تأليف الأخير، بالعربية ، كتاب « مفتاح باب الأبواب »،عن تاريخ الحركة البابية والبهائية ، وقد طبع بالقاهرة . وكان مهدي التبريزي يرمي من انشاء صحيفته الى إحداث تحول في ايران والبلدان الاسلامية ، وتحقيق نهضة رائدة بما يكتبه ، على صفحاتها الأربع،المجددون والمصلحون من الايرانيين. وفي دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة حوالي (٥٤) عددا فقط من هذه الصحيفة .

وكانت صحيفة « ثريا » الثانية ؛ وتولّى ميرزا علي محمد خان الكاشاني اصدارها بالقاهرة ، وقد صدر العدد الأول منها في ٥ نوفمبر ١٨٩٨ . وبعد عامين تولّى أمرها فرج الله خان الكاشاني الذي ما لبث ان نقلها من القاهرة الى طهران .

أما الجريدة الثالثة ، فاسمها « پرورش » (التربية) نسبة

---

٢٥ – قال إنه كان تحت الطبع .

٢٦ – راجع التفاصيل في : الدكتور نور الدين آل علي : الصحافة الفارسية في مصر . مجلة المنتدى ، السنة الاولى ، العدد الثاني ١٩٧٨ ، ص ١٩٣ – ٢٠١ .

إلى مؤسسها محمد خان الكاشاني المشهور بـ « پرورش » الذي اصدرها عام ١٩٠٠ بعد ان ترك الجريدة السابقة « ثريا » . وكانت « التربية » اسبوعية تظهر ايام الاثنين بلبوس ثوري . ورابع هـذه الصحف ، صحيفة « چهرة نما » (المصوّر) التي اسسها ميرزا عبد الحميد خان . مؤدب السلطنة (الاصفهاني) عام ١٩٠٤ . وبعد وفاته ، تولّى ابنهمنوچهر مؤدب زاده (الاستاذ بالجامعة الامريكية بالقاهرة الآن) ادارتها الى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٦٥)في فترة قطع العلاقات السياسية الأولى بين مصر وايران . وفي دار الكتب والوثائق القومية اعداد كثيرة منها .

وآخر الصحف الخمس ، صحيفة « رستاخيز » (البعث) . وقد كان من المقرر ان يتحدث عنها الأستاذ منوچهر مؤدب زاده في العددالثالث من مجلة « المنتدي » (٢٧) ، ولكن احتجابها المبكر بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين ايران ومصر،في نيسان ١٩٧٩ ، حال دون ذلك .

واما في العراق ، فتأتي اللغة الفارسية في الدرجة الرابعة ، بعد العربية والكردية والتركية ، بين اللغات الشرقية التي كتب بها العراقيون والّفوا على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان ، هما التاسع عشر والعشرون ، وعلى وجه الدقة من عام ١٨٠٠ الى عام ١٩٦٩ ، فيما يفهم من احصاء للباحث والمفهرس العراقي المعروف كوركيس عوّاد (٢٨) ، ولا غرو ، لان اعدادا كبيرة من العراقيين ، وخاصة في المدن والاماكن الدينية كالنجف وكربلاء ، والكوفة والكاظمية ، يعرفون الفارسية ويتقنونها ؛ ولا سيما اذا عرفنا أن فيهم من هم من أرومة ايرانية . وفي معجم « المؤلفين العراقيين » عدد من مؤلفات هؤلاء بالفارسية ، وهي في موضوعات عامة، اكثرها ديني يبحث في الفروض والواجبات الدينية والعبادات ، كالحج

---

٢٧ ــ المنتدى ، العدد الثاني ، ص ٢٠١ .

٢٨ ــ معجم المؤلفين العراقيين ١ : ٢٥ .

والعمرة ومناسكهما ، ومنها ما هو في الوعظ والارشاد والفقه والعقائد وما الى ذلك .

ومن هؤلاء ، أبو القاسم الخوئي (٢٩) ، احمد بن محمد معروف النودهي (٣٠) ، آقا حسين القمي (٣١) ، جمال الدين الكلبايكاني (٣٢) ، حسن الصدر (٣٣) ، السيد عباس الكاشاني (٣٤) ، الشيخ عبد الحسين الرشتي (٣٥) ، عبد الرحيم مولوي (٣٦) ، عبد العزيز الجواهري (٣٧)، عبد الكريم الزنجاني (٣٨) ، عبد الله المامقاني (٣٩) عبد الهادي اسماعيل الشيرازي (٤٠) ، علي الفاني الأصفهاني (٤١)، محمد الحسين آل كاشف الغطاء (٤٢) ، الشيخ محمد حسين الغروي النائيني (٤٣) ، الشيخ محمد رضا الطبسي (٤٤) ، الشيخ محمد بن محمد مهدي الخالصي (٤٥) ،

---

٢٩ ــ المصدر نفسه ١ : ٦٤ .

٣٠ ــ نفسه ١ : ٩٧

٣١ ــ نفسه ١ : ١٢٣ .

٣٢ ــ نفسه ١ : ٢٦٤

٣٣ ــ نفسه ١ : ٣٢٠ .

٣٤ ــ نفسه ٢ : ١٩٤

٣٥ ــ نفسه ٢ : ٢٢٧ .

٣٦ ــ نفسه ٢ : ٢٥٥

٣٧ ــ نفسه ٢ : ٢٨٥ .

٣٨ ــ نفسه ٢ : ٣٠٨

٣٩ ــ نفسه ٢ : ٣٣٣ .

٤٠ ــ نفسه ٢ : ٣٥٥

٤١ ــ نفسه ٢ : ٤٢٩ .

٤٢ ــ نفسه ٣ : ١٦٧ .

٤٣ ــ نفسه ٣ : ١٥٣ .

٤٤ ــ نفسه ٣ : ١٦٧ .

٤٥ ــ نفسه ٣ : ٢٣٥ ــ ٢٣٩ .

السيد محمد بن مهدي الشيرازي (٤٦) ،محمدمهدي القزويني الكاظمي(٤٧)، الشيخ مرتضي الأنصاري (٤٨) ، السيد هبة الدين الشهرستاني (٤٩) ، واحمد الكازروني (٥٠)

وفي الطرف المقابل ، يمكن ان تأتي ايران في طليعة البلدان الشرقية — غير العربية — التي طبع فيها عدد من العراقيين ممن ذكرنا وغيرهم انتاجهم في تلك الفترة (٥١) ، أو التي نشرت فيها بعض الكتب العربية القديمة ، وخاصة في أخريات القرن التاسع عشر . يقول لويس شيخو عن الفترة الممتدة ما بين عام ١٨٧٠ و ١٨٨٠ م مثلا : « ونشرت في جهات العجم عدة منشورات تاريخية كمقاتل الطالبيين لابي فرج الأصفهاني ، وروضات الجنات ... ، وبعضها أدبية ولغوية ، واغلبها دينية . واكثر هذه المطبوعات سيئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها » (٥٢) .

ومع بزوغ فجر النهضة الحديثة، وبعد أن اخذ الادب العربي يقف على قدميه من جديد، ويعود الى عهود قوته واعصاره الذهبية الأولى ، ويتطلع الى غيره من الآداب ، بدأ العرب يتلفتون الى من حواليهم من الأمم الاخرى، واخذت نفوسهم تشرئب الى معين آخر غير الآداب الغربية ، فكانت الفارسية وآدابها . ولكن أكان هذا الاختيار ، فضلا عن ضرورته الانسانية والحضارية ،صدفة ؟ احسب ان لا ؛ ولعل الجواب الكامل ان يكمن في قول

---

٤٦ — نفسه ٣ : ٢٤٧ .

٤٧ — نفسه ٣ : ٢٥٤ .

٤٨ — نفسه ٣ : ٢٩٢ .

٤٩ — نفسه ٣ : ٤٣٨ — ٤٤١ .

٥٠ — نفسه ٣ : ٥١٦ .

٥١ — كوركيس عواد : معجم المؤلفين العراقيين ١ : ٢٥ . ولمعرفة المزيد من الكتب المطبوعة في ايران انظر على سبيل المثال : الجزء الثالث من هذا المعجم ، ص ٣١ ، ٣٣، ٢٣٣، ٢٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥٢١ .

٥٢ — الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ : ٧٣ .

الدكتور فؤاد افرام البستاني : « ... ولكن دراسة الفارسية اجدر بنا من دراسة اية لغة اخرى ، لتشابك اللغتين (العربية والفارسية) ... وبفضل هذه الدراسة نتقدم في ميدانين :

اولا : نتقدم في فهم الحضارة العربية في العصور العباسية خاصة ، ... لان هذه الحضارة مبنية على ما ورثه العرب من الفرس خاصة ...

ثانيا : تفيدنا هذه الدراسة ــ وقد تكون هذه الفائدة أهمّ واعمق واروع ــ تفيدنا العناصر المهمة لفهم الروحانية الاسلامية التي تتجلى في مظهرين : الحركة الفكرية والحركة الصوفية ... » (٥٣) .

ومن اعلام العرب المعاصرين ، كسليمان البستاني (١٨٥٦ ــ ١٩٢٥) مترجم الياذة هوميرس الى العربية ، مَنْ كان يلحّ على ضرورة دراسة الفارسية ، وقد كان يتقنها ويترجم عنها ، بعد ان امضى مدة في بلاد العجم (٥٤) .

انه وان كان لمصر فضل الريادة في ميدان الدراسات الشرقية ، والفارسية خاصة ، فقد كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام اول من عمل فيها على انشاء الدراسات الشرقية ، واول من علّم الفارسية والتركية وآدابها في الجامعة المصرية (٥٥) .

ومهما يكن ، فمنذ حوالي نصف قرن اخذت كوكبة من الباحثين والدارسين العرب تتطلع بشغف الى استئناف الصلات الادبية بين العرب والفرس . وقد ساعد على هذا انشاء اقسام مستقلة او فرعية في

---

٥٣ ــ بين العربية والفارسية (مجلة الدراسات الادبية ، السنة الثالثة ، العدد الاول ،ربيع ١٩٦١ ، ص ٢٧ ــ ٢٨) .

٥٤ ــ المرجع السابق ، ص . ٣ ، والروائع رقم ٤٤ ، ص .٢١ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٣ .

٥٥ ــ نعمات احمد فؤاد : قمم ادبية ، ص ٢٣٥ ، عالم الكتب ــ القاهرة ، دون تاريخ .

الجامعات العربية ، لعل من أقدمها « معهد اللغات الشرقية » في كلية الآداب بجامعة القاهرة الذي انشيء عام ١٩٤٤ م (٥٦) .

وتتالى ، بعد ذلك ، انشاء أقسام أخرى أو شعب للدراسات الشرقية في جامعات مصر الأخرى ، وجامعات سورية والعراق ولبنان(٥٧) والمغرب والكويت والسعودية ، لتدريس اللغة الفارسية وآدابها ، بالاضافة الى عدد غير قليل من الطلاب العرب الذين قصدوا الجامعات الأجنبية ، وجامعة طهران والجامعات الايرانية الأخرى لدراسة الادب الفارسي والتخصص فيه . وفي هذه الجامعات وتلك تخرجت افواج نشطة تحمل درجات علمية في الأدب الفارسي ، أخذت على عاتقها ، فيما بعد ، تدريسه ونشر أطايبه ومد العرب بزاد من الثقافة الفارسية يستأنفون به صلاتهم القديمة التي لا غنى للأُمتين عنها . يقول طه حسين: « ولست في حاجة الى أن أتحدث عما ينبغي من العناية بالصلة بين الادب العربي والفارسي ... ففي أقل من ربع قرن (٥٨) ظهر في حياتنا الادبية رجال ممتازون يعنون بهذه الصلة عناية ممتازة ويظهرون في أدبنا العربي الحديث آثارا فارسية بارعة ، يسلكون في ذلك سبل القدماء من أدباء المسلمين في القرون الأولى ... (٥٩) ، ويقول الدكتور ابر هيم أمين الشواربي : « ان الدراسات الشرقية بمصر لم تسلخ من عمرها في الجامعات المصرية الا قرابة (٦٠) ربع قرن من الزمان، ولكنها استطاعت ان تبرز بين سائر الدراسات الأدبية والعلمية التي صاحبت نهضتنا

---

٥٦ ــ عبد الوهاب عزام : مقدمة ترجمة « فصول من المثنوي » ، ص ٢ .

٥٧ ــ افتتح قسم اللغة الفارسية في الجامعة اللبنانية ببيروت في الثاني والعشرين من شهر ايار (مايو) عام ١٩٥٦ م .

٥٨ ــ كان هذا عام ١٩٤٤ .

٥٩ ــ من مقدمته لترجمة ديوان حافظ « اغاني شيراز » للدكتور الشواربي .

٦٠ ــ كان هذا عام ١٩٥٤ اي قبل حوالي ربع قرن .

الحديثة ، وان تخرج لنا جيلاً جديداً من المتخصصين في لغات الشرق وآدابه يشاركون الآن جماعة المستشرقين من اهل الغرب في مجهودهم الطويل الذي بذلوه منذ قرون في هذه الدراسات (٦١) .

واما في الوقت الحاضر ، فإنّ الصلات الادبية بين الأمتين العربية والفارسية ، ناهيك عن الصلات الأخرى ، اخذت تزداد ازديادا مطردا وتقوى يوما بعد يوم . ومن الشواهد عليها تنشيط حركة البعوث وتبادل الطلاب بين ايران والبلاد العربية،وقبول ايران لعدد من الطلاب من اكثر بلاد العروبة لتلقي العلم في جامعاتها على حسابها الخاص ، وتشجيع الوفود العلمية والثقافية لزيارة ايران والإطلاع على اوجه النشاطات العلمية والثقافية وغيرها .

ومن الشواهد ايضا اشتراك نخبة طيبة من صفوة العلماء والباحثين والأساتذة،من ايران والوطن العربي،في المؤتمرات العلمية والأدبية والثقافية التي تعقد في ايران وفي اقطار العروبة .

ومثلما انشئت في أكثر الجامعات العربية أقسام للدراسات الشرقية والفارسية خاصة ، منذ عهد بعيد ، أُسِّسَت اقسام مستقلة للغة العربية وآدابها في بعض جامعات ايران،من مثل جامعة طهران ، واصفهان ، والفردوسي في مشهد (٦٢) .

ومن الشواهد اللافتة للنظر حقا ، ما تقوم به بعض البلدان العربية، كالأردن مثلا ، من إعداد بعض نشراتها الدينية والسياحية باللغة الفارسية

---

٦١ ـ من مقدمته لكتاب « نظامي الگنجوي » للدكتور عبد النعيم حسنين .

٦٢ ـ وتوجد اقسام فرعية للغة العربية في بعض جامعات ايران الاخرى ، كجامعة جند يشابور في الاهواز ، مثلا . ولا تخلو برامج بعض الجامعات الاخرى ، وخاصة في اقسام اللغة الفارسية وآدابها ، من عدد من الدروس العربية .

جنبا الى جنب مع العربية واللغات العالمية الاخرى ،كالانجليزية مثلا (٦٣)، وان كانت ايران قد سبقتنا في هذا المضمار منذ شرعت بترجمة نشراتها السياحية والإعلامية في كل مدينة سياحية واثرية ، إلى العربية كغيرها من اللغات الأجنبية الاخرى .

ومن أحدث ضروب الاتصال وتنمية العلاقات وتقويتها ما جدّ من مبادرات جديدة بين مصر وإيران خاصة ؛ إذ قامت إيران بافتتاح «المركز الثقافي الإيراني » بالقاهرة ، على غرار ما تقوم به بعض الدول الأخرى، من مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا بافتتاح مراكز ثقافية لها في عواصم البلدان المختلفة ومدنها الكبرى ايضا .

وكانت باكورة انتاج هذا المركز وفاتحة اعماله ، إصدار كتاب « جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران » (٦٤) الذي نشرته وزار الثقافة والفنون الايرانية (وزارت فرهنگ وهنر) . هذه خطوة ، وخطوة اخرى ، هي ان مؤسسة الثقافة الإيرانية (بنياد فرهنگ ايران) بطهران ، أعلنت عن تعهدها بالإسهام في نفقات طبع كل كتاب عربي عن إيران ولغتها وآدابها ، وقد بدات بتنفيذ هذا المشروع بالفعل .

أما مصر ، فبادرت بتأسيس « جمعية الصداقة الإيرانية المصرية » بالقاهرة التي وصفت بانها « اكبر مظهر للأخوّة الصادقة والمحبة الكاملة ، بقصد التعاون المثمر المفيد في شتى المجالات العلمية والثقافية

---

٦٣ ــ اعدت وزارة الاوقاف الاردنية نشرة سياحية تتضمن معلومات عن مؤتة أرض الشهداء ومقامات الصحابة ، والمتحف الإسلامي في بلدة المزار ومواقع إسلامية اخرى ،والنشرة باللغات العربية والفارسية والإنجليزية .

وقد نشرت مجلة ((الأثيب)) هذا الخبر في عدد أيلول عام ١٩٧٤ ، ص ٦٣ .

٦٤ ــ انظر : تقديم الدكتور نورالدين آل علي لهذا الكتاب ، ص ١٢ .

والاقتصادية (٦٥) » . وقد بدأت هذه الجمعية في السنوات الأخيرة الماضية بتنظيم مواسم ثقافية تلقى فيها محاضرات وابحاث عن الصلات العربية الإيرانية ؛ وقد تمخضت عن صدور كتاب « الصلات الثقافية بين ايران والعرب » الذي يضمّ محاضرات الموسم الثقافي الايراني الأول بالقاهرة، التي جمعها ورتبها الدكتور نور الدين آل علي، المستشار الثقافي الايراني بالقاهرة آنذاك .

وكان آخر سهم في هذا المجال إصدار المركز الثقافي الإيراني بالقاهرة مجلة « المنتدى » باللغتين العربية والفارسية ، على غرار مجلة « الدراسات الادبية » التي كانت تصدر عن قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية . والمنتدى نصلية ثقافية متخصصة في دراسة الحضارتين العربية والفارسية والصلات بينهما ، وقد صدر منها عددان اثنان فقط في عام ١٩٧٨ ، ثم احتجبت باغلاق المركز الإيراني، وتجميد شتى الصلات التي اشرنا اليها بعد قطع العلاقات السياسية بين إيران ومصر في نيسان ١٩٧٩ .

القسم الثاني

الجهود العربية في تراث فارس

فلم يكن العرب في عصرنا الحديث هذا اقلّ جهدا من غيرهم من الأمم الاخرى في خدمة التراث الفارسي — وان جاءت جهودهم متأخرة لأسباب خارجة عن ارادتهم — ونستطيع أن نقول — في غير فخر — إنها كثيرة

٦٥ — فؤاد عبد المعطي الصياد : دور الفرس في بناء الحضارة الإسلامية ، في كتاب : الصلات الثقافية بين إيران والعرب ، ص ١٢٠ .

وكبيرة وقيّمة ؛ وهي لم تقتصر على تراث فارس القديم بكل موضوعاته، وإنما تخطّته الى الحديث ايضا .

دور المصريين والعراقيين :

مما لا شك فيه انه كان للمصريين ، وما زال ، الدور الأكبر في الجهود العربية التي بُذِلَت وتُبْذَل في خدمة الفارسية وتراثها قديمه والحديث ، لأسباب واضحة ، هي قدم الطباعة في مصر ، وما لها من عراقة وأقدمية في الميادين العلمية والثقافية ، خاصة انها كانت اسبق البلدان العربية في الخروج من الدائرة العثمانية المظلمة في أوائل هذا القرن ، ولأن مصر كانت السباقة الى الاهتمام بالدراسات الشرقية وتأسيس اقسام لها فيجامعاتها، ومنها خرج الرواد الأوائل في تعريف العرب بروائع التراث الفارسي وكبار أعلامه . يقول مبشر الطرازي : « ... فان الانجازات العلمية والأدبية التي قام بها علماء مصر تجاه ايران وثقافتها لعمل عظيم ومشرف. إن الأيادي المصرية التي تناولت الكتاب الإيراني بكل تمجيد وتقدير ، والعلماء المصريين الذين اطّلعوا على روائع التراث الإيراني ، اخذوا يزوّدون المكتبة العربية بمجموعة كبيرة من الكتب الإيرانية المترجمة الى العربية ، وعدد ضخم من الأبحاث الأدبية والعلمية ، وذلك منذ النصف الثاني من عصرنا الحاضر . ونهجوا في ذلك نهج علماء العرب السابقين الذين قاموا بمهمة الترجمة والتاليف ، منذ ان ربط الاسلام الشعبين ، وصار للثقافة الايرانية شأنها في إرساء الثقافة الإسلامية (٦٦) .

وعلى أساس ما قدّمنا عن العراق قبلا ، وما سنلاحظه ايضا ، يمكن ان يقال إنه ياتي في المرتبة الثانية ؛ وهو امر بديهي أيضا لان

---

٦٦ ــ الكتاب الايراني في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ، ص ١٥٩ .

العراق كان ، في القديم ، مركز تفاعل الحضارات القديمة والتقائهـــا ، والبوتقة التي انصهرت فيها نتائج كل ذلك ؛ واما في العصر الحاضر ، فهو يضم من الايرانيين ما لا يضمه اي قطر عربي آخر ، وهو من اقدم البـلاد العربية التي اوجدت فيها ايران « المدارس الايرانية » ليتعلّم فيها ابنـاء الايرانيين هناك .

دور مجلة « الدراسات الادبية » :

لئن جاءت جهود اقسام اللغة الفارسية واعضاء هيئاتها التعليمية في الجامعات العربية مبعثرة هنا وهنالك ، فان جهود قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية ببيروت تتوجت باصدار مجلة « الدراسـات الأدبية » ،التي كرِّست على مدى تسعة اعوام (٦٧) متتالية لخدمة اللغتين الفارسية والعربية وثقافتيهما وآدابهما وعلومهما ، فأتت اكلها طيّبـة ، وانتجت ثمرات يانعة بما حوت من بحوث ومقالات وتعريفات (بالعربية والفارسية) بآداب الأمتين وعلومهما المختلفة .

وانه لمن الواجب والحق ايضا ان يُنَوَّه بفضل استاذين ايرانيين جليلين على تلك المجلة هما : الأستاذ الدكتور محمد محمدي،الأستـاذ بكلية الالهيات والمعارف الاسلامية بجامعة طهران ، وقد كان في تلك الآونة رئيسا لقسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية،ورئيس تحرير المجلة المذكورة ، والاستاذ احمد لواساني،نزيل لبنان ، والاستاذ بالقسم المذكور ، الذي تحمَّل عبء ترجمة كثير من المقالات من الفارسية واليها ، والتعريف بعدد من الكتب الفارسية والعربية باللغتين ايضا . فبفضل جهودهما حافظت المجلة على مستواها العلمي الرفيع ومكانتها الأدبية الشامخة في اعوامها التسعة . وربما كان لعودة الدكتور محمدي الى

---

٦٧ ــ من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦٧ م .

وطنه كبير اثر في احتجاب المجلة عن الصدور .

وفي استعـــراض محتويــــات المجلـــة ـــ وقد كانـــــت فصليـــــة ـــ واستقـــراء المقـــالات والبحـــوث العربيـــة التـــــي نُشِرت فيها ، ولا شأن لنا هنا بالمقالات والدراسات التـــــي كتبهـــــا باحثون ايرانيون (٦٨) ، نجد انها تتوزع على : المقالات ، والترجمات ، والتعريف بالاعمال الادبية والعلمية .

فأما المقالات والترجمات فأكثرها في الموضوعات الادبية والتاريخية واعلام الشعراء والكتاب ، وما الى ذلك ؛ وأما التعريف بالكتب الفارسية باللغة العربية ، فقد اخذت المجلة على عاتقها ، منذ صدورها ، تعريـــف المثقفين العرب بأهم التواليف الايرانية بالعربية (والفارسية ايضـــــا) ، بتخصيصها بابا ثابتا لذلك ، هو باب « في مكتبتنا » (در كتابخانه ما) .

دور مجلة الإخاء (٦٩) :

كانت هذه المجلة تصدر باللغة العربية عن مؤسسة جريـــــــدة « اطلاعات » الايرانية بطهران ؛ وقد بُدىء باصدارها عام ١٩٦٠ شهرية ، ثم آلت الى نصف شهرية ، وتحولت بآخرة الى اسبوعية جامعة، هدفها خدمة العلاقات الايرانية العربية من شتى الوجوه . كان يسهم في تحريرها نفـــر من المتخصصين العرب ممن كانوا يقطنون طهران، او يطراون عليها لمـــدة معينة ، وبعض الايرانيين ممن عاشوا في البلاد العربية وتثقفوا ـــ الى حد ـــ بالثقافة العربية ، او ممن عادوا الى ايران من العراق في السنـــــوات الاخيرة ؛ وهم الذين يُعرفون فيها الآن بـ « المعاودين » .

وعلى الرغم من ان المجلة لم تكن علمية (اكاديمية) محضة ، وان

---

٦٨ ـــ لا جرم ان مقالات ممتازة دبجتها اقلام ايرانية نشرت على صفحات هذه المجلة نقـــــل الاستاذ احمد لواساني اكثرها الى العربية .

٦٩ ـــ توقفت هذه المجلة عن الصدور بعد الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ .

اكثر من كانوا يكتبون فيها من اصحاب الأقلام الشابة ، فإن العين كانت تقع فيها ، بين الفينة والفينة ، على مقالات « أكاديمية » علمية رصينة لنفر من الباحثين والأساتذة العرب ، في الأدبين العربي والفارسي والصلات بينهما ، وموضوعات منهما .

ومهما يكن الأمر ، فإن إسهامها لا يُنكَر ، وإن دورها في المجال الأدبي كان « على قدّها » اذا ما اعتبرنا أنها آلت اسبوعية اولا ، ولم تكن ادبية او « اكاديمية » متخصصة ثانيا . وانه لمن الحق في الكلام على هذه المجلة ان يشار الى فضل كل من : نذير فنصه،والدكتور نادر نظام ، والدكتور فكتور الكك على هذه المجلة ، سواء بالعمل فيها أم بمدّها بما يناسبها من موضوعات ومقالات .

مناحي الاهتمامات العربية :

للاهتمام العربي الحديث بالفارسية وتراثها منحيان : الأول ،اكاديمي شخصي تفرضه طبيعة تخصص الكثيرين بالفارسية وآدابها ، وهو كثير متشعب الجوانب ، والآخر حكومي تبنته وتتبناه وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام في بعض البلاد العربية ، وتتعهده .

ففي مصر ، كلفت وزارة التربية والتعليم ، في الخمسينات ، الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت بترجمة « تاريخ البيهقي »،وكلفت الخشاب وحده بترجمة كتاب « ايران في عهد الساسانيين » . ثم نشرتهما في سلسلة « الالف كتاب » التي كانت تصدرها في ذلك الوقت .

وكلفت الإدارة العامة للثقافة في وزارة الثقافة والارشاد القومي المصري الدكتورين محمد موسى هنداوي وفؤاد الصيّاد ، وصادق نشأت بترجمة قسم من « جامع التواريخ » لرشيد الدين فضل الله ، وهو القسم الذي يختص بتاريخ « هولاكو » خاصة . وفي مطلع السبعينات عهدت وزارة الثقافة والاعلام بمصر الى عدد من الباحثين بوضع كتاب « دراسات في

الفن الفارسي » مشاركة من مصر لايران في احتفالها بمرور خمسة وعشرين قرنا على تاسيس ايران .

وفي سورية ، دعت وزارة الثقافة والارشاد القومي (٧٠) في الستينات ، الشاعر « محمد الفراتي » وكلفته ترجمة بعض الآثار الفارسية لسعدي الشيرازي ، وجلال الدين الرومي ، وغيرهما ، ثم طبعت ما ترجم .

أَضْرُب الجهود العربية :

جهود باحثينا المتخصصين في الفارسية وآدابها وعلومها والعارفين لها كثيرة ومتنوعة . فهي لم تقف عند ضرب واحد ، بل وسّعت دائرتها فشملت تراث فارس، قديمه والحديث، في شتى الموضوعات والفنون . وإنْ حَظِيَ القديم بسهم اوفر من الحديث . وهذا امر طبيعي ، لان الفُرس يضارعوننا فيه من حيث اهتمامهم بلغتنا وتراثنا القديم اكثر من عنايتهم بالحديث منه . وسأكتفي بالاشارة الموجزة الى ضروب هذه الجهود دون سردها سردا تفصيليا ، لأن هذا السرد هو موضوع دراسة ببليوغرافية ادبية وصفية نقدية لي اعددتها وفرغت منها ، وهي تنتظر الطبع . وقد رصدت فيها جُلّ ما أُثِر عنا نحن العرب من تواليف وترجمات وابحاث ومقالات في لغة الفرس وآدابهم وسائر علومهم وفنونهم .

لقد توزعت الجهود ، فيما بان لي ، في ميدانين بارزين :

الأُول : اللغة الفارسية وآدابها قديما وحديثا .

والآخر : علوم الفارسية ومعارفها وفنونها المختلفة .

ففي الميدان الأول ، تلقانا دراسات وابحاث في الفارسية وحولها ؛

---

٧٠ — مجلة الدراسات الادبية ، السنة الخامسة ، العددان ٣ ، ٤ عام ١٩٦٣ — ٦٤ ، ص ٣٠١ .

وفي الدراسات اللغوية المقارنة . وخاصة في موضوع التسرب اللغوي من الفارسية الى العربية الفصحى قديما . والى اللهجات المحلية حديثا .ومن ابرز من عنوا بهذه الناحية : عبد الوهاب عزام وحامد عبد القادر من مصر . وداود الجلبي ومحمد رضا الشبيبي وجعفر الخليلي من العراق . وفؤاد افرام البستاني من لبنان . ومحمد التونجي من سورية .

وثمة عدد وفير من التواليف التعليمية والمعجمات الفارسية العربية؛ وقد بدأ هذا النوع من التأليف منذ وقت مبكر من هذا العصر ، وقد يكون اقدم انواع الاهتمامات العربية بالفارسية وآدابها . وتوزعت الجهود في الأدب الفارسي القديم بين التحقيق . والتأليف،والمقال بالعربية والفارسية وبعض اللغات الأجنبية ، والترجمة عن الفارسية مباشرة او عما كتب عن الأدب الفارسي بلغة أجنبية . وقد شملت ايضا الاهتمام بأعلام الشعراء وآثارهم .

ولقد حظي اعلام الأدب الفارسي القديم وآثارهم البارزة باهتمام كبير ، ومنهم : الخيام ورباعياته . وسعدي الشيرازي و « بستانه » و « گلستانه » ، وحافظ الشيرازي وشعره ، وجلال الدين الرومي و « مثنويه » ، والفردوسي و « شاهنامته » ، وناصر خسرو و « رحلته » وآثاره الأخرى ، وفريد الدين العطار ، وعبد الرحمن الجامي ، ونظامي الگنجوي .

وكان الخيام اكبرهم نصيبا من هذا الاهتمام من حيث التأليف فيه وترجمة رباعياته عن الفارسية وغيرها ، لأنني اهتديت فيه الى سبعة مؤلفات وأكثر من خمسة وعشرين مقالا ، والى عشرين ترجمة مختلفة لرباعياته بالعربية الفصحى ، وثلاث باللهجتين المصرية واللبنانية . ومن اشهر مترجمي رباعياته :

وديع البستاني ، احمد رامي ، محمد السباعي ، جميل صدقي

الزهاوي ، احمد زكي ابو شادي ، احمد الصافي النجفي ، احمد حامد الصراف ، طالب الحيدري ، عبد الحق فاضل ، وابراهيم العُرَيِّض . وتبرز في طليعة المهتمين بالادب الفارسي القديم تحقيقا وتاليفا وترجمة اسماء : عبد الوهاب عزام ، وابر هيم امين الشواربي ، ويحيى الخشاب ، ومحمد كفافي ، وحسين مجيب المصري ، وعبد النعيم محمد حسنين ، وطه ندا ، ومحمد الفراتي ، ومحمد موسى هنداوي ، وعبد العزيز الجواهري، وحسين علي محفوظ ، وامين عبد المجيد بدوي ، واحمد ناجي القيسي ، وعبد اللطيف السعداني ، وعلي الشابي .

ومن اهم جهودنا في هذا الميدان ما انتجه باحثونا في حقل الدراسات الادبية المقارنة بين العربية والفارسية في الشعر والنثر وفنونهما المختلفة، من مثل : الاوزان والقوافي ، الوقوف على الاطلال ، المقامة ، القصص الغرامي وقصة « ليلى والمجنون » خاصة ، وتاثر عدد من شعراء الفرس الكبار من مثل سعدي الشيرازي،ومنوچهر الدامغاني،وعمر الخيام ببعض الشعراء العرب خاصة والثقافة العربية عامة .

ومن اصحاب الجهود في الدراسات المقارنة ، مثلا : عبد الوهاب عزام ، ومحمد غنيمي هلال ، وطه ندا ، وحسين علي محفوظ ، وجعفر الخليلي ، وفارس ابر هيم حريري ، وفكتور الكك ، ومحمد كفافي .

واما في الادب الفارسي المعاصر فثمة اهتمامات فيه ، وان تكن اقل من نظيرتها بالقديم ، واكثرها في حدود البحث والمقالة وترجمة مختارات من الشعر والنثر . ومن الاعلام المعاصرين الذين ظفروا بنصيب اكثر من غيرهم : القاص المعروف صادق هدايت،اذ تُرجِم عدد من قصصه الى العربية ، والشاعر الشيرازي حسين قدس نخعي،الذي تُرجِمت رباعياته غير مرة ، وشاعر باكستان الذائع الصيت محمد اقبال،الذي نُقِلت بعض دواوينه بالفارسية الى العربية .

ومن انماط الأدب المعاصر التي حظيت باهتمام العرب أيضا ، ادب الرحلات : فقد رحل عدد من العرب الى ايران أو بعض مدنها ، وسجلوا مشاهداتهم ووقائع رحلاتهم او جلّها في كتاب أو مقال . ومن هؤلاءالرحالة: عبد الوهاب عزام ، وابر هيم امين الشواربي ، وعبد الله الفياض (من العراق) ، واحمد مكي (من لبنان) .

واما القسم الثاني الخاص بعلوم الفارسية ومعارفها وفنونها ، فتندرج فيه الجهود العربية بأنواعها المختلفة في : التاريخ ، والصلات بين العرب والفرس قديما وحديثا ، والجغرافية والبلدان ، والدين والفلسفة والتصوف ، والفنون والموسيقى والغناء ، والمخطوطات والكتب والمكتبات .

ففي التاريخ : اصبحت المكتبة العربية تضم عددا من امهات كتب التاريخ الفارسية عن الفارسية مباشرة ، من مثل : شرف نامه لشرف خان البدليسي ، وتنسرنامه ، وتاريخ البيهقي ، وراحة الصدور للراوندي ، وجامع التواريخ لفضل الله الهمداني ، وتاريخ بخارى ، وسياست نامه (سير الملوك) لنظام الملك الطوسي ، وفصول من تجارب السلفلهندوشاه النخجواني،ومن تاريخ جهانكشائي لعطا ملك الجويني ، ومن تاريخ گزيده لحمد الله المستوفى القزويني . يضا فاليها ما ترجم عن غير الفارسية مما كتبه الأوروبيون عن تاريخ ايران ، وما ألّفه العرب انفسهم من كتب ، وسطّروه من أبحاث ومقالات .

وكذلك الأمر في الصلات بين الأمتين على امتداد التاريخ والى الوقت الحاضر ، وفي الموضوعات الأخرى التي اشير اليها آنفا ، وليس هذا مجال الإفاضة فيها ، فهي مستقصاة الى حد كبير في كتابي « التراث الفارسي عند العرب » .

نماذج للمشاق في الجهود العربية :

يبدو جهد الباحثين العرب الشاق في خدمة تراث فارس ، فيما تحمّله كثيرون منهم من اعباء ومشاق في سبيل البحث عن مخطوط يحققونه ، أو كتاب يؤلفونه ، أو اثر يترجمونه .

فالدكتور عبد الوهاب عزام يحدثنا في « مدخله للشاهنامة » ، عما عاناه من مشقة وضنك في التنقل من مكان الى آخر بحثًا عن نسخ الشاهنامة ، إذ سافر على مدى سنتين (١٩٢٧ — ١٩٢٩ م) الى بريطانيا وفرنسا والآستانة (استانبول) قبل ان يبدأ بنشر الشاهنامة بالعربية ، غير مكتفٍ بما عُثر عليه من نُسَخها المخطوطة في دار الكتب المصرية (٧١) .

أما احمد الصافي النجفي ، فها هو ذا يصف تجربته ومعاناته وضنكه وحيرته حين كان يعد نفسه لترجمة عدد من رباعيات الخيام ، وفي أثناء الترجمة ايضا : « وقد ادركتُ حينئذ خطورة موقفي وما يعترضني فيه من العقبات ، ممّا يدركه كل من عانى ترجمة الشعر بشعر مثله ؛ ولا غرو فإن نقل المعنى شعراً من لغة الى اخرى مع الاحتفاظ بالمعنى الأصلي ، بحيث لا يبدو عليه اثر التكلف في الترجمة ، أمر شاقٌ تَهي (تضعف) دونه العزائم ، وتقف الهمم حائرة أمامه . ولكن الرغبة سر النجاح ، والعشق يجتاح العراقيل ويذلل الصعوبات ، فانصرفت وكلي رغبة نحو التعريب (الترجمة) واخذت اجرّب قريحتي في . . . بضع رباعيات عرضتها عند ترجمتها على ادباء الفرس العارفين بالعربية وآدابها ، فقابلوها بالأصل وأبدوا إعجابهم منها ، وشجعوني على إكمال العمل ، فأخذت أُوالي السعي وأفرغ الجهد ثلاث سنوات كاملات لم يكن لي فيها شغل سوى إتمام هذا العمل ، حتى اكملتها ثلاثمائة واحدى وخمسين رباعية . . » (مقدمة الترجمة ، ص ٦) .

---

٧١ — مدخل الشاهنامة (الترجمة العربية) ١ : ٢ — ٥ طبعة الاوفست ، طهران ١٩٧٠ م .

وامـــا الدكتور امين عبد المجيد بدوي ، فيذكر انه سلخ عشر سنـــوات كاملة من عمره في تأليف كتابه « القصة في الأدب الفارسي (٧٢) » .

واما الشاعر الغنائي المصري احمد رامي ــ وهو احد مترجمـــي رباعيات الخيام ــ فيقول ، « لقد جُنَّ جنوني شغفا بقراءة رباعيات الخيام، كنت اريد ان اقراها بالفارسية،فدفعني ذلك الى الذهاب الى باريس والبقاء هناك سنتين ادرس فيهما اللغة الفارسية ، لا لشيء إلاّ لانني اريد أن افوز من ذلك بترجمة الرباعيات الى العربية (٧٣) » .

غير ان من احسن الامثلة واكبرها واجمعها على الصعوبـــات والمشكلات التي نحن في صددها ، ما كابده المرحوم الدكتور ابر هيم أمين الشواربي ، في القسم الذي ترجمه من كتاب براون Browne « تاريـــخ الأدب في ايران (٧٤) » من جهد ، وما اعترضه من صعوبات جمّة . يقول في مقدمة ترجمته : أما الصعوبات التي تكلفتها في نقل هذا الكتاب الـــى العربية فاكثر من ان يتسع المجال لذكرها تفصيلا ؛ ولترجمته قصـــة لا تقلّ روعة عن قصة تأليفه ، بل ربما كانت اشد عناء واكثر بلاء .. لأمور عامة يعرفها كل من كابد الترجمة وعانى النقل من لغة الى أخرى ، ولأمور خاصة احب ان انبّه الى بعضهافي هذا المقام ، واهمها واخطرها ما يأتي :

اولا : إن هذا الكتاب عبارة عن موسوعة ادبية ، اشتملت على كل ما تعلق بايران،أي البلاد الفارسية،منذ اول ما عرف من امرها حتى السنة التي اتم فيها المؤلف كتابه،أي الى سنة ١٩٢٤ ؛ ومن اجل ذلك تضمن الكتاب

---

٧٢ ــ راجع مقدمة الكتاب المذكور .

٧٣ ــ مصطفى سويف : الاسس النفسية للابداع الفني ــ في الشعر خاصة ــ ص ٢٣٧ .

٧٤ ــ A Literary History of Persia

اموراً مغرقة في القدم ، ما تزال تندرج في تاريخ هذه البلاد وما انتجته من علم وادب، حتى تصل بنا الى نهاية الربع الأول من القرن الذي نعيش فيه. ولقد حرص المؤلف على ان يجعل كتابه دائرة معارف « يثبت فيها كل ما نشر من كتب ومقالات وابحاث تتعلق بسائر العصور التي تَعَرَّض لها كتابه ؛ وتَرَتّب على ذلك انه اصبح لزاما على من يتصدى لترجمته ان تكون له سابقة اطلاع على كتابات الشرقيين والمستشرقين التي ذكرها في ثنايا كتابه ، وان يكون على قدر كبير من الخبرة بحيث يأمن الزلّة ويتجنب العثرة . ولطالما صادفتني إشارات اضطررت فيها الى الرجوع الى المكتبات العامة والخاصة في مصر، فوجدت فيها بغيتي أو انصرفت عنها بخيبتي لعدم عثوري على المرجع الذي اطلبه ، ثم ظللت اسعى الى تحقيق ما أريد بوسائل اخرى كلفتني رهقا وجهدا كبيرا .

ثانيا : إن هذا الكتاب ، وقد مضت سنوات على تاليفه ، يتطلب من مترجمه ان يزوّد ترجمته بكثير من الحواشي والتعليقات . فمنذ فرغ « براون » من كتابته ، نشرت كثير من الأبحاث والمقالات ، وصدرت كثير من الكتب والمؤلفات التي تتعلق بالموضوعات التي احتواها الكتاب ،واصبح لزاما على المترجم ان يشير الى هذه الأمور والى امور اخرى تتعلق باختلاف وجهة النظر وإثبات الآراء الجديدة . ولقد شئت ان اوفي الترجمة حقها فأزودها بما في الوسع من تحشيات وتعليقات ، ولكني وجدت أن حجم الكتاب يتضاعف اذا فعلت ذلك ، فاكتفيت مضطرا بجعل تعليقاتي تقتصر على الاهم دون المهم ، وان ينصرف أكثرها الى التنبيه الى المسائل الفارسية دون غيرها من المسائل الغربية أو العربية التي ذكرها « براون » . . .

ثالثا : اعتمد « براون » في تاليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ،واستشهد بالطبيعة ، بالتاليفات « العربية » و «الفارسية» و « التركية »،ولكنه لم يستطع في الغالب الاعم ، ان يورد لنا شواهده ، في نصوصها الاصلية في هذه اللغات ، واكتفى بايراد ترجمتها الى الانجليزية،

ولم يكن من المستساغ عقلا او المقبول فناً ، ان اعود فأترجم هذه المترجمات الى العربية ، لأن الترجمة عن ترجمة لا شك تضلّل المترجم وتبعده عن الأصل . ومن أجل ذلك الزمت نفسي بإثبات الشواهد العربية بنصها التي وردت به في الكتب العربية،اللهم إلاّ اذا كان الكتاب مخطوطا وليست له نسخة في دور كتبنا. كما الزمت نفسي أن اترجم الشواهد الفارسية والتركية عن اصولها في هاتين اللغتين ، وأن اثبت اصولها في متن الكتاب او هامشه،حتى تكون في متناول القارىء المتخصص الذي يريد التحقيق والمقارنة ...

رابعا : إن صاحب هذا الكتاب ، بالاضافة الى تبريزه في اتقان جملة من لغات الأمم الاسلامية ، كان مبرّزا كذلك في طائفة غير قليلة من اللغات الأوروبية القديمة والحيّة ؛ ومن أجل ذلك كثر نقله عن اللغات « اليونانية » و « اللاتينية » و « الفرنسية » و « الألمانية » ، وغير ذلك من اللغات . وبعض هذه اللغات اعرفها بعض المعرفة ، وبعضها الآخر اجهله جهلا تاما ، ومن أجل ذلك اضطررت اضطرارا الى ان الجأ الى اصدقائي كلما صمد في وجهي شاهد من هذه اللغات ، فاستطاعوا مشكورين أن يعينوني على نقله وترجمته .

خامسا : يُعْتَبَر صاحب هذا الكتاب من كبار ادباء الانجليز ،ويستطيع ان ينشىء في الانجليزية نثراً فنياً رائعاً وشعراً فنياً شائقاً ؛ ومن اجل ذلك اغرم بترجمة النثر الفني الشرقي الى نثرفني انجليزي ، وشغف بترجمة الشعر الشرقي الى شعر انجليزي ، فصار من العسير على المترجم في الحالتين ان يتأنق تأنقه في اصطناع الأساليب وابداع التراكيب ، واصبح عليه ان يتكلف كثيراً من الجهد للوصول الى قرارة هذه العبارات الأنيقة والوصول الى معانيها الدقيقة » (٧٥) .

٧٥ ــ تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي (الترجمة العربية) ، مقدمة المترجم، ص : ذ ــ ظ .

تقدير ايران والايرانيين للجهود العربية :

كان لجهود العرب العلمية في خدمة الفارسية وآدابها صدى جيد في ايران، حكومة وعلماء وباحثين ، وخاصة من يعرفون العربية وآدابها .

التقدير المعنـــوي :

ولقد قدرت ايران ـــ فيما اعلم ـــ جهود أربعة من رواد الدراسات الفارسية عند العرب ، هم : الدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتـــور ابر هيم امين الشواربي ، والدكتور محمد موسى هنداوي ، والدكتـــور يحيى الخشاب .

فاما عبد الوهاب عزام ، الذي مثَّل جامعة القاهرة في المؤتمـــــر الدولي للفردوسي عام ١٩٣٤ م ، فأُنعم عليه بـ " الوسام الهمايوني "تقديرا لجهوده في الشاهنامة بُعيد انتهاء المؤتمر (٧٦) . وقلّدته الدولة الوســـام العلمي من الدرجة الثانية عام ١٩٣٥ ، واختارته عضوا في المجمـــــع الايراني (٧٧) .

لقد كان عبد الوهاب عزام يستحق كل هذا ، بل اكثر ، لانه وقف حياته على خدمة الاسلام وتراثه بأكثر لغاته . فكان ، كما قال عنه المرحوم عباس محمود العقاد في المقدمة التي كتبها لديوانه « المثاني » : « وكان لدراسته الفارسية والأردية اثر في تقريبه ثقافتهما ، يحسب من سفارات الأدب التي تعاون فيها العلم والعمل » ، وكما قال عنه عبد المنعم خَلّاف عندما رثاه « جمع الله في لسانه ألسنة العرب والفرس والترك والهنـــد، أعظم أمم الحضارة الاسلامية ، وكان موضع ثقتهم وإعزازهم ، وسفـــير

---

٧٦ ـــ صالح الشهرستاني : أول اديب مصري ينال الوسام الهمايوني . مجلة الاخاء ، العدد ١٨٢ ، ص ٩ ، السنة (١١) ، تشرين الثاني ١٩٧٠ .

٧٧ ـــ قمم أدبية ٢٣٩ ـــ ٢٤٠.

بعضهم الى بعض ، وترجمان التعارف والأخوّة بينهم (٧٨) .. » ، وكما قال الدكتور طه حسين « سابق هذا الجيل من علمائنا الذين اشتـــدت عنايتهم باللغات الشرقية » (٧٩) .

اما ابر هيم امين الشواربي ، الذي عني بحافظ الشيرازي عناية ما بعدها عناية ، والذي كان يصف إيران بـــ « القطر الشقيق (٨٠) ، فقدّرت إيران خدماته في حقل الدراسات الشرقية والفارسية عامة ، وفي دراسة حافظ شيرازها وترجمة ديوانه ؛ فمنحته حكومتها وسام المعارف من الدرجة الثانية عام ١٩٥٢ ، وانعمت عليه بلقب « مواطن فخري » لمدينة شيراز ، مهد حافظ ومسقط راسه ولحده عام ١٩٥٥ (٨١) .

واما الهنداوي ، رفيق سعدي شاعر شيراز الآخر في حياتـــه و « بستانه » و « گلستانه » ، فعرفت له وزارة المعارف الايرانية فـــي تلك الأيام ، فضله وجهوده في دراسة سعدي وترجمة البستان والگلستان ، وطوّقته بوسام المعارف الايرانية عام ١٩٥٣ ؛ وكان حينذاك استاذا بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة (٨٢) . واخيرا منحت جامعة طهران الدكتور يحيى الخشاب درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب الفارسية (٨٣) .

التقدير الأدبي :

وحظيت بعض الجهود العربية بتقديرات وتقويمات أدبيـــة من لدن نفر من علماء إيران وأدبائها المعاصرين ، وخاصة فيما يتصل ببعض ما

---

٧٨ ــ المرجع السابق ٢٤١ .

٧٩ ــ كنز جديد ــ تاريخ البيهقي (مقال اعادت مجلة الاخاء نشره في العدد ٧٤ ، السنـــة السادسة ، نيسان ١٩٦٦) .

٨٠ ــ مقدمة كتاب « ايران : ماضيها وحاضرها » ترجمة الدكتور عبد النعيم حسنين ، ص ج.

٨١ ــ تعريف الدكتور حسنين بالشواربي في أول كتابه « القواعد الاساسيـــة لدراســـة الفارسية » .

٨٢ ــ راجع : مقدمته لترجمة « بستان سعدي » .

٨٣ ــ جريدة رستاخيز ، العدد ٩٤٧ ، ٣ تيرماه ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

كُتب عن الخيام او تُرجِم من رباعياته • ولقد شملت عنايتهم ، اكثـــر ما شملت ، اثنين من أدباء العراق المعروفين بطول الباع في اللغتين العربية والفارسية وآدابهما ، وهما الشاعر المرحوم احمد الصافي النجفـــــي ، والأديب والسياسي القديم عبد الحق فاضل .

فأما احمد الصافي النجفي ، فقد اتخذ طهران « دارا لهجرته »ثمانية اعوام ، وكان همّه الوحيد فيها ، فيما يقول : « درس الأدب والنفوذ الى معانيه الدقيقة ومراميه السامية ، لأصل منها الى الينبوع الصافي الذي سالت منه خيالات عمر الخيام،الشاعر الذي شُغِفْتُ بهمن دونباقيشعراء الفرس (٨٤) . ثم بلغتُ من درس الأدب الفارسي المنزلة التي كانت تتوق اليها نفسي . واخذتُ اكتب واترجم وانشر باسم « سيد احمد نجفي » في أمهات الصحف الفارسية . . . (٨٥) » .

وكان من اكبر ثماره في تعلم الفارسية ترجمته لثلاثمائة واحـــــدى وخمسين رباعية من رباعيات الخيام ، وهي « التي ظهرت في طبعـــــة لندن الشهيرة لرباعيات الخيام مع ترجمة فيتزجرالد الانجليزية (٨٦) » . ولقد لاقت ترجمته قبولا من المحافل الادبية في إيران ، وأُكْبِرَت ايما اكبار، حتى قال ملك الشعراء بهار (محمد تقي) : إن بعض التعريب (يقصـــد الترجمة)،مع كونه مطابقا للأصل جداً،فهو يفوقه من حيث البلاغـــــــة

---

٨٤ ــ يقول النجفي :

الخيام قد ارسلت روحـــك هاديــــا	لروحـــي في اتقـــان هـــذي التراجـــم
فإني تلمبـــذ لروحـــك في الأســــــي	امارسه من قبـــل حـــلّ التمائـــم
لئن نلت من بعـــد التشـــاؤم لـــذة	فما نلـــت من دنياي غـــير التشـــاؤم

٨٥ ــ كلمة النجفي في اول ترجمته للرباعيات .

٨٦ ــ النجفي ، صوفيه الغربة ، مجلة البيان ــ الكويت . العدد ١٣٧ ، اغسطس ١٩٧٧ ، ص ٤ .

والأسلوب . ومن الامثلة التي استشهد بها على رايه هذا الرباعية التالية (٨٧) :

ايــا فلــكا يربــى كــلّ نـــذلٍ   وليس يــدور حَسْبَ رضا الكريم
كفــى بــك شيمة ان رُحْت تهوي   بــذي شرفٍ وتســمو باللئيــم

والأصل الفارسي لها :

اي چرح خسيس خس دون پرور خس
هركَز نروي توبر مراد دل كَسْ
چرخا فلكا تراهمين عادت بس
ناكَسْ توكسي كنى ، وكَسْ را ناكَسْ

ويذكر ان العلامة صدر الأفاضل قال للنجفي ، لفرط إعجابه بترجمة الرباعيات : « اكاد اعتقد أن الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معا، وقد فُقد العربي منهما فعثرت عليه وانتحلته لنفسك » . وربما كان هذا الراي وأمثاله حافزا لان يقال عن الترجمات العراقية لرباعيات الخيام : « وقد امتازت ترجمات ادباء العراق عن سواها انها ــ على الأكثر ــ نقلت الرباعيات عن الأصل الفارسي ، وانها ذات نكهة قريبة منه لا تكاد تبتعد عنه إن لم تطابقه . وإنني أجيز لنفسي القول بأن بعض الرباعيات العربية يفوق الأصل روعة وجمالا ، ولو كان عمر الخيام نظم هذه الرباعيات بالعربية لنظمها بهذا الشكل (٨٨) . ونشرت مجلة «ارمغان»،مجلة النادي الأدبي بطهران، عددا من الرباعيات المترجمة واصلها الفارسي مسبوقة

---

٨٧ ــ ترجمة الصافي ، ص ١٠٧ .

٨٨ ــ مشكور الاسدي : وقفة على قبر الخيام (الاخاء ، السنة الخامسة ، العدد ٥٩ ، كانون الثاني ١٩٥٩) .

بمقدمة ضافية عن مكانة ترجمة الصافي واهميتها .

وعندما أرسل الشاعر، بعد فراغه من الترجمة ، ستا وثمانين رباعية الى العلامة ميرزا محمد خان القزويني في باريس ليبدي رايه فيها ، اجابه برسالة طويلة (٨٩) بالفارسية، هي التي أثبتها المترجم مع ترجمتها العربية في بداية ترجمته . ومما قال القزويني فيها : « اشهد الله انني قلّما رايت بين التراجم التي لا تُعد ولا تحصى للخيام في اللغات المختلفة ، ترجمة صحيحة ومطابقة للأصل كترجمة سيادتك » ، ويقال : « ولكن من حيث مطابقة الترجمة للأصل — في الحدود التي يسيغها لك التقيد بالوزن والقافية في الترجمة الشعرية — ، فالحق والانصاف ، كما عرضت لك ، أجدْتَ كثيرا كثيرا في الخروج من عهدتها ، ولعلّه يمكن ان يقال إن هذه الترجمة اقرب جميع الترجمات الشعرية للخيام بلا استثناء ... »

واما عبد الحق فاضل ، فقد أتيح له ما اتيح لابن وطنه النجفي من ترجمة عدد من الرباعيات، هي التي ضمّها القسم الثاني من كتابه « ثورة الخيام» ، خلال وجوده قنصلا للعراق بطهران في أواخر الأربعينات من هذا القرن، وقيّض الله له من الايرانيين من يشيد ببراعته وقدرته في ترجمة الخيام وفهمه وسبر اغواره ، الا وهو الأستاذ سعيد نفيسي المحقق الايراني المعروف، الذي قال في مقدمته لكتاب عبد الحق فاضل ، وهي مترجمة عن الفارسية ، « كان المؤلف المحترم قد استودعني كتابه (ثورة الخيام) قبل طبعه ، وقد قرأته قراءة إمعان . لم يبلغ احد حتى اليوم هذا المنحى وهذه الدرجة من الكمال في تحليل نفس الخيام واكتناهها وتمحيص افكاره . لقد استهواني هذا الكتاب الى حدّ صرت معه اترصّد بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي اقرا فيه نسخته المطبوعة ايضا مرارا عديدة اخرى » .

٨٩ — الرسالة مؤرخة في ٢٦ يوليو ١٩٢٦ ، وصادرة من باريس .

وقال : « لما سرّني الشاعر المفلق آقاي (السيد) عبد الحق فاضل قنصل العراق في طهران برؤيته (عام ١٩٥٠) ، وتلا عليّ بعض رباعيات الخيام التي ترجمها حديثا باللغة العربية بمقدرة بالغة وحذق يبعث الدهشة ؛ عاودت ذهني نفس الفكرة ، وهي ان هذا الحكيم النيسابوري الكبير اسعد شعراء الدنيا حظا في الحقيقة ، إذ يتاح له مثل هؤلاء المترجمين والمعرفين الأفذاذ في مختلف اللغات » .

واشاد الدكتور محمد محمدي،الأستاذ بجامعة طهران،بعملين آخرين : احدهما في باب الترجمة ، وهو « نفحات من خمائل الأدب الفارسي »لجعفر الخليلي ، والآخر في الدراسات المقارنة ، وهو « تأثير فرهنگ عرب در اشعار منوچهري دامغاني » للدكتور فكتور الكك .

يقول عن الاول : « ... إن الأشعار المختارة اكثرها من الأبيات السائرة المعروفة في الفارسية ، وذلك لجمعها بين جزالة اللفظ ، وسهولة النظم ، والايجاز في التعبير عن فكرة او نكتة اراد الشاعر بيانها. وقد حذا الشاعر المترجم في تعريبها حذو الأصل ، فراعى في الترجمة كل ما امكنت رعايته ، ونقل الى العربية كل ما تسمح هذه بنقله اليها من خصائص اللغة الفارسية ، فجمع بين دقة التعبير وجمال العرض . وهذا ما يجعل القارىء يقدر شاعريته الفذة من جهة ، ويرتاح الى حسن اختياره ،ورفعة ذوقه من جهة اخرى » (مقدمة الترجمة) .

والحق أن الدكتور محمدي عبّر عن كل ما بنفسي حول « نفحات » الأستاذ الخليلي ، انظر الى قول سعدي :

من ازجفات نترسم ولي ازآن ترسم — كه عمر من بجفا كردنت وفا نكند

ثم انظر الى ترجمة الخليلي :

انا ان خفت يا حبيبي ، نخوفي — لم يكن من جفاكْ او إغضائِكْ
إنما خيفتي بأن يَقْصُرَ العمرُ — ويمضي ، فلا يفي لجفائِكْ

ويقول محمدي عن الكتاب الآخر « ان الكتاب نموذج لدقة بحث مؤلفه الفاضل وحسن ذوقه وسليقته ، وهو يملأ حيزا في الأدب الفارسي، وفي موضوع الأدب المقارن،ظل شاغرا الى الآن » (مقدمته الفارسية للكتاب ، ص ١٧) .

واما المرحوم صادق نشأت فقد نوّه في تقريره عن « وضع زبان فارسي در مصر (٩٠) » (الفارسية في مصر) ، أيام كان مستشارا ثقافيا لايران في القاهرة واستاذا للفارسية في جامعاتها ، بجهود الرعيل الأول من المصريين وخدماتهم العلمية للفارسية وآدابها ، ومن هؤلاء: عبدالوهاب عزام ، ويحيى الخشاب ، وابر هيم أمين الشواربي ، ومحمد موسى هنداوي ، وطه ندا ، ومحمد كفافي ، واحمد الساداتي ، ومحمد غنيمي هلال ، وحامد عبد القادر ، وعبد النعيم حسنين ، وفؤاد الصياد ، وحسين مجيب المصري ، وامين عبد المجيد بدوي ، وأحمد رامي .

الدكتور يوسف حسين بكار

---

٩٠ ـ مجلة دانشكده ادبيات تهران ، سال هشتم ، شماره ٢ ، دي ماه ١٣٣٩ ، ص ٤٦ـ٥٠

اهم المصادر

- آل علي ، نور الدين (الدكتور) :

الصحافة الفارسية في مصر . مجلة المنتدى . السنة الاولى ، العدد الثاني ١٩٧٨ .

- الاسدي ، مشكور :

وقفة على قبر الخيام . مجلة الاخاء ، السنة الخامسة ، العدد ٥٩ ، كانون الثاني ١٩٥٩ .

- البارودي ، محمود سامي (الشاعر) :

ديوان البارودي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

- البدوي الملثم (يعقوب العودات) :

عرار شاعر الاردن ، ١٩٥٨ (دون ذكر مكان الطبع) .

- البستاني ، فؤاد افرام (الدكتور) :

١ ـ بين العربية والفارسية . مجلة الدراسات الادبية . السنة الثالثة ، العدد الاول ١٩٦١ .

٢ ـ سليمان البستاني (سلسلة الروائع ، رقم ٤٤ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٣)

- جرجي زيدان :

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر . الطبعة الثالثة ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٢٢ .

- الحوفي ، محمد احمد (الدكتور) :

تيارات ثقافية بين العرب والفرس . القاهرة ١٩٦٨ .

- رستاخيز ـ جريدة بالفارسية ، العدد ٩٤٧ ، تيرماه ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

- سويف ، مصطفى (الدكتور) :

الاسس النفسية للابداع الفني . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٥٩ .

— الشهرستاني ، صالح :

اول أديب مصري ينال الوسام الهمايوني — مجلة الاخاء . السنة (١١) ، العدد (١٨٢) ، تشرين الثاني ١٩٧٠ .

— الشواربي ، ابر هيم (الدكتور) :

١ — مقدمة تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي ، لبراون (الترجمة العربية) ، كمبردج ١٩٥٤ .

٢ — مقدمة كتاب ((نظامي الكنجوي شاعر الفضيلة)) للدكتور عبد النعيم حسنين ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٤ .

— شيخو ، لويس :

١ — الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٢٤ .

٢ — الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٦ .

— صقر ، عبد البديع :

شاعرات العرب ، المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٦٧ .

— الصياد ، فؤاد عبد المعطي (الدكتور) :

دور الفرس في بناء الحضارة الاسلامية ، بحث في كتاب : الصلات الثقافية بين ايران والعرب ، القاهرة ١٩٧٥ .

— الطرازي ، مبشر :

الكتاب الايراني في مصر ، بحث في كتا ب: جوانب من الصـــلات الثقافية بين مصر وايران ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ طه حسين (الدكتور) :

١ ـ كنز جديد ـ تاريخ البيهقي (ترجمة الخشاب ونشات) . الاخاء ، السنـــــة السادسة ، العدد (٧٤) ، نيسان ١٩٦٦ .

٢ ـ مقدمة كتاب « حافظ الشيرازي شاعر الغناء والغزل في ايران » للدكتور ابر هيم الشواربي مطبعة المعارف ، القاهرة ١٩٤٤ .

٣ ـ مقدمة « اغاني شيراز » (ترجمة ديوان حافظ) ، للدكتور الشواربي ، الجـزء الاول لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٤ .

ـ عزام ، عبد الوهاب (الدكتور) :

١ ـ فصول من المثنوي (المقدمة) ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ .

٢ ـ مدخل الشاهنامة (الترجمة العربية) ، طبعة الافست ، طهران ١٩٧٠ .

ـ عواد ، كوركيس :

معجم المؤلفين العراقيين ، بغداد ١٩٦٩ .

ـ كفافي ، محمد عبد السلام (الدكتور) :

في الادب المقارن ، دار النهضة العربية : بيروت ١٩٧٢ .

ـ المصري ، حسين مجيب (الدكتور) :

١ ـ ايران ومصر عبر التاريخ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ .

٢ ـ في الادب العربي والتركي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ .

ـ مي زيادة :

شاعرة الطليعة عائشة تيمور ، دار الهلال ، العدد (٦٨) .

- النجفي ، احمد الصافي :

مقدمة ترجمته لرباعيات الخيام .

- نشأت ، صادق :

وضع زبان فارسي در مصر (وضع الفارسية في مصر) ، مجلة دانشكده ادبيـــات تهران سال (٨) ، شمارة (٢) ، ديماه ١٣٣٩ شمسي .

- نعمات احمد فؤاد (الدكتورة) :

قمم ادبية ، عالم الكتب ، القاهرة ، دون تاريخ .

- الهنداوي ، محمد موسى (الدكتور) :

مقدمة ترجمة ((بوستان سعدي الشيرازي)) الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٤ .

- هيكل ، محمد حسين (الدكتور) :

مقدمة ديوان البارودي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

- وحيد الدين بهاء الدين :

شخصيات من الادب المعاصر ، حلب ١٩٧٠ .

كشف الخفاء في البيعة لعلي الرضا

للدكتور محمد ضيف الله بطاينه
(جامعة اليرموك / الأردن)

... جعل هارون الرشيد الخلافة من بعده في ولده، ورتّبها فيهم بترتيب البيعة لهم، فعقدها اولا لمحمد الامين، ثم عقدها لعبد الله المأمون، ثم عقدها للقاسم المؤتمن. فقال بعض الناس : احكم الرشيد امر الملك. وقال بعضهم بل القى بأسهم بينهم (١) .

ولما أدركت المنيّة هارون الرشيد، نودي بالأمين خليفة للمسلمين، فبايعوه وبايعه أخوته، وبايعه المأمون الذي كانت اليه أمور خراسان منذ خلافة والده . إلاّ أن أيام الصفاء بين الأمين والمأمون لم تَدُم، واخذت حاشية كل منهما تزيّن لصاحبها الكيد لأخيه، واسفرت المحاولات التي كانت ترمي الى الايقاع بينهما إلى إعلان الأمين عقد البيعة بالخلافة لولده من بعده ، والغاء عقد بيعة أخيه المأمون، ودق طبول الحرب بينهما ؛ ثم اعلان خلع الأمين والدعوة للمأمون بالخلافة في خراسان (٢). وهاجت الحرب بين الاخوين، وسيقت الجيوش الى ميادين القتال تباعا، ثم قُتِل الأمين، وخَلَص الملك سنة ١٩٨ هـ للمأمون، ومضى يصرّف امور الدولة من مرو، حاضرة خراسان، وترك بغداد وغيرها من البلدان الى نظر الحسن بن سهل

---

١ ــ ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ . تحقيق محمد ابو الفضل ، ١٩٦٦ .

٢ ــ المصدر نفسه ص ٤٠٤ ــ ٤١١ .

اخي وزيره ومدبّر امره في خلافه مع الامين ، الفضل بن سهل .

لم تهدأ الاحوال بعد مقتل محمد الامين،وظلّت الفوضى قائمة وثورات السخط والغضب تتفجر من بلد الى بلد،ثم حملت الاخبار قرار المامون بجعل علي بن موسى ابن جعفر العلوي وليَّ عهد المسلمين والخليفة من بعده ، وتسميته الرضا من آل محمد،ومطالبة الجند بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة،ثم وردت الكتب بذلك الى الآفاق،وطُلب الى الولاة ان يأخذوا البيعة له على الناس،وان يدعوا له على المنابر بعد الخليفة المامون (٣) . فلما كان ذلك ، اتى بني العباس ما كان يحذرون .

فلماذا اراد المامون ان ينقل الخلافة من بني العباس بن عبد المطلب الى بني علي بن ابي طالب ؟

وهل كان المامون جادّا في قراره ؟

كانت هذه البادرة لا مثيل لها في تاريخ العلاقات العباسية ـ العلوية من قبل،وقد سبق المامون اليها غيره ممن تقدم عليه من خلفاء بني العباس، ويقول ابن الطقطقي بخصوص ذلك (٤) : « ومن اختراعاته ــ يعني المامون ــ نقل الدولة من بني العباس الى بني عليّ،عليه السلام » .

تناولت الاخبار التاريخية « اختراع المامون » بالتحليل ، وقدّمت ما راته من الدوافع التي ادت الى اتخاذه،وجعلت المامون يُقْدِمُ عليه . وسنتناول هذه الاخبار على النحو التالي :

اولا : الاخبار التي تذكر أن سبب بيعة المامون لعلي بن موسى يعود

---

٣ ــ ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٥٤ ، الكندي / ولاة مصر ص١٦٨، تحقيق حسين نصار ١٩٥٩ ، ابن العمراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ . تحقيق قاسم السامرائي،لايدن ١٩٧٣ م .

٤ ــ ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ طبعة القاهرة ١٩٢٣ .

الى تقوى عليّ وعلمه وورعه وفضله على آل عليّ وآل العباس سواء .

قال ابو جعفر الطبري : « وذلك انه — يعني المأمون — نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا اعلم منه » . (٥)

وقال المسعودي : « ... إنه نظر في وُلد العباس ووُلد علي، رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته احدا هو أفضل ولا أحق بالامر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد » (٦) .

وجاء في أخبار مسكويه : « نظر المأمون في بني العباس وبني علي فلم يجد احدا افضل ولا اورع ولا أعلم من علي الرضا، فولاه عهده وسمّاه الرضا من آل محمد » (٧) .

ويبدو أن تعيين علي الرضا وليا للعهد لعلمه وورعه وتقدمه في الفضل على بني علي وبني العباس غير مقبول ، إذ يبدو أن هذه الأخبار تحمل في ثناياها دعاوى امامية قد لا يكون المأمون مؤمنا بها، ولا ندري كيف وقع للمأمون ان علي بن موسى افضل هؤلاء. وقد شك ابن الطقطقي(٨) في اختيار المأمون لعلي بن موسى وليا للعهد لصلاح علي، فقال : « إن المأمون قد فكّر في حال الخلافة بعده، واراد ان يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته ، كذا زعم » .

وقال القمي : لم يكن — يعني المأمون — يرمي الى ان يتم العهد

---

٥ — ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٥٤ .

٦ — المسعودي / مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٨ . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٨ .

٧ — مسكويه / تجارب الامم ص ٤٣٦ . مجلد مطبوع ملحق بكتاب العيون والحدائق مكتبة المثنى — بغداد .

٨ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

للرضا (٩) .

ثانيا : الاخبار التي تذكر ان سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود الى وفاء المأمون بالنذر الذي نذره على نفسه إنْ انتصر على اخيه الامين .

قال الاصفهاني : « قال المأمون : اني عاهدت الله أن اخرجها الى افضل آل ابي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما اعلم احدا افضل من هذا الرجل » . (١٠)

وساق القمي حديثا طويلا مفاده، ان المأمون عيّن علي بن موسى خليفة من بعده وفاء لما عاهد الله عليه إنْ نَصَرَه على اخيه الأمين، وافضت الخلافة اليه، أنْ يضعها في موضعها الذي وضعه الله تعالى. فلما تمّ الامر للمأمون، لم ير احداً احق بالخلافة من ابي الحسن علي الرضا (١١) .

وتبدو بوضوح ، من خلال ربط النصر بالنذر، ميول رواة الخبر الشيعية؛ وهذا مما لا يقوم به سبب مقنع في اختيار المأمون عليًّا لولاية العهد وجعله مسير الخلافة محكوما بالنذور .

ثالثا : ذكر القفطي (١٢) في اخبار الحكماء أن المأمون لما راى آل علي بن ابي طالب متخشين متخفين من خوف ابي جعفر المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء من بني العباس، وراى العوام قد خفيت عنهم أمور العلويين بالاختفاء، فظنوا بهم ما يظنون بالانبياء ويتفوهون في صفتهم ما يخرجهم عن الشريعة من التغالي، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل، ثم فكر انه اذا

---

٩ ــ محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط ــ دار الكتب القاهرة رقم ٢٢١٢ .

١٠ ــ الاصفهاني / مقاتل الطالبيين ص ٥٦٣ طبعة القاهرة ١٩٤٩ .

١١ ــ محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٨ ، ١٨١ مخطوط .

١٢ ــ القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٤٩ ــ ١٥٠ ، دار الكتب الخديوية / القاهرة ــ الطبعة الاولى .

فعل هذا بالعوام زادهم اغراء به،فنظر في هذا الامر نظرا دقيقا،ورأى ان يقدم احد العلويين للحكم ويظهرهم للناس،فيرى الناس فسق الفاسق منهم وظلم الظالم،فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء، فيسقطوا من اعين الناس وينقلب شكر الناس لهم ذمّا .

واورد القمي خبرا شبيها بالذي اورده التنفطي ، قال القمي : « إن المأمون جعل لعلي بن موسى ولاية العهد من بعده .. ليرى الناس رغبته في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم » (١٣) .

وقد يكون ما اورده القمي والقنفطي سببا لقصة البيعة لعلي بن موسى، لا يعدو ان يكون تفسيرا منهما لقضية البيعة.وإلاّ فان علي بن موسى لم يكن اماما لكل العلويين (١٤) وإنما كان إماما لفئة منهم.وعندما قامت ثورات العلويين في البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن (١٥)،لم تختر واحدة من هذه الثورات عليًّا رئيسا لها،وانما اختارت غيره،واذا كان المأمون اراد بفعلته ان يفضح العلويين المتخفّين ويكشفهم أمام المخدوعين بهم،ويمزق استار القداسة المضروبة عليهم،فان المأمون يكون قد فاته هذا الغرض،لأن الناس خبروا الذين ثاروا من العلويين وصارت اليهم مقاليد الامور،وعرفوا ما كان منهم من خير او شر ، واضافة الى ذلك فقد قيل في علي بن موسى إنه لم يكن له من امور الحكم شيء.

رابعا : قيل إن المأمون كان يتشيع للعلويين،وقد حمله افراطه في التشيع على مبايعة علي بن موسى بولاية العهد .

---

١٣ ـ محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

١٤ ـ انظر محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٨ ، ٩ . مخطوط .
الحسن النوبختي / فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة استانبول ١٩٣١ م .
سعد القمي ، المقالات والفرق ص ٨٩ . طبعة طهران ١٩٦٣ .

١٥ ـ ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٢٨ ـ ٥٤٤ .

قال القمي : « قال المأمون اتدرون من علّمني التشيع ... علمنيه الرشيد • قيل له:وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال كان يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم » . (١٦)

وذهب الى ذلك السيوطي قال : « وجعل ــ المأمون ــ ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حمله على ذلك امراطه في التشيّع،حتى قيل إنه همّ ان يخلع نفسه ويفوّض الامر اليه » . (١٧)

وبخصوص هذا التشيع الذي رمي به المأمون،فيبدو ظاهره المتمثل بالبيعة لعلي بن موسى متهوما ومتهوم باطنه كذلك ، لما روي عن علي بن موسى انه كان يحدّث اصحابه الذين يثق بهم عن المأمون واحاديثه في إمامة علي بن ابي طالب وتفضيله عن سواه،ويقول لهم : « لا تغترّوا منه بقوله، نما يعتلي والله غيره » (١٨)

ويحدثنا ابن عبد ربه عن المأمون أنه سأل علي الرضا عن سبب دعواهم امر الخلافة،فلما اجاب عليّ ان ذلك كان بقرابة علي بن ابي طالب وفاطمة من الرسول عليه السلام،قال المأمون :

« إن لم يكن هاهنا إلاّ القرابة فقد خلف رسول الله من أهل بيته من كان اقرب اليه من علي أو من في مثل تعدده ــ نسبه ــ،وان كان بقرابة فاطمة من الرسول،فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين،وليس لعلي في هذا الامر حق وهما حيّان ؛ فاذا كان الامر كذلك،فان عليا قد ابتزّهما حقّهما وهما صحيحان،واستولى على ما لا يجب عليه » (١٩)

---

١٦ ــ القمي / عيون أخبار الرضا ص ٣٤ مخطوط .

١٧ ــ السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ . الطبعة الاولى ١٩٥٢ م تحقيق محمد محيي الدين.

١٨ ــ القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٩٦ مخطوط .

١٩ ــ ابن عبد ربه / العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٨٥ . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .

وهذا دليل ، ان صحت هذه الروايات ، على أن المأمون لم يصدرفيما اتخذه عن نفس مطمئنة بالتشيّع للعلويين .

واضافة الى ذلك فان القفطي يذكر ان المأمون كان ينوي، بعد قضاء غرضه من البيعة لعلي بن موسى، ان يردّ الأمر الى حالته الاولى » . (٢٠)

يتضح مما سبق أن المأمون لم يكن جادا في البيعة لعلي بن موسى واتمامها له، وانما يبدو أن في الأمر لسرا ، وان البيعة لا تخلو من غرض، وقد يجليها لنا تتبع الأحوال العامة التي واكبت حادثة البيعة، والخاتمة التي انتهت اليها .

أما فيما يتعلق بالأحوال العامة فلا يمكن إغفال الخلاف الذي دار بين الأمين والمأمون، والأطراف التي شاركت فيه وصنعته رغبة منها بالسلطان والاستبداد به وتعزيز تسلطها والانفراد به ؛ وقد صار قتل الأمين وقيام المأمون بأمر الخلافة انتصارا ضمنيًّا للاتجاه الذي كان يقف وراء المأمون، ويتستر به، ويقف الفضل بن سهل واعوانه على راسه ، وهزيمة للاتجاه الثاني الذي كان يقف وراء الأمين ويراسه الفضل ابن الربيع .

إلاّ أن بقاء المأمون في مرو، حاضرة خراسان، بعيدا عن بغداد دارخلافة آبائه ، اعطى من حوله مركزا افضل، وعزّز موقعهم في الدولة، وصار لهم القول والفصل في امور الدولة ومصالح الناس، وفاز الفضل بن سهل بالنصيب الأوفى من ذلك، فصارت اليه الرياستان — الحرب والتدبير — وله مرتبة من يقول فيسمع منه . (٢١)

كان ذلك تعدّيا على سلطان الخليفة المأمون، مارسه هؤلاء من خلال الدّالّة التي اوجبوها على المأمون، الذي يقيم في خراسان بين انصاره من

٢٠ — القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٥٠ .

٢١ — الجهشياري / الوزراء والكتاب ص ٣٠٥ — ٣٠٦ الطبعة الاولى ١٩٣٨ مكتبة البابي الحلبي / القاهرة .

اخواله الذين ساقوا اليه الخلافة بتدبير عقولهم وحدّ سيوفهم ، وقدضخّمت الدعاية والاعلام مدى ما وصل اليه هؤلاء من النفوذ،حتى قيل إن المأمون وقع تحت نفوذ الفضل بن سهل،وإن الفضل قد استولى عليه (٢٢) وصار ما يُبرم من أمر ويتّخذ من قرار تنسبه الأوساط العامة والخاصة في بغداد غالبا الى الفضل بن سهل •وقد يكون من هذا القبيل ما نُسب الى الفضل ابن سهل من شعر يذكر فيه فضل اهل خراسان على المأمون ونصرتهم له في سوق الملك اليه،قال : (٢٣)

ان مأمون هاشم أصله مكـ ـة منها آباؤه وجدوده
غير انا نحن الذين غذونا ه بماء العلا فأورد عوده
من خراسان اتبع الامر فيهم وتوشّت للناظرين بروده
قد نصرنا المأمون حتى حوى الملك ففينا طريفه وتليده
مثلنا لا يراه ما برق الصبـ ـح وشقّ الظلام منه عوده

ويبدو ان هذا الشعر قيل على لسان الفضل لاثارة الشك في نفس المأمون،وتحريضه على من حوله واستعدائه على وضعه بخراسان .

واذا اضفنا الى تسلّط اعوان المأمون من خلال الدالّة عليه ، صدى قتل الامين واستنكار اهل بغداد ، بخاصة ، ذلك ، وتوجيه اللوم الى المأمون (٢٤) ، تبين لنا مقدار الضيق والعنت الذي كان يواجهه المأمون في إقامته بمرو .

---

٢٢ ــ ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٥ ، ١٨٥ مخطوط .

٢٣ ــ المرزباني / معجم الشعراء ص ١٨٢ .

٢٤ ــ ذكر الجهشياري ان الفضل بن سهل قال لما قتل طاهر بن الحسن الخليفة الامين : ما فعل بنا طاهر ؟ سلّ علينا سيوف الناس والسنتهم . انظر : الجهشياري / الوزراء والكتاب ص ٣٠٤ .

ثم استغل العلويون الفرصة،واشعلوا الثورات في المدن المختلفة من العراق والحجاز واليمن ؛ كذلك واصل الاتجاه المعارض للمأمون والذي كان مؤيدا للأمين نشاطه وتجرا من اختفى من رجاله،مثل الفضل بن الربيع ايام قتل الامين على الظهور والانضمام الى صف المعارضة،وتحدوا الحسن ابن سهل،ممثل المأمون في بغداد،ووقعت الحرب بين الجانبين.وقد تمكنت المعارضة في فترة تالية من طرد الحسن وطرد عماله . (٢٥)

فما عسى المأمون يفعل ازاء ما كان يجري حتى يعيد للخلافة قوتها ونفوذها،وتصبح قادرة على مباشرة صلاحياتها،وكف الاعتداء على سلطانها ؟

تذكر الاخبار ان المأمون في غمرة الاحداث الجارية انفذ من خراسان رجلين من اهل ثقته،هما رجاء بن ابي الضحاك وفرناس الخادم،وامرهما ان يأتيا المدينة المنورة،ويحضرا علي بن موسى بن جعفر ؛ فلما احضراه ، عقد المأمون البيعة بالعهد له (٢٦) ، واعلن ذلك في الآفاق .

ويبدو من صدور قرار المأمون في الظروف الآنفة الذكر ما لا يدع مجالا للشك في ارتباط هذا القرار بما كان يجري من حول المأمون،وعلاقته بالموقف السياسي آنذاك ، لذلك سنتابع التطورات التي طرات بعد اعلان البيعة لعليّ بن موسى، لما لها من دور ايجابي يُعيِّن على توضيح غرض المأمون ومغزاه من البيعة لعلي،وسنتناول في مجرى التطورات موقف الفضل بن سهل واهل بغداد،باعتبارهما يمثلان اتجاهين رئيسيين متعارضين في الخلاف

---

٢٥ ــ ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٤٨ .

٢٦ ــ اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٤٨ ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .
ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٤٤ .
ابن العمراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .
ابن الاثير / الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ١٨٣ . المكتبة التجارية / القاهرة ١٣٥٧ هـ
تحقيق عبد الوهاب النجار .

القائم .

ومما يلفت النظر ان مقرّ الخلافة ، واين يكون ، كان واحدا من ابرز مسائل الخلاف بين الاتجاهين، واعطاء كل جانب اهمية كبيرة في اتجاه تقرير مصير الخلاف . ويبدو ان الفضل بن سهل راى اول الامر ان البيعة لعلي ابن موسى تخدم غرضه في بقاء المأمون في مرو بعيدا عن بغداد؛ لذلك اظهر رضاه عن البيعة. وهو ما يفسر لنا الروايات التي تذهب الى القول بأن الفضل بن سهل زيّن للمأمون البيعة لعليّ بن موسى الرضا (٢٧) .

اما فيما يتعلق بأهل بغداد فقد تلقّى اغلبهم اعلان البيعة بالسخط والانكار، وكان بنو العباس اشدهم في ذلك نكيرا ، واتهموا الفضل بن سهل بحمل المأمون على اتخاذ القرار، ونعتوا الفضل بالمجوسي ابن المجوسي، وقالوا فيه إنه يحتال في جعل الملك كسرويا، وانه زيّن اتخاذ لباس الخضرة، وهي لباس كسرى والمجوس ، فأدار العباسيون في بغداد الأمر بينهم واعلنوا خلع المأمون والبيعة لابرهيم بن المهدي (٢٨) .

اخذت ردود الفعل تبلغ مسامع الفضل بن سهل ، فأسقط في يده ، وصارت تساوره المخاوف والشكوك ، وبدأ يلمس خطورة قرار البيعة الذي اتخذه المأمون عليه ، فصار يحاول جاهدا تعمية الأخبار على المأمون ومنع وصولها اليه، وينزل صنوف العذاب بمن يبلغه عنه انه دخل عند المأمون بهذا الوجه ، وقد اتهم بقتل القائد المشهور هرثمة بن اعين الذي قيل إنه

---

٢٧ ــ ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٥٥ . ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٥ مخطوط . ابن الاثير / الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ١٨٣ . ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

٢٨ ــ انظر من اجل ذلك : الجهشياري / الوزراء والكتاب ص ٣١٢ ــ ٣١٣ . ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٥٥ .

جاء من بغداد الى المأمون في مرو ليطلعه على حقيقة ما يجري من الشكوى ضد الفضل بن سهل واعوانه ، وما يخوض الناس فيه،وليردّه الى بغداد . (٢٩) كما اخذ الفضل يتغيّر لعلي بن موسى ويقيم عليه المراصد للوقوف على اخباره (٣٠) .

أما فيما يتعلق بعليّ بن موسى فان الاخبار تشير الى انه كان قد أوجس خيفة من مراودة المأمون اياه على البيعة له،وانه اقتيد الى ذلك اقتيادا.فيذكر القمي انه لما أراد المأمون علي بن موسى على البيعة اعتلّ علي بعلل كثيرة (٣١).ويقول ابن العمراني إن علي بن موسى قال للمأمون: يا أمير المؤمنين : إن هذا الأمر لا يتمّ،فاعفني.فلم يُعْفِه (٣٢) . وكان علي ابن موسى يشعر بالضيق خلال وجوده في مرو مع المأمون والفضل بن سهل،وتنتابه حالة من الشك والقلق،وتستبد به الظنون،وكُثُر ما نسب اليه سؤال المأمون بالرجوع الى بغداد تخلّصا مما يجري (٣٣) .

اما المأمون فقد ظل يرقب ردود الفعل،وينظر درجة التطورات التي وصلت اليها ؛ فلما اطمأن الى رغبة القادة الملحّة من حوله في العودة الى بغداد ، وضعف مركز الفضل بن سهل واعوانه ، الى حدّ وضعه في قفص الاتهام وتجريمه ، ونظرة أهل بغداد الى اقامة الخليفة بينهم نظرة المتمني، وبَرَمهم بالفوضى التي عموا بها ، وخوف بني العباس من انتقال الملك عنهم خوفا أنساهم قتل الأمين ، اعلن الرحيل من مرو خراسان صوب بغداد .

---

٢٩ ــ ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٤٢ ــ ٥٤٣ .
ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ .

٣٠ ــ ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٩ . ومواضع متفرقة ــ مخطوط .

٣١ ــ ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط .

٣٢ ــ ابن العمراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

٣٣ ــ مسكويه / تجارب الامم ص ٤٤١ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٢ مخطوط . ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٦٤ .

تقدم الفضل بن سهل الى المأمون ينصحه بالعدول عن الرحيـــــل ، ويعرض عليه موانع ذلك،ويذكّره بقتل اخيه الأمين ومعاداة اهل العراق له ، والبيعة لعلي بن موسى،وازالة الخلافة عن بني ابيه بني العباس وتغيّر قلوبهم له ؛ ولكن المأمون اعرض جانبا عن نصائح وزيره،وطلب اليـــه ان يستعدّ للرحيل معه الى بغداد.فلما رأى الفضل بن سهل ان المأمون جاد في الامر . اعتذر الفضل الى المأمون عن المسير معه وقال :

« يا امير المؤمنين إن ذنبي عظيم عند اهل بيتك وعند العامة ،والناس يلومونني بقتل اخيك المخلوع وبيعة الرضا،ولا آمن السعاة والحساد واهل البغي ان يسعوا بي،فدعني اخلفك بخراسان ».فلم يوافقه المأمون،واعلمـــه عدم استغنائه عنه وليس من هناك الا الثقة المأمون الناصح (٣٤) .

ويبدو ان ليس ادل على مدى التوفيق الذي بلغه المأمون في البيعـــة لعلي بن موسى من هذا الحال الذي صار اليه الفضل بن سهل من ضعف الحول وقله الحيلة ، فلما بلغ المأمون ببعض الطريق . قيل في سرخس ، قُتل الفضل بن سهل،فاتهم المأمون بقتله .(٣٥)وقيل ان القتلة قالوا للمأمون عند مثولهم بين يديه : انت امرتنا بقتله (٣٦) .

ولما بلغ المأمون مدينة طوس . مات علي بن موسى ، قيل في اكثاره من اكل العنب (٣٧) وقيل في السُم (٣٨) وقيل اعتلّ اسابيع ومات (٣٩).

---

٣٤ ــ ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٤ مخطوط .

٣٥ ــ المصدر نفسه ص ١٨٤ .

٣٦ ــ ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٢ .

٣٧ ــ المسعودي / المروج جـ ٤ ص ٢٨ .

٣٨ ــ اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٥٣ .
الاصفهاني / مقاتل الطالبيين ص ٥٦٦ ــ ٥٦٧ .
ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

٣٩ ــ اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٥٣ .
ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

وتقدم المأمون نحو بغداد يزفّ نفسه اليها،بلا الفضل بن سهل،وبلا علي بن موسى ، ففتحت بغداد ذراعيها له،وكان لسان حالها :

جعل الله قدومك يا امير المؤمنين ؛ مفتاح رحمة لك ، ولمن تدمت عليه من رعيتك ؛ فقد أشرقت البلاد حين حللتَ بها ، وآنس الله بقربك اهلها ، ونصبت الرعية اليك أعينها ، ومدت الى الله فيك ولك أيديها ، لتصيب من مقدمك عدلا يحييها ، ومن نيل يدك فضلا يغنيها . (٤٠)

ومكث المأمون أياما ببغداد،قيل ثمانية،وهو يلبس لباس الخضرة،ولم يكن احد يجتري أن يلبس شيئا من لباس السواد ؛ فلما راى طاعة الناس له،طرح لباس الخضرة وامر بلباس السواد،وعمّ الناس بعفوه واحسانه (٤١)،ولم يعد الى تعيين ولي عهد علوي آخر .

وهكذا نرى تعيين علي بن موسى خليفة من بعد المامون كان خطة ذكية،وعملا جريئا لتخليص الدولة من حمّى الاتجاهات والأغراض السياسية المتضاربة،وانقاذ الموقف السياسي المضطرب،ولم يكن عملا جادا لنقل الخلافة عن بني العباس الى آل علي .

الدكتور محمد ضيف الله البطاينه

---

٤٠ ــ ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت العطار الحسيني،

٤٠ و ٤١ ــ ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت العطار الحسيني ،

موقف من يونس بن حبيب

للدكتور محمود حسني محمود

(الجامعة الأردنية)

– ١ –

هو (١) أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي البصري . يكاد أغلب الذين ترجموا له أن يتفقوا على انه واحد من الموالي العرب ، ولكنهم حاروا في من كان مولاه ؛ فقيل (٢) انهم بنو ضبة ؛ وقيل (٣) بنو ليث بن بكر ، وقيل (٤) بلال بن هرمي، من بني ضبيعة بن بجالة . اما صاحب « معجم الأدباء فقد رأى أنه ضبي نسبا صريحا ، ولكنه عاد وروى انه مولى بني ليث ؛ قال (٥) : « أبو عبد الرحمن الضبي وقيل الليثي بالولاء » . وكان نسب يونس يحيّر أبا الحسن الخزاز، الذي لم يستطع ان يتحقق من الأمر، فكان يقول (٦) : « لا أدري هو مولى أم لا » . وفي جميع الأحوال فإن يونس يبقى عربي الأصل . ولم يذهب أحد الى أنه غير ذلك سوى صاحب «مفاخر

---

١ ـ طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٥ . بغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

٢ ـ وفيات الاعيان : ج ٧/٢٤٤. الفهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : ج ٤/٦٨ .

٣ ـ وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ . معجم الادباء ج . ٢/٦٤ . الفهرست : ص ٧٩ .

٤ ـ وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٤ .

٥ ـ ج ٢٠ / ٦٤ .

٦ ـ الفهرست : ص ٧٩ .

العجم » الذي ادعى (٧) أنه أعجمي الأصل ، مفتخرا بذلك ، توهما (٨) منه انه من اهل الجبل، بينما هو في الحقيقة من مواليد جَبُّل (٩) : القرية الواقعة (١٠) بين النعمانية وواسط ، ولعل لفظ « جبل » هو الذي اوهمه انه من اهل الجبل .

وقد قدر الله ليونس أن يعيش عمرا مديدا ، اختلفت الروايات (١١) في تقديره ، وتراوح فيها بين ٧٨ سنة الى ١٠٢ من السنين ، ولكن الأغلب أنه عاش ٨٨ عاما ، او قريبا منها ، وأنه توفي سنة ١٨٢ هـ .

ويبدو انه فرَّغ حياته تماما من أجل العلم ، ولم تشغله شواغل الدنيا « فلم (١٢) يَتَسَرَّ ، ولم يتزوج » ، و « (١٣) لم تكن له همة الا طلب العلم، ومحادثة الرجال » ولعلّ عدم انشغاله بشيء غير العلم يَسَّر عليه جهدا في امتلاك حصيلته العلمية التي وصل اليها ، وامكنه من الحفاظ عليها، حتى قيل فيه قولٌ ظريف : « (١٤) مثل يونس كمثل كوز ضيق الراس ، لا يدخله

---

٧ ــ الفهرست : ص ٧٩ .

٨ ــ تاريخ الادب العربي (بروكلمان) : جـ ٢ / ١٣٠ .

٩ ــ وفيات الاعيان جـ ٧ / ٢٤٤ . انباه الرواة : جـ ٤ / ٦٨ .

١٠ ــ معجم البلدان : جـ ٢ / ١٠٢ . قال ياقوت : ((بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي، كانت مدينة وأما الان فاني رايتها مرارا وهي قرية كبيرة ، قال البحتري :
لئن اوحشتني جُبُّل وخصاصها لما انستني واسط وقصورها)) .

١١ ــ ولعل اصحها تلك التي وردت على لسان الجاحظ في حديثه للمبرد، وتفيد بان يونس توفي سنة ١٨٢ هـ وهو ابن ثمان وثمانين (مراتب النحويين ص ٢١ وانظر الحيوان جـ ٥/ ٥٩١) . وهذه الرواية تتطابق مع ما ورد على لسان اسحٰق بن ابرٰهيم الموصلي في الفهرست ص ٧٩ .
اما في : البداية والنهاية : جـ ١٠/١٨٤ . فقد ورد انه توفي عن ٧٨ سنة . وفي طبقات المفسرين جـ ٢ / ٣٨٦ وبغية الوعاة : جـ ٢ / ٣٦٥ توفي عن تسعين . وفي احدى روايات الانباه : جـ ٤ / ٧١ انه جاوز المائة .

١٢ ــ انباه الرواة : جـ ٤/٧١ . طبقات المفسرين : جـ ٢/٣٨٦ . بغية الوعاة : جـ ٢/٣٦٥.

١٣ ــ الفهرست : ص ٧٩ . وفيات الاعيان : جـ ٧/٢٤٥ . انباه الرواة : جـ ٤/٧١ .

١٤ ــ طبقات النحويين واللغويين : ص ٥١ . انباه الرواة : جـ ٤ / ٦٨ .

شيء إلاّ بعسر ، فاذا دخله لم يخرج منه » اي لا ينسى . وبقي يونس يفيد من علمه الى أن (١٥) « تفرغ من الكِبَرِ »،إذ وصل عمراً لا احد يرجو ان يصل اليه ، فقد « (١٦) دخل المسجد يوما وهو يهادي بين اثنين من الكبر، فقال له رجل كان يتّهمه على مودته : بلغت ما ارى يا ابا عبد الرحمن ، قال : هو الذي ترى ، فلا بُلِّغْتَه » .

وكان يونس ذا نظرة تأملية ، وصاحب راي في بعض الجوانب الحياتية ، فكان يقول : « (١٧) ثلاثة والله اشتهي أن أُمكَّن من مناظرتهم يوم القيامة : آدم عليه السلام فأقول له : قد مكّنك الله من الجنة وحرّم عليك شجرة ، فقصدت لها حتى القيتنا في هذا المكروه ؟ . ويوسف عليه السلام أقول له : كنت بمصر ، وابوك عليه السلام بكنعان ، بينك وبينه عشر مراحل ، يبكي عليك ، لِمَ لم ترسل اليه : إني في عافية ، وتريحه مما كان فيه من الحزن ؟

وطلحة والزبير اقول لهما : عليّ بن ابي طالب عليه السلام بايعتماه بالمدينة . وخلعتماه بالعراق . لِمَ ؟ اي شيء احدث ؟ »

وللشباب والاحباء عنده مكانة غالية حين يقول (١٨) :

شيئان لو بكت الدماءَ عليهما ... عيناي حتى يؤذنا بذهابِ
لم يبلغا المعشار من حقّيهما ... شَرْخَ الشباب وفُرقَةَ الاحبابِ

وللعلم عنده مكانة لا تدانيها مكانة ، فكان يقول : « (١٩) إن علمك

١٥ ــ الفهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : جـ ٤/٧١ .
١٦ ــ مراتب النحويين : ص ٢١ . انباه الرواة : جـ ٤ / ٦٨ .
١٧ ــ أخبار النحويين البصريين : ص ٢٩ .
١٨ ــ شذرات الذهب : جـ ١/٣٠١ .
١٩ ــ الحيوان : جـ ١/٦١ .

من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالـــــك بمكان البدن » .

تثقّف يونس ثقافة واسعة تمثّل ثقافة عصره ؛ وكان متجليا في اكثر من علم واحد : فهو عالم بالانساب ، يُضرَب به المثل في الدراية بهذا العلم والتمكّن منه • قال الجاحظ في حديثه عن الحمام : « (٢٠) ووصف الهذيل المازني مثنّى بن زهير وحفظه لانساب الحمام ، فقال : « والله لهو انسب من سعيد بن المسيب وقتادة بن دِعامة للناس ، بل هو انسبُ من ابي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل اعرف بالأمهات المنجبات من سُحَيم بن حفص ، واعرف بما دخَلَها من الهُجنة والإقراف من يونس بـــن حبيب » .

وهو قصّاص من أولئك الذين كان الناس يتحلّقون حولهم في المساجد ويستمعون الى ما يروونه من احاديث واخبار • ويبدو أن الموضوع الـــذي كان يدور حوله القصّاص ــ كما يبدو من خلال ذكر (٢١) الجاحظ لهم ــ هو تفسير آيات القرآن الكريم ، فبرع يونس بين المفسرين ، (٢٢) وتُرجم له في طبقاتهم ،ولا سيما وقد الف كتابا أسماه « (٢٣) معاني القرآن » • ولعل يونس في تأليفه هذا الكتـــــاب هو الذي أوحى الى تلامذته : ابي

---

٢٠ ــ الحيوان : جـ ٣/٢١٠ .

٢١ ــ انظر البيان والتبيين : جـ ١ / ١٩٢ ــ ١٩٤ .

٢٢ ــ انظر : طبقات المفسرين : جـ ٢ / ٣٨٥ ــ ٣٨٦ .

٢٣ ــ انظر : الفهرست : ص ٧٩ . وقد خلط صاحب معجم الادباء (جـ ٢٠/٦٧) بين معاني القرآن و « النوادر » فذكره باسم « معاني القرآن الكبير » « معاني القرآن الصغير » مع ان كتاب المعاني كتاب واحد ، اما النوادر فألف فيها كتابين : الكبير والصغير كما سيرد فيما بعد .

عبيدة (٢٤) والكسائي (٢٥) والأخفش (٢٦) والفراء (٢٧) ان يسلكوا مسلكه ويؤلفوا كتبا في الموضوع نفسه تحمل اسم الكتاب الذي الفه . وله آراء (٢٨) تفسيرية تناقلتها الكتب بعده .

وهو ناقد أدبي مؤهل بكل متطلبات النقد ، كان «٢٩» عالما بالشعر، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفا بطبقات شعراء العرب ، حافظا لأنسابهم » ، مرجعا لمن كان الأدب يشكل جزءا من تفكيرهم وهمومهم ؛ قدم (٣٠) عليه جعفر بن العباس من عند الخليفة المهدي وقال له : أنا وأمير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت :

والشيبُ ينهض في السواد كأنــــه   ليل يصيـــح بجانبيــــه نهـــار

فما الليل والنهار ؟ فقال يونس : الليل ، الليل الذي تعـــــرف والنهار . النهار الذي تعرف ، فقال جعفر : زعم المهدي أن الليل فـــرخ الكروان ، والنهار فرخ الحبارى . فقال أبو عبيدة في البيت ما قالهيونس. والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة .

وكان الشعراء يذهبون اليه يستأنسون برايه ، قبل أن يذيعــــوا اشعارهم للناس ؛ حتى أن بعضهم كان يتخذ من رايه القول الفصـــل ، فإما أن يظهر شعره وإما أن يلقيه ولا يلتفت اليه • قدم (٣١) عليه مروان بن

---

٢٤ ــ انظر انباه الرواة جـ ٣ / ٢٥٦ .

٢٥ ــ انظر نزهة الالباء ص ٦٠ .

٢٦ ــ انظر انباه الرواة جـ ٢/٤٢ .

٢٧ ــ انظر : نزهة الالباء ص ٨١ .

٢٨ ــ انظر : الحيوان جـ ٥ / ٢٤٠ جـ ٥ / ٢٩٥ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٥٤ (مطبعة المدني ــ القاهرة ــ١٩٧٤) .

٢٩ ــ معجم الادباء ٢٠/٦٤ .

ــ وفيات الاعيان ٧/٢٤٧ .

٣١ ــ الموشح ص ٥٠ معجم الادباء جـ ٢٠/٦٦ .

ابي حفصة ، وقال له : لقد قلتُ شعرا اعرضه عليك،فان كان جيداً اظهرته، وإن كان رديئا سترته ، وانشده :

طرقتــك زائرة فحيّ خيالها

قال : فقال له : يا هذا ، اذهب فاظهر هذا الشعر ، فانت واللــــه فيه اشعر من الأعشى ، يريد في قوله (٣٢) :

رحلت سمية غدوة اجمالها

فقال له مروان : قد سؤتني وسررتني ، فأما الذي سررتني بـــه فلإرتضائك الشعر ، واما الذي سؤتني به فلتقديمك إياي على الأعشى ، قال : نعم ، إن الأعشى قال :

فرميت غفلة عينــه عن شاتــه   فأصبــت حبــة قلبها وطحالها .

والطحال لا يدخل في شيء الا افسده ، وانت لم تقل ذاك .

وكان يستطيع أن يميز رواية الشعر صدقها من كذبها ؛ فقد روي (٣٣) لأبي عمرو بن العلاء ــ بحضور يونس وابي عبيدة ــ ان الوليد بن عبدالملك لامَ العجاج لقوله شعراً في عمر بن عبيد الله بن معمر افضل من ذلك الذي قاله فيه ، فقال يونس لأبي عبيدة بعد سماع الرواية : اتصدق بهذا ؟ ما كان من هذا شيء قط ، ولا كان الوليد يحسنه ؛ قال عمر بن شبــة : ولا أحسب يونس الا قد صدق ؛ كان الوليد لحانا ، وكان عبد الملك يعتذر من ذلك ، ويقول : « شغلنا حب الوليد عن تأديبه ، لكن هذا سليمان فاسألوه عما شئتم » .

وكان الشعراء يحفلون بقوله ويبنون عليه شعراً ، فقد (٣٤) بنى

---

٣٢ ــ ديوان الاعشى ص ٢٧ قصيدة رقم ٣ .
٣٣ ــ الموشح ص ١٩٦ .
٣٤ــوفيات الاعيان جـ ٧/٢٤٦ .

منصور النمري على قول يونس : « ما بكت العرب على شيء في أشعارها كبكائها على الشباب ، وما بلغت كنهه » ؛ فقال من جملة قصيدة يمـــدح بها هارون الرشيد :

ما كنت أوفي شبابي كنه غرّته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبـــع

وليونس قول ذائع يدل على دقة حكمه ومعرفته بطبيعة الشعر ،وما يتحكم في جودته ؛ فقد سأله ابن سلام عن اشعر الناس،فقال : « (٣٤) لا اومىء الى رجل بعينه ولكني اقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب » . وكان يقول عن الشعر: « (٣٥) انه كالسرّاء والشجاعة والجمال ، لا ينتهي فيه الى غاية » .

وكان للشعراء عنده مكانة عالية ، وعلاقة وثيقة ؛ ولعل أمتن هـــذه العلاقات تلك التي كانت بينه وبين العجاج ورؤبة ، حتى انهما كانا عنده « (٣٦) اشعر أهل القصيد » . وقد (٣٧) « اختُصّ بالرواية عن رؤبـــة وتعصّب له » ؛ وكان يهب للدفاع عنه اذا ما حاول احد أن ينال منـــه ؛ فهذا (٣٨) شُبَيل بن عزرة يدخل على ابي عمرو بن العلاء ـــويونس حاضر ـــ فيبدي استغرابه من أن رؤبة لا يعرف اشتقاق اسمه ، فيثب يونس ، ثم يجلس بين يدي شبيل ويقول له : علّك تظن أن معدّ بن عدنان كان أفصح من رؤبة ؟ فأنا غلام رؤبة . فما الرّوبة والرُّوبة والرّوبة والرّوبة والرؤبة ؟

---

٣٤ ـــ معجم الادباء جـ ٢٠/٦٥ ، خزانة الأدب جـ ١/١٧٥ .

٣٥ ـــ طبقات فحول الشعراء ص ٦٦ (مطبعة المدني ـــ القاهرة ١٩٧٤) .

٣٦ ـــ خزانة الأدب جـ ١/٩٠ .

٣٧ ـــ الرواية والاستشهاد باللغة ص ١١ .

٣٨ ـــ مراتب النحويين ص ٢٢ . خزانة الادب جـ ١/٩٠ .

كان شبيل‌بن عزرة راوية نسابا عالما بالغريب ، وكان شاعرا ، تشيّع سبعين سنة ثم صار بعد ذلك خارجيا،ويكنى ابا عمرو ، مات بالبصرة . انظر مراتب النحويين ص ٢٣ .

(الخامسة مهموزة فقط).فاذا بشبيل يغضب ويقوم ، واذا بأبي عمرو ينكر على يونس تصرّفه مع رجل شريف قصد مجلسه ؛ فيعتذر يونس قائلا : ما تمالكت اذ ذكر رؤبة أن قلت ما قلت .

غير أن شهرة يونس تأتي من علمه باللغة والنحو،إذ (٣٩) « كان اغلب عليه»يعرف به فيقال (٤٠) "يونس النحوي" تمييزاً له عن غيره ممن عرفوا بهذا الاسم • وقد سمع (٤١) اللغة عن العرب،شأنه شأن أوائل النحاة الذين كانوا يستقون المادة النحوية من افواه الأعراب في البادية ؛ وألّف (٤٢) في اللغة كتاب « اللغات » و « النوادر الكبير » و « النوادر الصغير » و « الامثال » .

امـا النحـو فأخـذه عن مجموعـة،اولهم (٤٣) حماد ابن سلمة ، مع انه كان اسن (٤٤) منه ، وكان يونس يفضله (٤٥) ؛ولكن أكثرهم تأثيرا فيه أبا عمرو بن العلاء الذي يبدو أنه كان ملازما اياه ، يكتب له حتى عُدَّ من كُتّابه (٤٦) . واثر ابي عمرو في علم يونس ظاهر في ميدان الشعر ، والرواية ، والنقد ، واللغة والنحو ؛ وكان يونس يجلّ استاذه ويحترم رأيه قائلا : « (٤٧) لو كان احد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد ، كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس احد الا وانت آخذ من قوله وتارك » .

---

٣٩ ــ مراتب النحويين ص ٢١ .
٤٠ ــ انظر : وفيات الاعيان جـ ٧/٢٤٤ ، خزانة الادب جـ ١/٩٠ . شذرات الذهب جـ ١/٣٠١ .
٤١ ــ اخبار النحويين ص ٢٧ .
٤٢ ــ انظر : الفهرست ص ٧٩ .
٤٣ ــ طبقات النحويين واللغويين ص ٥١ .
٤٤ ــ نزهة الالباء : ص ٤٢ .
٤٥ ــ المصدر نفسه ص ٤٣ .
٤٦ ــ اخبار النحويين البصريين ص ٢٧ .
٤٧ ــ طبقات فحول الشعراء ص ١٦ (المدني ــ القاهرة ١٩٧٤ م) وانظر : نزهة الالباء ص٣١ . ٣١

وقد شاهد يونس مرحلة متطورة في ميدان النحو ، توضحت فيها اسس النحو ، وثبتت فيما بعد في كتاب سيبويه • وتعد هذه المرحلة قفزة واسعة اذا ما قيست بتلك التي شهدها ابن ابي اسحق • سُئل (٤٨)يونس عن ابن أبي اسحق وعلمه فقال : هو والبحر سواء ؛ اي هو الغاية .قال: فأين علمه من علم الناس اليوم ، لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم الا علمه يومئذ لضحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ، ونظر نظره لكان اعلم الناس .

وقد اسهم يونس في تطور النحو مساهمة فعالة ، وكان له شخصيته الواضحة واثره البيّن حتى قيل : « (٤٩) له قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها » . وقد خصص معظم حياته للتدريس ، فكان له بالبصرة حلقة (٥٠) ينتابها طلاب العلم واهل الأدب ، وفصحاء الأعراب ، ووفود البادية ؛ ودرس عليه علماء مشاهير سنوات طويلة ؛ فاختلف (٥١) اليه ابو عبيدة اربعين سنة ، وابو زيد عشر سنين ، وخلف الأحمر عشرين سنة ، واخذ عنه قطرب ، (٥٢) ومحمد (٥٣) بن سلام الجمحي ، والكسائي ، والفراء .

ويكفيه ان سيبويه أخذ عنه فأكثر (٥٤) ، ونقل عنه نقولا صدق فيها

---

٤٨ ــ طبقات النحويين واللغويين ص ٣١ .

٤٩ ــ اخبار النحويين البصريين ص ٢٧ وانظر انباه الرواة : ٤/٧٠ .

٥٠ ــ انظر : الفهرست ص ٧٩ ، وانباه الرواة : ج ٤/٧٠ .

٥١ ــ وفيات الاعيان : ج ٧/٢٤٥ . معجم الادباء : ج ٢٠/٦٥ . انباه الرواة : ج ٤/٧١ . شذرات الذهب : ج ١/٣٠١ .

٥٢ ــ انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٣ ــ انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٤ ــ اخبار النحويين البصريين : ص ٢٧ . انباه الرواة : ج ٤ / ٧٠ ، طبقات المفسرين ج ٢/٢٨٦ .

جميعا ، وشهد يونس على صدقها شهادة رفعت من ذكر سيبويه وكتابه ؛ فقد (٥٥) قال حين ذكر سيبويه عنده : أظن هذا الغلام يكذب على الخليل . فقيل له : قد روى عنك اشياء كثيرة ، فانظر فيها ، فنظر فيها ، فقال : صدق في جميع ما قال ، هو قولي .

وقد ذكر سيبويه يونسّ وروى عنه في نحو ٢٠٠ موضع (٥٦) من مواضع الكتاب،بحيث كان يتكرر (٥٧) اسمه في الصفحة الواحدة احياناً اكثر من مرة واحدة .

وقد روى يونس في الكتاب لغة كثيرة عن العرب ، وكان مفتاح رواياته عنهم يختلف من رواية الى اخرى ، فكان يفتتح روايته بـ (٥٨) « أنّ قوما من العرب . . . » ، (٥٩) « انّ ناسا يقولون . . . » ، (٦٠) « انّ ناسا من العرب . . . » ، (٦١) « انّ بعض العرب الموثوق بهم . . . » ، (٦٢) « ان بعض العرب . . . » ، (٦٣) انّ قوما . . . » ، (٦٤) « أن العرب تقول . . . » ، (٦٥) « أنه سمع اعرابيا . . . » ، (٦٦) « أنه سمع

٥٥ ــ اخبار النحويين البصريين : ص ٣٧ .
٥٦ ــ انظر : سيبويه امام النحاة : ص ٩٠ .
٥٧ ــ انظر : كتاب سيبويه جـ ١/٤٢٨ ذكر اربع مرات ، وجـ ٢/٤١٠، ٤١١ ، وانظر : جـ ٣ / ١٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٤٢ ، ٦٢٢ .
٥٨ ــ انظر : الكتاب جـ ١/٣٨٩ .
٥٩ ــ الكتاب جـ ١/٤١٦ ، جـ ٢/٤١٠ .
٦٠ ــ انظر : الكتاب : جـ ٢/٢٧ ، ١١٢ ، جـ ٢/٣٤٤ .
٦١ ــ انظر : الكتاب : جـ ٢/٣٣٧ .
٦٢ ــ انظر : الكتاب : جـ ٢/٢١٣ .
٦٣ ــ الكتاب جـ ٢/١١٩ .
٦٤ ــ الكتاب جـ ٢/١٤٣ ، جـ ٣/٤٢٥ .
٦٥ ــ الكتاب جـ ٢/٤١١ .
٦٦ ــ الكتاب جـ ٢ / ١٣٥ .

العرب ... » ،(٦٧) « أن من العرب من يقول ... » .

وقد روى عن رؤبة (٦٨) من الشعراء ، والفرزدق (٦٩) ، وجرير (٧٠) ، والأسود (٧١) بن يعفر . وروى عن أبي (٧٢) عمرو بن العلاء،وكان طريق سيبويه اليه ، وروى عن ابن (٧٣) أبي اسحق .

وتأتي شخصيته النحوية من خلال الكتاب في الدرجة الثانية (٧٤)بعد شخصية الخليل ، وكثيرا ما كان يقترن اسماهما في رواية أو راي . ومما يلفت النظر في رواية سيبويه عنهما . حين ذكرهما معا ، انه كان يترحم عليهما اذا سبق ذكر يونس ذكر الخليل . اما اذا سبق ذكر الخليل يونس ترحّم على الخليل وحده ، ثم اتبع الترحّم عليه ذكر يونس،فهو يقول في الموضع الأول مثلا :(٧٥) « وزعم يونس والخليل،رحمهما الله،أن الدرهم ليست نكرة » ، (٧٦)«ولم يجز يونس والخليل — رحمهما الله — كما غلمانا لك » ، (٧٧) « هذا قول يونس والخليل رحمهما الله » . وفي الثاني يقول مثلا :(٧٨) « واذا لم تلحق الألف قلت،وازيدُ،إذا لم تضف ، ووازيدِ،

---

٦٧ — الكتاب ج ١ / ٢٦٢ ، ج ٢/ ٦٥ .

٦٨ — انظر الكتاب : ج ١/ ٥١ ، ج ٢/ ١٥٢ ، ج ٢/ ٣٠٤ ، ٥٦٥ .

٦٩ — انظر الكتاب ج ٢/ ٧٢ .

٧٠ — انظر الكتاب : ج ١/ ٢٧٨ .

٧١ — انظر الكتاب : ج ٢/ ١٣٥ .

٧٢ — انظر الكتاب : ج ١/ ٣٨٧ ، ج ٢/ ١١٣ ، ١٨٥ ، ٣٩٩ ، ٢١٩ ، ج ٢/ ١٠١ ، ٢٤٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٥٧ ، ٥٦٦ .

٧٣ — انظر الكتاب : ج ٢/ ٢٤٢ .

٧٤ — كتاب سيبويه وشروحه ص ٣١ .

٧٥ — الكتاب : ج ١/ ٤٢٨ .

٧٦ — الكتاب : ج ٢/ ١٥٩ .

٧٧ — الكتاب : ج ٢/ ٢٣٨ .

٧٨ — الكتاب : ج ٢/ ٢٢١ .

اذا اضفت ، وان شئت قلت وازيدي،والالحاق وغير الالحاق عربي فيما زعم الخليل رحمه الله ويونس » . وفي باب الندبة (٧٩) « وذلك قولك: وارجلاه، ويا رجلاه!وزعم الخليل،رحمه الله،ويونس انه قبيح وانه لا يقال » . ويقول: (٨٠) « زعم الخليل — رحمه الله — ويونس جميعا انه يجوز: ما اتاني غيرُ زيد وعمر » .وفي اعراب الضمير بعد لولا : (٨١) « وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس » . ولعلّ ما سلكه سيبويه ازاء الخليل ويونس يذكرني بالاعرابي الذي صلّى خلف النبي صلى الله عليه وسلم،ثم دعا الله قائلا : (٨٢)« اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا » فدهش النبي وقال له : « لقد ضيَّقتَ واسعا » .

ومفاتيح رواية سيبويه عن يونس كثيرة منها : (٨٣) « حدَّثنا يونس . . . » ، (٨٤) « اخبرنا يونس . . . » ، (٨٦) « انشدنا يونس . . . » وفي اغلب الروايات : (٨٧) « زعم يونس . . . » ، (٨٨) « .واما يونس فيقول . . . » ، (٨٩) « وهذا قول يونس . . . » ونقل سيبويه عنه ابوابا كاملة في النحو والصرف ، إما عنه (٩٠) وحده ، وإما عنه وعن الخليل(٩١)

---

٧٩ — الكتاب : ج ٢/٢٢٧ .
٨٠ — الكتاب : ج ٢/٣٤٤ .
٨١ — الكتاب ج ٢/٣٧٣ .
٨٢ — بطل الابطال ص ٦١ .
٨٣ — انظر : الكتاب : ج ١/١٥٥ ، ٤٠٩ — ج ٢/٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٤١٠ — ج ٢/٢٣٧ .
٨٤ — انظر : الكتاب : ج ٢/٢٧٦ — ج ٢/٢٦٧ .
٨٥ — انظر : الكتاب : ج ٢/٤٥٥ .
٨٦ — انظر : الكتاب : ج ١/١٢٠ ، ٢٧٨ .
٨٧ — انظر : الكتاب: ١/٢٨٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ج ٢/٧٧ ، ٤١١ ، ١٩٩ ، ج ٢/١٣٥ ، ٢٤٩ ، ٤٢٥ .
٨٨ — انظر : الكتاب : ج ٢/٧٦ .
٨٩ — انظر : الكتاب : ج ١/٤٣٣ .
٩٠ — انظر : الكتاب : ج ٢/٤١٧ — ٤١٨ . ج ٢/٤٢٣ — ٤٢٤ .
٩١ — انظر : الكتاب : ج ٢/٢١٣ — ٢١٤ ، ٢٢٨ .

جميعا .

ويعتز سيبويه في كتابه براي يونس ويعتدّ به ، ويثق ، فهو يعود اليه ويسأله كلما اشكل عليه • يقول في باب ما ينتصب على التعظيم او المدح : « (٩٢) وسمعنا بعض العرب يقول : (الحمد لله ربَّ العالمين) فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية » ، ويقول في باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب اذا استفهمت عنه بمن : « (٩٣) وسألت يونس عن: رأيت زيدَ بنَ عمرو ، فقال : اقول : من زيدَ بنَ عمرو ، لانه بمنزلة اسم واحد ؛ وهكذا ينبغي اذا كنت تقول : يا زيدَ بنَ عمرو ، وهذا زيدُ بنْ عمرو ، فتسقط التنوين » . ومواطن (٩٤) أسئلته له كثيرة .

وكان يتخذ من رواية يونس تصديقا لرواية نحوي آخر ؛ فهو يقول : « (٩٥) وزعم ابو الخطاب أن العرب الموثوق بهم يقولون : انا هذا، وهذا انا . . . وحدثنا يونس أيضا تصديقا لقول أبي الخطاب . ان العرب تقول : هذا انت تقول كذا وكذا ، لم يرد بقوله : هذا انت ، ان يُعرّفه نفسه، كأنه يريد ان يعلمه أنه ليس غيره ، هذا محال،ولكنه أراد أن ينبهه ، كأنه قال:الحاضر عندنا انت ، والحاضر القائل كذا وكذا انت .

واحيانا قد لا يطمئن الى قول نحوي فيلجأ اليه ، فعنده الخبر اليقين. يقول : « (٩٦) وزعم عيسى بن عمر أن ناسا من العرب يقولون : إذن أفعلُ ذاك ، في الجواب ؛ فأخبرت يونس بذلك ، فقال : لا تُبعدن ذا ، ولم يكن ليروى إلاّ ما سمع ، جعلوها بمنزلة هل وبل » .

---

٩٢ ــ الكتاب : ج ٢/٦٣ .

٩٣ ــ الكتاب : ٢/٤١٤ .

٩٤ ــ انظر : الكتاب : ج ٢/٢٣٦ . ج ٣/٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٤٤٢ .

٩٥ ــ الكتاب ٢/٣٥٤ ــ ٣٥٥ .

٩٦ ــ الكتاب ج ٢/١٦ .

ولم تتوقف الثقة بيونس الى هذا الحد ، وانما بلغت اتساعا بحيث اتخذ سيبويه من قوله دعامة يؤيد بها مذهبه ؛ فقد راى سيبويه رايا ثم بدا وكأنه يشعر بعدم الطمأنينة الى ما رآه، فدعمه بقول ليونس لتهدا به نفسه، قال : « (٩٧) واما يا تميمُ اجمعون فانت فيه بالخيار ، إن شئت قلت : اجمعون . وان شئت قلت : اجمعين، ولا ينتصب على أعني ، من قِبَل أنه محال ان تقول اعني اجمعين ؛ ويدلك على ان اجمعين ينتصب لانه وصف لمنصوب قول يونس : المعنى في الرفع والنصب واحد » .

غير أن الطريقة التي كان سيبويه يذكر بها يونس وروايته تُوهم وتُضلّل ؛ إذ يصعب على الباحث بسببها أن يميز بين ما هو رواية محضة ليونس، وما هو رواية وراي في آن واحد . ولعل هذه الطريقة هي التي أوقعت النحاة المتأخرين ، وجعلتهم ينظرون الى رواية يونس على انها رواية محضة، دون أن يلتفتوا او ينتبهوا الى انها في احيان كثيرة روايةوراي معاً . وقد وقع السيرافي، اشهر شراح الكتاب، في حيرة حين اعترضه قول سيبويه عن يونس في باب الندبة : « (٩٨) واما يونس فيلحق الصفة الألف فيقول : وازيد الظريفاه ، واجمجتيّ الشاميّتيناه » «فقال(٩٩): ندبة الصفة قول يونس والكوفيين ، والذي حكاه سيبويه عن يونس لست ادري إلحاق علامة الندبة له من قياس يونس ، او مما حكاه عن العرب فنحتج له به » .

وهذا «(١٠٠) باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى الى المفعول ولا غيره »، يتحدث فيه سيبويه عن المواطن التي لا يعمل فيها المتعدي فيما بعده ، ويطنب في التفصيل والتوضيح، مبينا ان الاسم بعد هذا

---

٩٧ ــ الكتاب ٢/١٨٤ .
٩٨ ــ الكتاب : ٢/٢٢٦ .
٩٩ ــ حاشية الكتاب : ٢/٢٢٦ .
١٠٠ ــ الكتاب ١/٢٣٥ .

الفعل قد ياتي مرفوعا وقد ياتي منصوبا ؛ كل ذلك في اسلوب يُوهم المرء ان كل ما يقوله من رفع ومن نصب هو له ، ولكنه يفاجئنا في نهاية الصفحة الرابعة بقوله « والرفع قول يونس »، فلا يدرى أهو الرفع الذي تحدث عنه في الفقرة التي ذكر يونس فيها ، ام الرفع في كل ما ورد في هذا الباب ! ومن يتمعن تماما في السياق العام للباب يجد ان الرفع كلّه ليونس، اذ يبدو أن كل ما مثّل سيبويه به يقوم على موقف يونس، وان كنت لا أجزم بأن كل ما جاء به سيبويه من امثلة هو ليونس ، ولكن يكفي ان يفهم أن مذهب الرفع الذي قام عليه معظم الباب هو مذهب يونس .

وحسب فهمي للامر وتصوري إياه ، فانني لا استطيع أن افهم أن موقف يونس مما يرويه عن العرب كموقف أبي زيد مما يرويه ، أو موقف الأصمعي مثلا مما يرويه ؛ ذلك ان ابا زيد والأصمعي راويان للغة فحسب، بينما يونس بن حبيب راوية ونحوي، ولكنه نحوي قبل أن يكون راوية .فاذا ما روى فان ما يرويه لا يكون في معظمه إلاّ لبيان موقف نحوي، أو استنباط موقف نحوي، او التدليل على موقف نحوي اتخذه ، وذلك على الرغم من أن سَوْق سيبويه لرواية يونس يوهم انه يروي رواية دون أن يتّخذ من هذه الرواية موقفا نحويا. فيونس قعد معظم حياته للدرس النحوي، ولترسيخ القواعد النحوية في ضوء ما بين يديه من مادة لغوية ؛ فاذا قال سيبويه : «(١٠١) وحدثنا يونس أن بعض العرب يقول : يا امَّ لا تفعلي، جعلوا هذه الهاء بمنزلة هاء طلحة اذا قالوا يا طلحَ أقبل .. » فكيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رايا وموقفا ؟ إنه يقيس في هذا القول ويعلّل . وكيف يكون قول سيبويه عن يونس في باب النداء : «(١٠٢)» ويقوّي ذلك كله أن يونس زعم انه سمع من العرب من يقول : يا فاسقُ الخبيثُ، يدلل على أن

١٠١ ــ الكتاب : ٢/٢١٣ .

١٠٢ ــ الكتاب ٢/١٩٩ .

كل منادي مضموم هو معرفة » . كيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رأيا يُلَمّح من سياق الكلام ؟ . بل كيف يكون رواية ما ينسب الى يونس في قول سيبويه : « (١٠٣) وحدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا ان بعض العرب الموثوق بعربيته يقول : ما مررت بأحد إلاّ زيداً » وقوله : « (١٠٤) وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالي إلاّ أبوك احد » . كيف يكون ذلك رواية ليونس مع أنه يروي هنا عن العرب الموثوق بهم : فكيف يكون هذا القول رواية ولايكون رأيا،ما دام صاحب القول نحوياً أولاً وقبل كل شيء ، وما دام يروي عن عرب موثوق بهم ؛ والنحوي يتصيّد ما يرويه عن الموثوق بهم تصيداً ليبني عليه رأيا وموقفا نحويا .

ومع أن يونس ذو شخصية واضحة بارزة تمثل في معظم صفحات الكتاب وتتلازم مع الخليل في مواضع عدة،إما روايةً ــ وهي في معظمها رأي كما اسلفت ــ وإما رأياصريحا صرّح به سيبويه . إلاّ ان هذه الشخصية تكاد لا تبين بوضوح،او ان هذه الشخصية لا تأخذ المكانة التي تستحقها في معظم كتب النحاة المتأخرين ، بينما تظهر فيها شخصيةالأخفش والمازني والجرمي وابن السراج والزجاج بشكل اوضح وابرز ، مع ان فرقاً كبيراً بين هذا وهؤلاء . لا بد أن يعتريك التساؤل والاستغراب حين تجد أن يونس لا يذكر في شرح ابن عقيل مثلا ، او شرح المفصل ، او حاشية الصبان ، أو شرح الأشموني،أو مغني اللبيب،أو شرح التصريح،أكثر من ثلاثين مرة في أكثرها إنصافا له ، مع أنه ذُكر أكثر من مائتي مرة ــ كما أسلفت ــ في الكتاب . ولقد اوهمت هذه الكتب الدكتور شوقي ضيف ان يونس لم يكن له دور في علم النحو ، فاستخلص نتيجة،بعد ان مرّ عليه مروراً خاطفا،فقال : « (١٠٥) وعلى هذا النحو وقع يونس بعيداً عن تطور

١٠٣ ــ الكتاب ٢١٩/٢ .

١٠٤ ــ الكتاب ٣٢٧/٢ .

١٠٥ ــ المدارس النحوية ص ٢٩ .

نظرية النحو على شاكلة ما انتهت اليه في الكتاب عند سيبويه والنحاة الذين يوضعون بحق في تطورها، وهم، ابن أبي اسحق، وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن احمد، وسيبويه » . فهو يرى أن ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر اهم من يونس واكثر تأثيراً في مجال النحو ؛ ولو عاد الدكتور شوقي ضيف الى كتاب سيبويه، الذي يعدّه الثمرة الناضجة لتطور نظرية النحو، وتتبّع مساهمة يونس فيها، لكان له موقف آخر مختلف ، ولكنه اكتفى بالعودة الى تلك الكتب المتأخرة التي طمست شخصية يونس واثره في النحو في حدّ بعيد.

ولعلّ عدم وضوح شخصية يونس وإنصافها وإعطائها ما تستحقه من حق ضائع يعود الى سببين، الاول : ماسلفته ، وهو الطريقة التي كان سيبويه يتبعها في ذكر يونس وروايته ، إذ كانت تؤدي الى اللبس والتضليل، بحيث يصعب على الباحث ان يميّز بين ما هو رواية محضة ، وما هو رواية وراي ؛ فترك المتاخرون البحث في هذا الأمر ولجأوا الى الحل الاسهل، وهو أن ينظروا الى كل ما رواه يونس على أنه رواية محضة ، وأن ينظروا الى الراي الذي بني على ما رواه يونس على انه راي لسيبويه.

والسبب الثاني : ــ وهو اشد وقعا ــ ان النحاة المتاخرين وزّعوا الكثير من آرائه التي صرح بها سيبويه على أولئك النحاة الذين وافقوه فيها ، فنسبوا بعضها الى سيبويه وبعضها الى البصريين تعميما ، وبعضها الى الكوفيين .

فمما نسب الى سيبويه وهو ليونس والخليل، حكم الاسم المضاف في المنادى حينما يكرر، قال سيبويه : « (١٠٦) هذا باب يكرر فيه الاسم في حال الاضافة ويكون الأول بمنزلة الآخر ، وذلك قولك : يا زيدَ زيدَ عمرو ، ويا زيدَ زيدَ أخينا ، ويا زيدَ زيدَنا . زعم الخليل، رحمه الله، ويونس أن هذا

---

١٠٦ ــ الكتاب ٢/٢٠٥ .

كله سواء،وهي لغة للعرب جيدة » . وهذا الراي واضح انه ليونس والخليل وليس لسيبويه فيه إلاّ التوضيح ؛ وقد نُسِبَ هذا الراي الى سيبويه كل من ابن عقيل (١٠٧)، والأشموني (١٠٨) ، والصبان (١٠٩) .

ومما نسب اليه ايضا راي يونس والخليل في الضمير بعد لولا، قال سيبويه : « (١١٠) هذا باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحولا عن حاله اذا أظهر بعده الاسم،وذلك لولاك ، ولولاي،اذا اضمرتَ الاسم فيه جُرّ ، واذا أظهرتَ رُفع ، ولو جاء علامة الاضمار على القياس لقلت : لولا انت، كما قال سبحانه : (١١١) (لولا أنتم لكنا مؤمنين) ولكنهم جعلوه مضمراً مجروراً ؛ والدليل على ذلك ان الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع ، قال الشاعر يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كماهوى　　　باجرامه من قُلّة النيق مُنهوى

وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس » . والراي في هذا الموضع صريحٌ الصراحةَ كلها انه ليونس والخليل،وقد نسبه الى سيبويه كل من المبرد (١١٢) ، وابن عقيل (١١٣) ، وابن الشجري (١١٤) ، والرضى(١١٥)، ونسبه ابن هشام (١١٦) الى سيبويه والجمهور .

ومما نسب الى البصريين راي يونس والخليل في ندبة النكرة ، قال

---

١٠٧ ــ انظر : شرح ابن عقيل ٢/٢١٢ .
١٠٨ ــ انظر : شرح الاشموني ٢/٤٥٤ .
١٠٩ ــ انظر : حاشية الصبان ٢/١٥٤ .
١١٠ ــ الكتاب ٢/٣٧٣ ــ ٣٧٤ .
١١١ ــ سبا ــ آية ٣١ .
١١٢ ــ انظر : الكامل في الأدب ١/١٠٩٧ .
١١٣ ــ انظر : شرح ابن عقيل : ٢/٦ .
١١٤ ــ انظر : امالي ابن الشجري ١/١٨٠ .
١١٥ ــ انظر : شرح الكافية ٢/٢٠ .
١١٦ ــ انظر : مغني اللبيب ص ٣٦١ .

سيبويه : « (١١٧) هذا باب ما يجوز أن يندب ، وذلك قولك:وارُجُلاه ، ويا رُجُلاه • وزعم الخليل رحمه الله ويونس انه قبيح وانه لا يقال » . وقد نسب ابن الانباري (١١٨) هذا الراي الى البصريين فطمس بذلك ذكر يونس على الرغم من انه واحد من البصريين كالخليل وسيبويه .

ومما نُسب الى الكوفيين راي يونس في جواز عود الخافض وعدمه ، اذا كان المخفوض ضميراً ؛ فقد نسبه الى الكوفيين كلٌّ من ابن عقيل (١١٩) وابن الانباري (١٢٠)؛ أما الاشموني فنسبه الى يونس والكوفيين، قال : « (١٢١)

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جُعلا

في غير الضرورة، وعليه جمهور البصريين .. قال الناظم : (وليس) عود الخافض (عندي لازما) وفاقا ليونس والأخفش والكوفيين ... » .

ومما نسب اليهم ايضا راي يونس في الفصل بين المضاف والمضاف اليه، فقد نسبه اليهم كل من ابن الانباري (١٢٢) والأزهري (١٢٣)، بينما نسبه الرضي اليه، قال : « (١٢٤) وانكر اكثر النحاة الفصل بالمفعول وغيره في السعة ، ولا شك أن الفصل بينهما في الضرورة بالظرف ثابت مع قلّته وقبحه ؛ والفصل بغير الظرف في الشعر اقبح منه بالظرف، وكذا الفصل بالظرف في غير الشعر أقبح منه في الشعر ؛ وهو عند يونس قياس » .

---

١١٧ ــ الكتاب ٢/٢٢٧ .

١١٨ ــ انظر الانصاف ١/٣٦٢ .

١١٩ ــ انظر : شرح ابن عقيل ٢/١٨٧ .

١٢٠ ــ انظر : الانصاف ٢/٤٦٣ .

١٢١ ــ شرح الاشموني ٢/٤٢٩ .

١٢٢ ــ انظر : الانصاف ٢/٤٢٧ .

١٢٣ ــ انظر : شرح التصريح ٢/٥٧ .

١٢٤ ــ شرح الكافية ١/٢٩٣ .

ويكاد يونس لا يُذكَر الا بذكر آرائه التي خالفه سيبويه فيها ؛ من ذلك خلافهما في حكم جواب الشرط المضارع اذا دخلت همزة الاستفهام على الشرط في بدايته • قال الزجاج : « (١٢٥) هذا باب ما جاء في التنزيل من ادخال همزة الاستفهام على الشرط والجزاء ؛ وهذه ايضا مسألة فيها اختلاف بين سيبويه ويونس ، وصورتها أإن تأتني اتك،بجزم الجواب عند سيبويه ، ويونس يقول : أإن تأتني آتيك،بالرفع ؛ ويقول هو في نية التقديم ، ويقدره : آتيك ان تأتني » .

ومن ذلك مخالفة سيبويه يونس في أصل لبيك (١٢٦) ، وفي تصغير هند لو سُمّي بها مذكر (١٢٧) ، وفي : من زيدًا واباه ، في النصب على الحكاية (١٢٨) ، والنسبة الى نحو ملهى (١٢٩) ، وابدال نون المثنى همزة نحو اضرباء الغلام (١٣٠)، والنسبة الى مائه (١٣١) ، وردّ المحذوف في التحقير (١٣٢) .

وكتاب سيبويه،حسب فهمي اياه،يتنازعه نحاة ثلاثة ، وهم،الخليل ويونس وسيبويه،مرتبين — في رأيي — حسب مساهمتهم في هذا الكتاب؛ ولكن سيبويه بدت شخصيته النحوية وكأنها تفوق شخصية يونس ، بل كادت تبدو متفوقة على شخصية الخليل،وقد فاقتها فعلا في كتب النحاة المتأخرين • ولعل مردّ ذلك الى تأليف سيبويه الكتاب بعد أن لمّ شتات

---

١٢٥ — اعراب القرآن ٢/٧٨٢ .

١٢٦ — انظر : خزانة الادب ٢/٩٣ ، شرح التصريح ٢/٣٨ . والكتاب ١/٣٥١ .

١٢٧ — انظر : الخصائص ١/١٥٧ .

١٢٨ — انظر : الكتاب ٢/٤١٣ ، وشرح الاشموني ٢/٦٤٣ .

١٢٩ — انظر : شرح الاشموني ٢/٧٢٧ .

١٣٠ — انظر : حاشية الصبان ٢/٢٢٥.

١٣١ — انظر : الخصائص ٢/١٠٦ .

١٣٢ — انظر : المصدر نفسه ٢/٧١ — ٧٣ .

القواعد النحوية وبوّبها ودلّل عليها . ولو قدّر ليونس ــ واعْتُذِر لاستعمال لو ــ أن يؤلف الكتاب، وأن يتنازعه الخليل ويونس وسيبويه، لتفوّقت شخصيته على شخصية سيبويه تفوقا واضحا في الكتاب وغيره، ولكانت وضعت بجدارة في المكانة التي تستحقها . من غير أن اكون في هذا القول متعصبا ليونس او معطيه مكانة أكثر من التي له ، كبعض الباحثين الذين يقفون في أحيان كثيرة موقف المدافع ، او المتعصّب للشخصية التي يبحثون فيها، وكأن الأمر يمسّهم او يتعلّق بهم . ومنطلقي في موقفي هذا هو العطاء العلمي الثرّ الذي بين يديّ ليونس من خلال الكتاب .

ولم يكن ليونس اثر في سيبويه وكتابه بصفة خاصة ، والمدرسة البصرية بصفة عامة فحسب ، وانما كان له اثر كبير ايضا في نشأة المدرسة الكوفية التي اتخذت من اتجاهه مساراً لها وهاديا .

فقد ساد المدرسة البصرية زمن يونس اتجاهان في النحو :

الاتجاه الأول : اتجاه متشدد في القياس والسماع عن العرب، ويمثله ابن ابي اسحٰق ، وتلميذه عيسى بن عمر ؛ فكان الأول : « (١٣٣) اشد تجريدا للقياس » وكان يطعن على العرب ، ولا يتحرّج من أن يقول للشاعر العربي المشهور بالفصاحة : لحنت ؛ فقد لحن (١٣٤) الفرزدق في قوله: « مولى مواليا » في بيته :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

وقال له : كان يجب أن تقول : مولى موال .

وتبعه الثاني الذي كان لا يتحرّج من الطعن (١٣٥) على العرب

١٣٣ ــ طبقات فحول الشعراء ، ص ٣٠ (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٤ ــ نزهة الالباء ص ٢٧ .

١٣٥ ــ طبقات النحويين واللغويين ص ٣٢ .

ايضا ، فكان يقول (١٣٦) : اساء النابغة في قوله :

فبتُّ كأني ساوَرَتْني ضئيلــــة　　　من الرُّقش في أنيابهـــا السُمُّ ناقعُ

والوجه الصواب عنده : السم ناقعا .

اما الاتجاه الثاني فهو اتجاه متساهل في القياس ، معظّم لما يرد عن العرب ؛ ويمثله ابو عمرو بن العلاء ، وتلميذه يونس بن حبيب . وكان الأول « (١٣٧) أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها » ، وكان(١٣٨) « اشد تسليماً للعرب »وكان يجوّز الاوجه المختلفة التي ترد عنهم • جاءه عيسى ابن عمر (١٣٩) « فقال له : يا ابا عمر : ما شيء بلغني انك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال :بلغني انك تجيز « ليس الطيّب إلاّ المسك » فقال ابو عمرو : نمت يا ابا عمرو وأولج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلاّ وهو ينصب ، وليس في الارض تميمي الا وهو يرفع » .

وكان ابو عمرو ينشد قول ذي الرمة (١٤٠) :

وظاهـــــرٌ لهـــا من يابس الشَّخْتِ

فقيل له : أنشدتنا بائس ، فقال : يابس بائس واحد ، هذا شعـــر ليست عليه مضايقة .

---

١٣٦ ــ طبقات فحول الشعراء ، ص ١٦ ، (دار المعارف ١٩٥٢ م).

١٣٧ ــ طبقات فحول الشعراء ، ص ١٤ (دار المعارف ١٩٥٢ م) .

١٣٨ ــ نزهة الالباء ، ص ٢٧ .

١٣٩ ــ طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٨ . وانظر : الاشباه والنظائر ج ٢/٧٢ .

١٤٠ ــ المحتسب ج ١/٢٩٧ .

أما يونس فسار مساره اذ كان يجلّه ويحترم رايه ويقول : (١٤١)«لو كان احد ينبغي ان يؤخذ بقوله كله في شيء واحد،كان ينبغي لقول ابي عمرو ابن العلاء في العربية ان يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد الا وانت آخذ من قوله وتارك » . فاقتفى اثره في عدم الطعن على العرب ؛ فهذا ابن ابـــي اسحق (١٤١) يسمع قول الفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشام تضربنـا بحاصب كنديـف القطن منثـور

على عمائمنـا يلقـى وارحلنـا على زواحـف تزجى مخها ريـرِ

فيقول له : (١٤٢) « أسأت انما هي « ريرٌ » ؛ وكذلك قياس النحو في هذا الموضع » . وقيل انه قال له : (١٤٣) « أسأت ، موضعها رفع ، وان رفعتَ أقوَيْت » . أما يونس فلم يكتف بتجويز قول الفرزدق،وانما ذهب الى استجادته فقال : (١٤٤) « وهذا جيد » . او استحسنه فقـال : « (١٤٥) والذي قال حسن جائز » .

ويسمع أبو عمرو ويونس قول الفرزدق :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجـرف

فيقفان حائرين أمام الوجه الذي رفع الفرزدق عن أساسه «مجرف» من غير ان يفكرا بتخطئته أو الطعن عليه ، ويحاولان أن يجدا تخريجـا

١٤١ ـ الشعر والشعراء (المقدمة) . والبيتان في ديوان الفرزدق جـ ٢١٢/١ .

١٤٢ ـ طبقات فحول الشعراء ; ص ١٧ (مطبعة المدني ـ القاهرة) . طبقات النحويين واللغويين ص ٣٢ .

١٤٣ ـ خزانة الادب جـ ٢٣٨/١ .

١٤٤ ـ المصدر السابق : ٢٣٨/١ وقد اورد هذا الكتاب (٢٣٩/١) ان علي بن حمزة البصري كان يقول في كتاب التنبيهات على اغلاط الرواة : والخفض في « رير » جيد ، وتقديره على زواحف ريرٍ مخُّها تُزجى .

١٤٥ ـ طبقات فحول الشعراء ١٧/١ (مطبعة المدني ـ القاهرة) .

فلم يعثرا ، فيقول أبو عمرو : (١٤٦) «لا أعرف لها وجها ، وكان يونس لا يعرف لها وجها ، قلت ليونس : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبــه ، فقال : لا ، كان ينشدها على الرفع وأنشد فيها رؤبة على الرفع » .

ولما جاء الكسائي الى البصرة تتلمذ على أبي عمرو بن العلاء ، وتأثر به تأثرا ملحوظا،ويقال انه بقي ملازما له (١٤٧) « نحو سبع عشرة سنة»، وتتلمذ بعد ذلك على يونس بن حبيب تلميذ أبي عمرو ، وكان يونس يثني عليه في مجلسه بالبصرة ويشجعه،فقد سئل (١٤٨) بحضرته عن توجيه رفع الخمر في بيت الفرزدق : (١٤٩)

غداة احلّت لابنِ اصرمَ طعنــةٌ حصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمــرُ

فقيل للكسائي : على ايّ شيء رفعت ؟ فقال : اضمرت فعلاً ، كأنــه «وحلّت لي الخمرٌ ، فقال يونس : ما احسن والله ما وجّهته — وفي روايــة اخرى (١٥٠) انه قال : اشهد ان الذين رآسوك راسوك على حق — غير اني سمعت الفرزدق ينشده :

غداة احلت لابن اصرم ضربــةٌ حصينٍ عبيطاتُ السدائفِ والخمرُ

جعل الفاعل مفعولا ، كما قال الحطيئة (١٥١) :

فلما خشيت الهونَ والعَيْرُ ممسكٌ على رغمه ما امسك الحبلَ حافرُه

والقصيدة على الرفع،جعل الفاعل مفعولا ، فقال الكسائي : هــذا

---

١٤٦ — المصدر نفسه جـ ١/٢١ . وانظر : الموشح ص ٩٢ والبيت : ديوان الفرزدق جـ ٢/٢٦.
١٤٧ — الاقتراح ، ص ٨٥ .
١٤٨ — مجالس العلماء : مجلس ١٠ .
١٤٩ — ديوان الفرزدق جـ ١/٢٥٤ .
١٥٠ — تاريخ بغداد جـ ١١/٤١٠ .
١٥١ — ديوان الحطيئة ص ١٨٣ (تحقيق نعمان طه الطبعة الاولى سنة ١٩٥٨) .

على هذا وجه .

وكان يونس يتجنب تخطئة الكسائي ، ويردّ قوله ردّاً لطيفا جميلا ؛ فها هو يسأل (١٥٢) في مجلسه إن أولق : ما مثاله من الفعل ؟ فيقول : افعل، فيقول يونس له : استحييت لك يا شيخ ! والظاهر عندنا من أمر أولق انه فوْعَل، من قولهم : الق الرجل فهو مألوق . اما ابن أبي عيينة الذي سأله هذا السؤال فيسارع (١٥٣) بعد الاجابة الى القول : خطأ والله .

ليس هذا فحسب، وانما كان يونس يغضب الغضب كله اذا ما احس ان احدا في مجلسه حاول ان يستثيره أو يعمد الى تخطئته، ويقول : (١٥٤) تؤذون جليسنا ، ومؤدب ولد أمير المؤمنين .

وقد توطدت العلاقة بين يونس والكسائي ، وتعمّقت بعد هذا السلوك الذي كان له اجمل الاثر في نفس الكسائي، ولا سيما بعد المسائل النحوية التي جرت بينهما وأقر له يونس فيها ، وكافأه على ذلك بأن صدّره موضعه .

ولم يكن الكسائي الكوفي الوحيد الذي درس على يونس ، وانما درس عليه الفراء أيضا.وكان الكوفيون — كما يبدو من رواية أبي الطيب اللغوي — يفتخرون بانه اخذ عن يونس، فأكثر،قال : (١٥٥) « واهل الكوفة يدّعون انه استكثر منه ، واهل البصرة يدفعون ذلك » وهذه الرواية إن دلّت على شيء فانما تدلّ على مدى المكانة التي كان يونس يمثلها في ذهن الكوفيين وفكرهم .

---

١٥٢ — الخصائص جـ ٢/٢٩١ .

١٥٣ — مجالس العلماء مجلس ١١٩ .

١٥٤ — المصدر نفسه مجلس ١١٤ .

١٥٥ — مراتب النحويين ص ٨٦ .

وقد كان عقل الكسائي متنبها ويقظا لكل ما كان يسمعه عن يونس من اجل ان يأخذ به ويقتفي اثره ؛ فهذا يونس بن حبيب يسأل (١٥٦) والكسائي حاضر : لِمَ صارت « حتى » تنصب الأفعال المستقبلة ؟ فيقول: هكذا خلقت . ويسأل (١٥٧) الكسائي فيما بعد في مجلس يونس عن قولهم : لأضربن أيُّهم يقوم ، لم لا يقال : أيَّهم ، فيقول أيٌّ ، هكذا خلقت .

كل ذلك دفع الكسائي والكوفيين بعده الى ان يتبعوا الاتجاه النحوي الثاني الذي سار فيه أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب، وهو الاتجاه الذي يعظّم لغات العرب ويقبل بتجويزها مهما تباعدت ، من غير طعن او تلحين ؛ أما البصريون فواصلوا السير على الاتجاه الاول، اتجاه ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر، وهو الاتجاه الذي اتسم بالتشدد في القياس وتأويل ما يخالفه ، أو تشذيذه ، أو تخطئته اذا لم يكن بديل للتخطئة .

وقد اتبع الكوفيون يونس في آراء كثيرة خالف فيها البصريين، منها تجويزه (١٥٨) أن تلقى علامة الندبة على الصفة، نحو قولك « وازيد الظريفاه » بينما ذهب الخليل (١٥٩) الى أن هذا خطأ .

وتبعوه في جواز (١٦٠) ادخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وجماعة النسوة، نحو « افعلان » و « افعلنان » بالنون الخفيفة ؛ وأيد ابن جني هذا المذهب قائلا : « وليس ذلك ... بالممتنع في الحس ، وان كان

---

١٥٦ ــ طبقات النحويين واللغويين ص ١٧٧ .

١٥٧ ــ مجالس العلماء مجلس ١١٤ . وانظر : الخصائص جـ ٣/٢٩٢ . واوضح المسالك جـ ١/١٠٩ .

١٥٨ ــ انظر : الانصاف مسألة ٥٢ ، شرح المفصل جـ ١٤/٢ ، حاشية الصبان جـ ٢/١٦٩ والرأي في الاصول جـ ١/٤٣٦ منسوب الى يونس وحده .

١٥٩ ــ الكتاب ١/٢٢٦ .

١٦٠ ــ انظر الانصاف مسألة ٩٤ . شرح الاشموني جـ ٢/٥٠٢ . شرح التصريح جـ ٢/٢٠٧.

غيره اسوغ فيه منه من قِبَل ان الالف اذا أُشْبع مدّها صار ذلك كالحركة فيها » . أما البصريون فذهبوا (١٦١) الى انه لا يجوز ادخالها في هذين الموضعين .

وتبعوه في عدم (١٦٢) ضرورة عود الخافض .

وتبعوه في ان « ايّ » « (١٦٣) في نحو : لأضربن ايُّهم افضل ، معرب، ولكنه يقول إنه مرفوع بالابتداء و « أفضل » خبره ، والفعل معلّق عن العمل . اما هم فيقولون إنه مفعول به منصوب، بينما يرى سيبويه انه مبني على الضم .

وتبعوه في أن الذي (١٦٤) يقع مصدرا ، كما ورد في قوله تعالى: (١٦٥) (وخضتم كالذي خاضوا) أي خاضوا فيه ، وقوله (١٦٦) (ذلك الذي يبشر عباده) اي يبشّر اللهُ به عباده .

وتبعوه في أن « وحده » (١٦٧) منصوبة على الظرف ؛ قال سيبويه (١٦٨) وزعم يونس أن وحده بمنزلة عنده » .

وبناء على كل ما مضى من أقوال وادلة وآراء حول أثر يونس في الكسائي والكوفيين فانني استطيع القول إن تأثير يونس في هؤلاء كان

---

١٦١ ــ انظر : الانصاف مسالة ٩٤ .

١٦٢ ــ انظر : شرح التصريح جـ ٢/١٥١ ، شرح الاشموني جـ ٢/٤٢٩ .

١٦٣ ــ انظر الكتاب جـ ٢/٣٩٨ ــ ٤٠١ . والانصاف مسالة ١٠٢ ، وجمع الهوا مع جـ ١/ ٣١٣ .

١٦٤ ــ مغني اللبيب ص ٧٠٩ ، وانظر نسبة الراي الى يونس في : اعراب القرآن جـ ١/٢١٥.

١٦٥ ــ التوبة آية ٦٩ .

١٦٦ ــ الشورى آية ٢٣ .

١٦٧ ــ حاشية الشيخ ياسين في شرح التصريح جـ ١/٣ .

١٦٨ ــ الكتاب جـ ١/٣٧٧ .

واضحا شديد الوضوح وبارزا ، بل وبناء على كل ما مضى يخيل الي أنني استطيع القول أن ابن حبيب النحوي كان مؤسسا بارزا من مؤسسي المدرسة الكوفية،أو على الأقل كان مساهما مساهمة فعالة في نشأة هذه المدرسة ؛ فهو الذي فتح لها مجال السير في الاتجاه المذكور الذي كان يتجهه مع استاذه ، من غير أن يتعارض هذا القول مع بصريته ؛ وبالتالي فلا استطيع ان اعده ممن وضعوا النواة الأولى للمدرسة البغدادية،كما ادعى (١٦٩) الدكتور أحمد مكي الانصاري • ولعل قرب يونس من الكوفيين هو الذي دفع الأنصاري الى ذلك . فالتقاء يونس بالكوفيين وأثره فيهم كان قبل أن تنشأ المدرسة البغدادية وتقف على قدميها ؛ ونواة المدرسة البغدادية لا يمكن ان تكون الا بعد وجود المدرستين البصرية والكوفية،وهي المعروفة بانها انبثقت (١٧٠) من تمازج المدرستين ، وأنها مدرسة تقوم على الانتخاب والتوفيق ، والنفاذ الى بعض ما يمكن النفاذ اليه من آراء جديدة .

د• محمود حسني محمود

---

١٦٩ — ابو زكريا الفراء ص ٣٦٦ .

١٧٠ — المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ص ١١٦ .

المصـــادر

ابن الانباري

١ ـ الانصاف ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ط الرابعـة ١٩٦١ .

٢ ـ نزهة الالباء ـ تحقيق د. ابر هيم السامرائي . الطبعة الثانية . بغداد ١٩٧٠ .

ابن جني

٣ ـ الخصائص ـ تحقيق محمد علي النجار . دار الهدى . الطبعة الثانية . بيروت.

٤ ـ المحتسب ـ تحقيق علي النجدي ناصف . القاهرة ١٣٨٦ هـ .

ابن خلكان

٥ ـ وفيات الاعيان ـ تحقيق د. احسان عباس . دار صادر ـ بيروت .

ابن السراج

٦ ـ الاصول في النحو ـ تحقيق د. عبد السلام الفتلي . مطبعة الاعظمي ، بغداد ١٩٧٣ م .

ابن الشجري

٧ ـ امالي ابن الشجري . حيدر آباد . الطبعة الاولى ١٣٤٩ هـ .

ابن عقيل

٨ ـ شرح ابن عقيل . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، ط الثانية عشرة ١٩٦١ م .

ابن العماد

٩ ــ شذرات الذهب ــ بيروت .

ابن قتيبــة

١٠ ــ الشعر والشعراء .

ابن النديــم

١١ ــ الفهرست . مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

ابن هشام

١٢ ــ اوضح المسالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار احياء التـراث العربي . بيروت . الطبعة الخامسة ١٩٦٦ م .

١٣ ــ مغني اللبيب . تحقيق د. مازن مبارك . مراجعة الاستاذ سعيد الافغاني بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

ابن يعيش

١٤ ــ شرح المفصل . المطبعة المنيرية بمصر .

ابو الطيب اللغوي

١٥ ــ مراتب النحويين ــ تحقيق أبو الفضل ابر هيم . القاهرة ١٩٧٤ .

ابــو الفــداء

١٦ ــ البداية والنهاية ــ مطبعة السعادة بمصر .

الازهــري

١٧ ــ شرح التصريح على التوضيح . دار احياء الكتب العربية .

الاشموني

١٨ ـ شرح الاشموني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعـــادة بمصر . الطبعة الاولى ١٩٥٥ .

الاعشـــى

١٩ ـ ديوان الاعشى ـ تحقيق د. محمد حسين . المطبعة النموذجية .

الانصاري : د. احمد مكي الانصاري

٢٠ ـ أبو زكريا الفراء . القاهرة ١٩٦٤ .

بروكلمان

٢١ ـ تاريخ الادب العربي . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .

البغـــدادي

٢٢ ـ خزانة الادب . تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .

٢٣ ـ تاريخ بغداد . مطبعة السعادة ١٩٣١ .

الجاحـــظ

٢٤ ـ الحيوان ـ تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .

٢٥ ـ البيان والتبيين ـ تحقيق فوزي عطوي . بيروت .

الجمحـــي

٢٦ ـ طبقات فحول الشعراء ـ تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة ١٩٧٤ ، دار المعارف ١٩٥٢ م .

الحديثي . خديجة الحديثي

٢٧ ــ كتاب سيبويه وشروحه . بغداد . الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

حسني . د. محمود حسني

٢٨ ــ المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي . رسالة دكتوراة مخطوطة في مكتبة الجامعة الاردنية قسم المخطوطات وفي مكتبة جامعة القاهرة ــ كليــة الاداب ضمن الرسائل الجامعية .

الحطيئــة

٢٩ ــ ديوان الحطيئة ــ تحقيق د. نعمان طه . الطبعة الاولى ١٩٥٨ .

الحموي ــ ياقوت الحموي

٣٠ ــ معجم الادباء ــ مطبعة دار المامون . الطبعة الاخيرة .

٣١ ــ معجم البلدان . بيروت ١٩٥٦ .

الداودي . الحافظ شمس الدين

٣٢ ــ طبقات المفسرين ــ تحقيق علي محمد عمر . مطبعة الاستقلال الكبرى . الطبعة الاولى ١٩٧٢ م .

الرضــى

٣٣ ــ شرح الكافية . الشركة الصحافية العثمانية ١٣١٠ هـ .

الزبيــدي

٣٤ ــ طبقات النحويين واللغويين . تحقيق ابو الفضل ابر هيم . دار المعارف بمصر .

الزجــاج

٣٥ ــ اعراب القرآن ــ تحقيق ابر هيم الابياري . القاهرة ١٩٦٣ م .

الزجاجـي

٣٦ ـ مجالس العلماء ـ تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٦٢ م .

الزمخشري

٣٧ ـ المفصل . دار الجيل . الطبعة الثانية .

سيبويــه

٣٨ ـ الكتاب ـ تحقيق عبد السلام هارون

جـ ١ دار القلم ١٩٦٦

جـ ٢ دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٨ م .

جـ ٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م

جـ ـ ٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

السيرافي

٣٩ ـ اخبار النحويين البصريين ـ تحقيق طه الزيني . الطبعة الاولى ١٩٥٥ م .

السيوطي

٤٠ ـ الاشباه والنظائر ـ تحقيق طه سعد . طبعة جديدة ١٩٧٥ م .

٤١ ـ الاقتراح في اصول النحو . حيدر آباد . الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ .

٤٢ ـ بغية الوعاة . تحقيق أبو الفضل ابر هيم . ط الاولى ١٩٦٥ .

٤٣ ـ همع الهوامع ـ تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٧٥ م .

الصبـان

٤٤ ـ حاشية الصبان . دار احياء الكتب العربية .

ضيف . د. شوقي ضيف

٤٥ ـ المدارس النحوية . دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

عزام . عبد الرحمن عزام

٤٦ ـ بطل الابطال . مطبعة الحلبي . الطبعة الاولى ١٩٣٨ م .

عيد . د. محمد عيد

٤٧ ـ الرواية والاستشهاد باللغة . القاهرة ١٩٧٢ م .

الفرزدق

٤٨ ـ ديوان الفرزدق . دار صادر . بيروت ١٩٦٠ م .

القفطي

٤٩ ـ انباه الرواة ـ تحقيق ابو الفضل ابر هيم . مطبعة دار الكتب . القاهرة ١٩٧٣م.

المبــرد

٥٠ ـ الكامل في الادب ـ تحقيق د. زكي مبارك . مطبعة الحلبي الطبعة الاولى ١٩٣٧ م .

المرزباني

٥١ ـ الموشح . المطبعة السلفية . القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ .

ناصــف . علي النجدي ناصف

٥٢ ـ سيبويه امام النحاة .

ياسين

٥٣ ـ حاشية الشيخ ياسين (ضمن شرح التصريح للازهري ـ دار احياء الكتــب العربية) .

شاعر السموّ زهير ابن أبي سلمى

للدكتور عبد القادر الربّاعي

(جامعة اليرموك / الأردن)

مازال الشعر الجاهلي يشغل الدارسين والمهتمين بالفن عموما ، وذلك لما له من تميز في الاشراق والبساطة مع العمق والشمول . وهو ككل فن بدائي ممتاز يشكل ، بجداره، الأصول الأولى للفن الشعري العربي الأصيل كله .

اما أعلامُه فيُنْظَر إليهم على انهم الفلاسفة الأُول الذين ابتكروا المعاني وشقّقوها بقدرتهم الذهنية، وباخلاصهم في الوصول الى حلول مقنعة لمسألة الانسان والوجود .

وزهير واحد من اعلام الشعر الجاهلي، بل هو واحد من المبرّزين فيه . فهو لهذا يستحق اهتماما مستمرا ودراسة متجددة، لأن مثل هذه الدراسة وذلك الاهتمام قادران على اكتشاف عناصر جديدة تضاف الى تراث هذا الشاعر الخالد .

سأتعرض لزهير في الصفحات التاليات من زاويتين : ادرس في أولاها زهيراً الانسان : اصوله وفروعه، ثم سماته الخلقية والمسلكية، على اساس ان لهذا دورا كبيرا في تشكيل فكره والاهتمامات الشعرية عنده؛ كما ادرس في ثانيتهما زهيراً الشاعر، بهدف الوقوف على قدراته الفنية التي جعلته شاعرا متميزا في خصائصه ومذهبه .

- ١ -

هو زهيرابن ابي سُلمى (بضم السين) (١) . واسم ابـي سلمـى ـ والده ـ ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث،من بني مزينة (٢) . واكـد كعب بن زهير نسبه في مزينة بقوله (٣) :

هُمُ الأَصلُ مني حيثُ كنتُ وإنني ... من المُزَنيِّين المصفَّين بالكَرَمْ

ومزينـة احـدى قبائـل مضر ، فهـي منسوبـة ـ كمـا يقـول ابـن الكلبـي ـ الى مزينـة بنت كلـب بـن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، التي كانـت عند عمرو بن أد بن طابخة بن مضر بن نزار من معدّ بن عدنان ؛ ولم تلـد مزينة لعمرو غير عثمان واوس ، وهذا الأخير هو الجد الأصل لزهير (٤).

وذكر عن طريق آخر انمزينة هي امعمروابن اد،وليس زوجته (٥).

اما ابن سلام فيجعل مزينة واحدا من اجداد ربيعة والد زهير (٦) .

وعلى كل حال فزهير مزني النسب،لكنه ولد في بني عبداللهبن غطفان، لأن والده كان مع أهل بيته في هؤلاء القوم حتى عرف بهم ونسب اليهم .

---

١ ـ البغدادي : خزانة الادب (ط . دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٧) ٢ /٣٣٢ ووردفيها انه جاء في الصحاح : « ليس في العرب سُلمى (بضم السين) غيره » .

٢ ـ الاصفهاني : الاغاني (ط . دار الكتب المصرية) ٢٨٨/١٠ .

٣ ـ السكرى : شرح ديوان كعب بن زهير (ط . دار الكتب المصرية) / ٦٧

٤ ـ ثعلب : شرح ديوان زهير بن ابي سلمى (ط . دار الكتب المصرية) / ٣٢٠ .

٥ ـ الاغاني : ٢٨٨/١٠

٦ ـ الجمحي : طبقات فحول الشعراء (ط . دار المعارف . د.ت) /٤٣

وقد ذهب بعض الباحثين واهماً الى انه منهم (٧) . وكان بعض اهل العلم من غطفان يدّعون انه منهم،ويشككون في صحة ادّعاء كعب السابق في انه من مزينة (٨) .

اما انضمام ابي سلمى ، والد زهير ، الى بني غطفان وبقاؤه فيهم، فسببه — كما تقول اكثر الروايات (٩) — ان ابا سلمى هذا كان قد خرج مع خاله اسعدابن الغدير،وابن خاله كعب،وبعض من بني مرة للاغارة على طيء ، فأصابوا نعما كثيرا واموالا ؛ فرجعوا حتى انتهوا الى أرضهم ، أرض بني مرة ، فطلب ابو سلمى من خاله وابنه ان يفردا له سهما من الغنيمة ، فأبيا عليه ومنعاه حقه ، فكفّ عنهما حتى اذا كان الليل أكره أمه على الارتحال معه من ارضهم،وقد قال في ذلك :

لتعدونْ إبلٌ مُخَيَّسةٌ   من عند سعدٍ وابنه كعبِ

الآكلَيْن صريحَ قومهما   اكلَ الحبارى بُرْعُمَ الرُّطَبِ (١٠)

واتجه الى قبيلته مزينة فلبث فيهم حينا ، ثم اقبل بمزينة مغيرا على اخواله من بني غطفان . ولما ابتعد المزنيون عن ديارهم واشرفوا على ديار غطفان،تطايروا عنه راجعين،وتركوه وحيدا،فقال معتبرا :

---

٧ — ابن قتيبة : الشعر والشعراء (ط . دار المعارف ١٩٦٧) ٨٦/١ وما بعدها .

٨ — طبقات فحول الشعراء / ٩٢ . وورد على لسان ثعلب في شرح ديوان زهير ص ٨٦ ان بني عبد الله بن غطفان يقولون،هو منا إلاّ انه يكذّب ادعاءهم ويعدّه باطلا .

٩ — الاغاني ٢٩١/١٠.

١٠ — الحبارى : طائر يقع على الذكر والانثى،ويضرب به المثل في البلاهةوالحمق،فيقال(ابلهمن الحبارى)

من يشتري فرساً لخيرٍ غزْوها وابتْ عشيرةُ ربِّها ان تُسْهِلا

ثم اقبل حين راى ذلك من مزينة حتى دخل في اخواله من بني مُرّة،وفي بني عبدالله بن غطفان منهم ، وقد كان هؤلاء يسكنون (الحاجر) في نجد (١١) .

فعلى هذا يكون الغطفانيون اخوالا لوالد زهير،وليسوا اصولا له كما زعم بعض الباحثين.اما امّ زهير فكل مانعرف عنها انها من غطفان ، من بني مُرّة بن سعد بن ذبيان (١٢) ، وانها اخت أو ابنة اخ للشاعر الجاهلي الكبير بشامة بن الغدير . وكان زهير يعجب بشعره ويدعوه بالخال (١٣).

وذكر حمّاد ان بشامة هذا كان اشعر غطفان في زمانه ، وكان رجلا مقعدا حازم الراى كثير المال . ولم يكن له ولد ؛ جمع ثروته من حزم رايه،اذ كانت غطفان اذا ارادوا الغزو اتوه فأمّروه واستشاروه،وصدروا عن رايه ، فاذا انصرفوا قسموا له مثلما يقسمون لافضلهم . فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في اهل بيته وبين اخوته ، فأتاه زهير فقال : ياخالاه ، لو قسمت لي من مالك ؟ قال : قد والله ياابن اخت قسمت لك افضل من ذلك واجزله . قال : ما هو ؟ قال:شعري ورثتنيه . فمن أين جئت بهذا الشعر؟ لعلك ترى انك جئت به من مزينة ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر هذا الحي من غطفان . (١٤) والحدث في هذه الرواية – إنْ

---

١١ – الاغاني : ١٠/٣٠٩ . وشوقي ضيف : العصر الجاهلي (ط . دار المعارف ، الطبعة السابعة) / ٣٠٠ .

١٢ – وكان أبو سلمى تزوج الى رجل من بني سهم بن مرة،او فهر بن مرة،يقال له الغدير . انظر شرح ديوان زهير / ٥٥ والاغاني ١٠/٣٩٠ .

١٣ – جاء في شرح ديوان زهير ص ٣٢٥ ان بشامة عم لامّ زهير،لكن صاحب الأغاني يذكر في ج ١٠/٣١٢ انه خال زهير.اما ابن سلام فقد نص في طبقات فحول الشعراء / ٥٦٤ على ان زهيرا ابن أخته .

١٤ – الاغاني ١٠/٣١٢ وشرح ديوان زهير ٣٢٥ .

كان صحيحا ـــ يدلّ على تأثير بشامة في زهير،وعلى أن زهيرا كان شاعرا معجبا به،مما دعا بشامة الى الاعتزاز بأنه امتداده الفني .

ويظهر أن والدة زهير تزوجت بعد وفاة أبيه ؛ فقد ورد في الأخبار ان اوس بن حجر كان فحـــل مضر في الشعر،حتى نشأ النابغة وزهـــير فأخملاه ، وكان زهير راويته،وكان اوس زوج أم زهير (١٥) .

لم يترك زهير الحاجر في نجد ، أرض أخواله بعد موت والده،بل ظل فيها هو واهل بيته الذين لانعرف منهم سوى أخيه،وكان يدعى أوسا ، وهو اخوه من أمه الغطفانية (١٦) . وأخته الخنساء التي عاشت الى ما بعد موته،حيث نظمت فيه مرثية حزينة معبرة (١٧) .

أما زهير فقد تزوج الى أخواله ؛ تزوج كبشة بنت عمار بن عدي ابن سحيم،أحد بني عبد الله،ابن غطفان،فهي أم ولده (١٨) ؛ ويبدو أنها كانت الزوجة الثانية بعد (أم أوفى) زوجته الأولى التي احبّها كثيرا ، لكن الذي دفعه الى زواج كبشة عقم امّ اوفى (١٩) أو انها ولدت لـــــه ومات أولادها جميعا (٢٠) .

لم يرح هذا الزواج امّ أوفى فدبّت فيها الغيرة وآذت زهيراً كثيرا،مما اضطره الى طلاقها وهو كاره،ثم ندم على ذلك وقال (٢١) :

---

١٥ ـــ طبقات فحول الشعراء / ٨١ .

١٦ ـــ شرح ديوان زهير / ٥٥ .

١٧ ـــ المصدر السابق / ٣٦٦ .

١٨ ـــ المصدر نفسه ٣٢٦ ، ٣٢٥ .

١٩ ـــ الموجز في الادب العربي وتاريخه (وضع لجنة من الاساتذة بالاقطار العربيـــة ، دار المعارف بلبنان ١٩٦٢) ١ / ١٧٩ .

٢٠ ـــ الاغاني ١٠/٣١٢ والخبر منقول عن ابن الاعرابي .

٢١ ـــ شرح ديوان زهير / ٢٤٢ .

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مُغَيِّـــراتٌ وفي طول المعاشَرةِ التَّقالـــي

لقـد باليتُ مظْعَن أمِّ اوفى ولكنْ امُّ أوفى مـــا تُبالـــي

ومن الطبيعي أن يؤثر استمرار هذا الحب لأم اوفى على علاقته بكبشة، زوجته الجديدة . لقد واجهته باحساس المراة : برمت كثيرا بفتور مشاعره نحوها فعاتبته عتابا مرّا، ذكّرته فيه بواجب الزوج تجاه امراته التي تخلص لبيتها وتقوم بواجبها ، أمًّا وزوجة ؛ وهذا واضح في ابياته التالية (٢٢) :

وقالت امُّ كعـــب لا تَزُرْنـــا فـلا واللهِ ما لَـكَ من مَـزارِ

رايتُك عِبْتَني وصـددْتَ عَنّـي فكيفَ رايتَ عِرْضي واصْطِبـاري

فلم أُفْسِدْ بنيـك ولـم أُقـرِّبْ إليْـكَ من الملمّـاتِ الكِبـارِ

ويدافع عن نفسه بجواب مقتضب حمله بيته :

اقيمـي امَّ كعـب واستقـرّي فإنّـك ما نَزَلْـتِ بهـا بِـداري

لقد اكد لها ان الذي يحكم معاملته لها هو شعور الزوج الـــذي يستشعر مسؤوليته بضرورة العمل على توفير الأمان لزوجته ما دامت في داره تقوم بمهامها جيدا .

اما مسألة الحب فليس لها ان تكلفه بها ، ذلك لان الحب لا يُفرض على الانسان فرضا . ولعل موقف زهير هذا يعكس لنا مفهوم الناس في عصره للزواج والحب على حد سواء ؛ فليس الزواج لتحقيق عاطفـــة الحب دائما، وانما الزواج في كثير من حالاته للانجاب والعناية بشؤون الحياة العائلية والمنزلية فحسب .

وعلى اية حال فقد انجبت له كبشة هذه ثلاثة ابناء ذكورا، هم: كعب

---

٢٢ ـ شرح ديوان زهير ٣٢٥ .

وبجير وسالم (٢٣)،أما سالم فمات في حادث شؤم ينقله الرواة على النحو التالي : كان سالم هذا جميل الوجه حسن الشعر،فأهدى اليه رجل بُردين، فلبسهما وركب فرسا خيارا،فمرّ بامراة من العرب في مكان ماء يقال لـه النّتاءة،فقالت : ما رايت كاليوم قط رجلا ولا بردين ولا فرسا احسن ممـا ارى ، فما مضى قليلا حتى عثر به الفرس،فاندقت عنقه،وانشقّ بُرداه، وكُسرت عنق فرسه ؛ فقال زهير يرثيه ويشير الى الحادثة :

رأتْ رجلاً لاقى من العيشِ غبطةً ... واخطأه فيها الامورُ العظائـمُ
وشبَّ لـه فيها بَنُـونَ وتوبعَتْ ... سلامةُ اعوامٍ لـه وغنائـمُ
وعندي من الأيام ما ليس عنـده ... فقلتُ لهـا مَهْـلاً فإنّـكِ حالمُ
لعلكِ يومـا ان تُراعي بفاجـعٍ ... كما راعني يوم النّتاءة سالمُ (٢٤)

إن في الابيات تذكيرا بأن السرور لا يدوم ، وبأن على الانسان دائما ان يتهيأ لاستقبال الفواجع لان الدنيا في تقلب مستمر . ونحن على اية حال لا ندري مدى الصدق في قصة مقتل سالم،لكن الثابت لدينا أن زهيرًا فجع بابنه هذا فجيعة عظمى،جعلته يقف في الأبيات السابقة عند حالين متناقضين : حالِ من مُدّت له الدنيا حبل السلامة والغنى ، وحال من بُلته بالمصائب وفجعته بأبنائه • فالشعور بالأسى العميق كان حتما وراء ابراز تناقض الدنيا السحيق .

اما ولداه كعب وبجير فلحقا الاسلام واسلما ؛ اسلم بجـير اولا وتمنّع كعب،بل قال ابياتا يؤنب فيها بجيرا على اسلامه،ويعرّض بالاسلام والرسول . قال (٢٥) :

---

٢٣ ـ العباسي : معاهد التنصيص (المطبعة البهية ١٣١٦ هـ) ٢/١١٠

٢٤ ـ الاغاني : ١٠/٢١٣ وما بعدها ثم شرح ديوان زهير / ٢٤١

٢٥ ـ شرح ديوان كعب بن زهير / ٣ وما بعدها و (وَيْب) كَوَيْل ، تقول وَيْبك ووَيْب لك .

الا أَبلِغَنْ عنّـي بُجَيْراً رسالـــةً فهلْ لـكَ فيما قلتُ بالخَيْفِ هلْ لكا

سُقِيتَ بكأسٍ عند آل محمــدٍ فأنْهَلَـك المأمـونُ منها وعلَّــكا

وخالفتَ أسبابَ الهُـدى وتبعْتَـهُ على ايِّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دلَّــكا

فبلغ رسول الله شعره هذا فتوعده ونذر دمه،فكتب إليه اخوه بجير يحذره ويدعوه الى القدوم على الرسول واعلان التوبة والاسلام . وطمأنه بأن محمدا عليه السلام لا يقتل احدا جاءه تائبا . ففعل ذلك كعب وقال قصيدة جليلة القاها بين يد يالرسول الكريم ، فقبل توبته وعفا عنه،وكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين الف درهم .

هذا وتذكر بعض المصادر ان اسلام كعب قد أعلن بعد بعثة الرسول مباشرة،وذلك تحقيقا لوصية والده قبل وفاته،وهي تورد على هذا روايتين :

احداهما أن زهيرا راى في منامه وفي أواخر عمره ، ان آتيا اتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسكها بيده،ثم تركه فهوى الى الأرض . فلما حضره الموت قصّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إني لا اشك انه كائن من خبر السماء بعدي ، فان كان فتمسكوا به وسارعوا اليه . ثم توفي قبل المبعث بسنة ؛ فلما بعث رسول الله خرج اليه ولده كعب بقصيدته (بانت سعاد) واسلم (٢٦) . وثانيتها أن زهيرا راى في منامه ان سببا تدلى من السماء الى الأرض وكان الناس يمسكونه ، وكلما اراد ان يمسكه تقلص عنه،فأوله نبي آخر الزمان ، فانه واسطة بين الله والناس ، وانّ مُدّته لا تصل الى زمن مبعثه ، فأوصى بنيه أن يؤمنوا به (٢٧) . واعتقد ان هاتين الروايتين موضوعتان،وان الخبر الاول المشفوع بأبيات شعرية لبجير هو اقرب الى التصديق منهما . والذي يدفعني لهذا الاعتقاد ، الافتعال الواضح للرؤية

---

٢٦ ــ خزانة الادب ٢ / ٣٣٥ .

٢٧ ــ المصدر السابق ٢ / ٣٣٦ .

من اجل التدليل على تنبؤ بعض الناس بالنبوة قبل وقوعها • ولربما استفاد واضعها من التقوى التي عرف بها زهير في الجاهلية كما سيأتي .

ومن أخبار زهير ايضا ان كانت له ابنة اسمها (وبرة) وانها كانت شاعرة،فعندما قال زهير :

ارادتْ جوازاً بالرُّسَيْسِ فصدَّها ... رجالٌ قُعودٌ في الدُّجى بالمَعابِلِ
كأنَّ مُدَهْدَى حَنْظَلٍ حيثُ سَوَّفَتْ ... بأَعْطَانِهــا من جَرِّها بالجَحَافِلِ

فقال زهير من يجيز هذا ؟ فقالت وبرة : يا ابتاه انا اجيزه،وانشدت :

جدودٌ قَلَتْ بالصَّيْفِ عنها جِحاشُها ... فقد غَرَزَتْ أَطْباؤُها كالمكاحِلِ (٢٨)

- ٢ -

ترسم لنا الاخبار وشعر الشاعر صورة جميلة لزهير ؛ فهو من النفر الذين كانوا يحاسبون أنفسهم كثيراً ليقتربوا من الخير،ويبتعدوا عن الشر؛ ولهذا استقام خلقه ، وباعد بينه وبين الموبقات،كالخمر والميسر والازلام (٢٩) .

لقد تساوت نفسه وابتعدت عن تدني المجتمع الجاهلي وتساقطه في الحضيض ؛ وبذلك اقترب من الايمان • وفي شعره أبيات تشير الى أنه كان قريبا من الايمان حقا فهو — مثلا — يؤمن بأن هناك إلاها يتدبر الكون ويحاسب على الاعمال،قال (٣٠) :

والمالُ ما خَــوَّلَ الإلٰــهُ فــلا ... بُــدَّ لَــه انْ يَحُوزَهُ قَــدَرُ
والإثْــمُ من شَرٍّ ما يُصَالُ بــهِ ... والبِــرُّ كالغَيْثِ نَبْتُــهُ أَمِــرُ

---

٢٨ — شرح ديوان زهير / ٣٢٥ .

٢٩ — جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (دار العلم للملايين ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد ١٩٧٦) ٤/٦٧١ .

٣٠ — شرح ديوان زهير / ٣١٤ .

وهو — كما يبدو في شعره ايضا — يؤمن بالحساب والعقاب ، وبأن اعمال الانسان مرصودة ومحفوظة بكتاب مدخور (٣١) :

يؤخَّرْ فيوضعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم حسابٍ او يُعجَّل فيُنْقَمِ

لقد كان ذا خلق جميل، مشدود برباط الايمان دائما؛ ذلك لانه يرى ان الانسان قادر على اكتساب خلق حميد اذا ما سعى للتعلق بالخير الذي يريده الاله أن يعم الكون والناس (٣٢) :

عَوَّدْتَ قومك : إنَّ كلَّ مُبَرِّزٍ مَهْما يُعَوِّدْ شيمةً يَتَعَوَّدِ
حَزْماً وَبِرًّا للالهِ وشيمةً تعفو على خُلُقِ المسيءِ المُفْسِدِ

وقد بلغ من ايمانه انه خشي عقوبة الله لانه هجا بني عليم بن خباب بدون حق، وكان يقول : « ما خرجت في ليلة ظلماء إلاّ خفت أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوما ظلمتهم (٣٣) » . ولقد اعتقد بعض الباحثين انه كان خاضعا لتأثير النصرانية، كما عده بعضهم نصرانيا، لكن يبدو ان الراي الذي ذهب اليه بروكلمان صواب ، فهو يعتقد بأن تأثير النصرانية كان واقعا في الجزيرة العربية، لكننا لا يجوز لهذا ان نعد زهيرا من النصارى » (٣٤). وكان عادلا يحب العدل ، ويدعو دائما الى اعادة الامور لنصاب الحق، ولهذا بارك عمل كل من هرم بن سنان والحارث بن عوف، اللذين تحملا ديات القتلى ،واصلحا بين الحيّين المتخاصمين : عبس وذبيان، بعد حرب دامت اربعين عاما .

يميناً لنِعْمَ السيدانِ وُجِدْتُما على كلِّ حالٍ مِنْ سَحيلٍ وَمُبْرَمِ

---

٣١ — المصدر السابق / ١٨ .

٣٢ — المصدر نفسه / ٢٧٧ .

٣٣ — الاغاني ١٠ / ٣٠٩ وشرح ديوان زهير / ٥٦ .

٣٤ — كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربي (ط . دار المعارف بمصر د. ت) ١/ ٩٥ .

تداركْتُما عبساً وذُبْيانَ بعْدَمـــا   تفانَوْا ودقُّوا بينهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ (٣٥)

ورايه في تلك الديات انها أُخِذت بغير حق،لأن الذي تحمّل دفعها لا ذنب له سوى حبه أن يسود الصفاء بدل الشر :

لَعَمْـرُكَ ما جَرَّتْ عليهِمْ رماحُهُمْ   دَمَ ابن نَهيك او قتيل المُثَلَّـــم

فكلاًّ اراهُمْ اصبَحُوا يَعْقِلونَـــهُ   عُلالَةَ ألْفٍ بعْـدَ ألْفٍ مصتـــم

تساقُ الـى قَـوْمٍ لقوم غرامـةٌ   صحيحات مال طالعاتٍ لِمَخْرِمْ (٣٦)

إنه يستغل هذه الحادثة غير المنطقية لحث المجتمع على رؤية الخطأ في نظامه الاجتماعي،فلو كان العدل هو الذي يسيّره لما احتاج الى أن يقبل هذا الأمر الغريب .

إن مطلب العدالة ربما نما مع الشاعر، خاصة وأن أخواله كانوا قد ظلموا والده ظلما دفعه الى تصرفات حادة جدّا،كما مّر بنا سابقا . وانني أعتقد أن حادثة والده التي كانت السبب المباشر في توطنه بأرض اخواله الى الأبد ، كانت مؤثرة جدا في نفسية زهير وفكره وسلوكه ، ولهذا اصبح السلام والعدالة مطلبه الأساسي في الحياة والوجود الانساني كله .

ولهذا كان اليفا جدا لمن عرفهم واختلط بهم،مهما كانت مستوياتهم الاجتماعية ، وعلى اية صفة كانت علاقتهم به . والمثل الرائع الذي يستأهل التوقف هنا قصته مع راعيه (يسار) : كان الحارث ابن ورقاء الصيداوي، من بني اسد،أغار على بني عبد الله بن غطفان،فغنم فاستاق ابل زهير وراعيه يسارا (٣٧) مما دفع زهيرا أن يجاهد طويلا لاسترداد راعيه،حيث

---

٣٥ ــ شرح ديوان زهير / ١٤ ومنشم امراة تبيع العطور وقيل : من التنشيم في الشر .

٣٦ ــ المصدر السابق / ٢٥ وما بعدها . العلالة : الزيادة هنا . مصتم : تام . المخـرم : الثنية في الجبل .

٣٧ ــ الاغاني ١٠/٣٠٧ ــ ٣٠٩ .

قال قصيدة يهجو بها الحارث بن ورقاء وقومه،ويهدده بغيرها ان لم يعد يسارا سالماًومطلع القصيدة (٣٨) :

تَعَلَّمْ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ يُنَادَى في شِعارِهِمُ يَسَارُ

ويبدو أن الحارث قد تأثر بأقوال زهير فعزم على اعادة يسار ، لكن قومه نهوه وحالوا بينه وبين رغبته،فبعث زهير فيهم قصيدة يهجوهم ويمدح الحارث ويشجعه،ويهيب به أن لا يستمع اليهم . ويبدو أنه نجح في ذلك كما يقول (٣٩) :

ابلغْ لديك بني الصيداءِ كلَّهُمُ أنَّ يساراً أتانا غيرَ مغلولِ
ولا مهان ولكنْ عند ذي كَرَمٍ وفي حِبَالِ وفيِّ العهدِ مأمولِ

من الملاحظ في هذه القصائد أن زهيراً لم ينشد استرداد شيء من أمواله ، لكنه كان شديد الحرص على أن يعود اليه (يسار) فقط ؛ وهذا يدل على الالفة المتأصلة في طبع هذا الرجل،وعلى الوفاء الذي فطر عليه ايضا . فيسار مجرد راع بسيط،لكن اختلاطه بزهير ولّد في ذات الشاعر مشاعر جميلة ؛ خاصَمَ ومالأ بدافع منها حتى يستردّ راعيه المخلص .

هذا وفضلا عن وفائه السابق الذكر لهرم،مدحه لأهله (٤٠) تحقيقا لهذا الوفاء ، عرف عنه شدة وفائه لزوجته (أم أوفى) ؛ فلقد ظل يذكرها بأحسن ما تذكر به أنثى بالرغم من نشوزها وانفصالها عنه ؛ وقد أدى به هذا الوفاء الى مواقف صعبة مع زوجته الجديدة ، لكنه في علاقته بهذه المراة الجديدة اثبت ايضا انه رجل طُبع على الالفة وحسن المعشر ؛ فحين عاتبته

---

٣٨ ـ شرح ديوان زهير / ٣٠٠ .

٣٩ ـ المصدر السابق / ٣٠٨ .

٤٠ ـ انظر مديحه لسنان والد زهير في ديوانه / ١٩٣ ، ٢٦٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٦ ، ٣٤٦ ورثاءه اياه / ٣٣٤ .

على استمرار تعلقه بأم أوفى — زوجته القديمة — لم ينكر ذلك، بل ذهب في صراحته الى حد أن عرّفها موقعها منه، فهي ليست اكثر من امراة تزوجها للانجاب ، وهو معها يقوم بواجبات الزوج على اكمل وجه، كما مرّ بنا سابقا .

وكان زهير متعففا، يترفع عن الماديات في علاقاته دائما ؛ لقد ظهر ذلك جليًّا في تعامله مع ممدوحيه، وخاصة هرما ؛ فلقد اكثر زهير من مدحه حتى حلف هرم الاّ يمدحه زهير إلاّ اعطاه، ولا يسأله إلاّ اعطاه، ولا يسلم عليه إلاّ اعطاه عبدا أو وليدة او فرسا ، فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه ، وكان اذا مر به في ملأ قال : « عموا صباحا غيرَ هرم، وخيركم استثنيت(٤١) » .

والى جانب هذا كان زهير سيدا كثير المال ، فقد اغناه هرم ثم آل اليه نصيب من مال خاله بشامة بن الغدير، كما يذكر صاحب الأغاني (٤٢) ؛ وكان كريما يصرف ماله فيما يراه واجبا . روي ان زيد الخيل بن المهلهل الطائي تمكن من بجير فأخذه وهو لا يعرفه، ولما عرف أنه ابن زهير حمله على ناقته وخلّى سبيله، فأتى بجير اباه فأخبره خبر زيد وما فعله ، فأرسل زهير بفرس كميت كان لكعب من كرام الخيل الى زيد ، وكان كعب غائبا فلما جاء انكر على والده ذلك وقال : كأنك اردت ان تقوي زيدا على قتال غطفان، فقال زهير : هذه إبلي فخذ ثمن فرسك وازدد عليه ، وقد عنفت كعبا زوجته فقالت : أما استحييت من أبيك في سنه وشرفه أن تردّ هبته ؟

وقد اثر هذا الموقف في زيد الخيل فقال :

فلولا زهيرٌ أَنْ أُكَدِّرَ نِعْمَةً   لقارعت كعباً ما بقيتُ وما بَقَى (٤٣)

---

٤١ — معاهد التنصيص ٢/١١٠ .

٤٢ — الاغاني ١٠/٣١٢ .

٤٣ — ابو علي القالي : ذيل الامالي (طبعة مصطفى اسماعيل يوسف بن دياب ، الطبعة الثالثة) / ٥٣ وما بعدها . وشرح ديوان كعب بن زهير / ١٢٦ وما بعدها .

ويقال ان زهيرا مات قبل البعثة بقليل،ويحدّد بعضهم وفاته فيجعلها قبل البعثة بسنة واحدة (٤٤) ، اما بروكلمان فيقول : ان « الراجح انه مات قبل ظهور النبي بزمن طويل (٤٥) » وهناك رواية تجعل وفاته بعد البعثة،وتزعم أن الرسول عليه السلام،مرّ به وهو شيخ فقال : اللهم اعذني من شيطانه (٤٦) ؛ وهي رواية مشكوك فيها على أية حال • هذا وقد رثته اخته الخنساء بأبيات جيدة تقول فيها (٤٧) :

فلا يغني توقّي المرءِ شيئا ... ولا عُقَدُ التميم ولا الغَضَارُ

اذا لاقى منيته فأمسى ... يساق به وقد حقَّ الحِذارُ

ولاقاه من الأيام يومٌ ... كما من قبلُ لم يُخَلَّدْ قُدارُ

وهكذا انتهت حياة شاعر عاش للخير،واتخذ من شعره اداة لنشره وتمكينه في مجتمع كثُر فيه الجهل والظلم والشر .

- ٣ -

لزهير ديوان شعر طبع عدة طبعات (٤٨) ، ولعل أجودها طبعة دار الكتب التي اعتمدت على رواية ثعلب،وهي الطبعة التي اعتمدتها فيدراستي

---

٤٤ ــ شرح ديوان زهير / ٥٦ وخزانة الادب ٢/٣٣٥ .

٤٥ ــ تاريخ الادب العربي ١/٩٥ وانظر ايضا تاريخ الاداب العربية لنالّينو (ط . دار المعارف بمصر / ٧٨ .

٤٦ ــ معاهد التنصيص ٢/١١٠ .

٤٧ ــ السيوطي : شرح شواهد المغني (دار مكتبة الحياة ــ بيروت ١٩٦٦) ١/١٣٤ ، والغضار : كان احدهم اذا خشي على نفسه علّق عليه خرقا اخضر .

٤٨ ــ انظر مقدمة ديوان زهير / ٢٠ ــ ٤٤ . وكتاب احسان النص : زهير بن ابي سلمى...

هـــذه .

على الرغم من ان قضية الحرب والسلم اخذت القسط الاكبر مـــن اهتمام الشاعر،فنظم فيها شعرًا كثيرًا مَثَّلتْه قصائده المدحية،إلاّ أنّ شعره يحوي ايضا اغراضا أخرى؛كالرثاء والغزل والهجاء والفخر والحكمة . هذا بالاضافة الى أن شعره يحوي عناصر مختلفة من معارف عصره ومعالمه ؛ فشعره مثلا من اكثر الأشعار الجاهلية اهتماما بالكتابة ، لقد كررها اكثر من مرة وبخاصة في مقدماته الطللية؛مثال ذلك قوله (٤٩) :

لمن الديار غشيتهـــا بالفدفـــد كالوحـــي في حجر المسيـــل المخلد

وزهير في شعره يشغل بقضايا انسانية بالغة الدقة والخطورة في مجتمع جاهلي بدائي؛كانت تسوده ــ الى حد كبير ــ شريعة باغية قاسية ؛ لذا احتاجت من الشاعر قدرا كبيرا من التجرد والتفكير لوضعها وضعا مؤثرا . فالشاعر متألم جدا للأوضاع السيئة التي ينحدر اليها مجتمعه ؛ وقد تمثل تألُّمه هذا بصـــور شعرية توحي بأن طريق الخلاص هي الســـير مع حس السلام الذي بدا يتخذ جانبا ايجابيا فاعلا . ومع كل ما من شأنـــه ترسيخ قيم أو مثل عليا فوق الأرض . ومن هنا التقى كلام الشاعر فـــي

... (دار الفكر بدمشق ١٩٧٣) ١١٩ وقد عثرت على نص في خزانة الادب ٢ / ٣٢٤ يشير الى ديوان زهير وشروحه . قال البغدادي (وديوان شعر زهير كبير وعليه شرحـــان ، وهما عندي والحمد لله والمنه ، احدهما بخط مهلهل الشهير الخطاط صاحب الخـــط المنسوب) ولم يذكر في مخطوطات الديوان المكتشفة ما يشير الى هذه النسخة .

٤٩ ــ شرح ديوان زهير / ٢٦٨ .

دعوته الاصلاحية مع الخُلُق الاسلامي الذي جاء بعيد موته . قيل : انشد عمر بن الخطاب،رضي الله عنه،قوله في هرم :

اثنـي عليـك بمـا علمـت وما اسلفت في النجدات من ذكـر
والستـر دون الفاحشـات ولا يلقـاك دون الخـير من سـتر

فقال عمر : ذلك رسول الله (٥٠) . وكلام عمر هذا هو من نوع كلامه حين سأل بعض ولد هرم ان ينشده بعض مدح زهير في ابيه ، فلما انشده ما طلب قال : إن كان ليحسن فيكم القول . قال : ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء ، فقال : قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم (٥١) .

ومن هنا قال عبد الملك بن مروان:ما يضر من مدح بما مدح زهير آل ابي حارثة من قوله :

على مكثريهم رزق من يعتريهـم وعند المقلّين السماحةُ والبـذلُ

ألاّ يملك امور الناس (٥٢) . يعني الخلافة) .

ان المعاني التي عاشت وقدرت هذا التقدير في العصور اللاحقة،لمعانٍ انسانية كثيفة وان بدت بسيطة مكشوفة ؟ فلا عجب اذن ان تلتقي بعض معاني شعره مع بعض الآيات القرآنية الكريمة . لقد لاحظ بعضهم موضع التقاء قوله :

ومن هاب اسباب المنايا ينلنـه ولو رام اسبـابَ السماء بسُلّمِ

مع فحوى الآية الكريمة « اينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج

٥٠ ــ الاغاني ٣٠٤/١٠ .

٥١ ــ المصدر السابق ٣٠٥/١٠ ويقال ان عمر قال ايضا (ولكن الحلل التي كساها أبـوك هرما لم يبلها الدهر) .

٥٢ ــ المصدر نفسه ٣٠٦/١٠ .

مشيدة (٥٣) ».والاحظ التقاء قوله :

فان الحق مقطعه ثلاثٌ، يمينٌ او نفارٌ او جلاءُ
فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء (٥٤)

بالبعد الاجتماعي والانساني الذي عليه القول الالهي : « ولكم في القصاص حياة ».ولربما كان هذا وراء قول ابن قتيبة : « وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره،ويدلّ شعره على ايمانه بالبعث » (٥٥) .

ويبدو ان اتجاهه الخلقي كان وراء تفضيل كثير من الناس له . لقد فُضل على الشعراء لأنه — كما قيل — : « كان ابعدهم من سخف،واشدهم اجتنابا لحوشي الكلام (٥٦) » .

والواقع ان زهيرا كان شاعرا فذًّا ، فلقد فهم بخبرته وذكائه قضايا الانسان والوجود ، وعبّر عنها تعبيرا ادبيا اكسبها سمة البقاء ، وهذا ما جعله قائما في عقول الناس على مر العصور .

وشاعريته اصيلة عريقة تمتد في جذورها وفروعها بشكل جعلها متميزةفي تاريخ الشعر العربي القديم . قال ابن الاعرابي : « كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان ابوه شاعرا ، وهو شاعر ، وخاله شاعر ، واخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعران ، واخته الخنساء شاعرة (٥٧) » . وقد ذكر ايضا ان عقبة بن كعب بن زهير المعروفبالمضرب

---

٥٣ — ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي (دار المعارف بمصر ١٩٥٦) ٤٠٦،والاية في النساء / ٧٨ .

٥٤ — شرح ديوان زهير / ٧٥ . والاية من البقرة / ١٧٩ .

٥٥ — خزانة الادب ٢ / ٣٣٢ .

٥٦ — المرزباني : الموشح (دار نهضة مصر ١٩٦٥) ٩٥ .

٥٧ — شرح شواهد المغني ١/١٣٢ ومعاهد التنصيص ٢/١١٠ .

كان شاعرا ، وانه كان لعقبة هذا ابن يقال له العوام،وكان شاعـــــــرا أيضا (٥٨) .

لقد اجتمعت لزهير عناصر وراثية في الشعر اعطته استعدادا فطريا لقوله ؛ ويبدو انه أحسّ مثل هذا الاستعداد مبكرا ، فأخذ نفسه به وعوّل على تأصيله وتهذيبه حتى غدا شاعرا مذكورا . لقد وضعه ابن سلام في الطبقة الأولى،تاليا لامرىء القيس والنابغة (٥٩) .

اما ابو الفرج فقد ذكر ان الرواة لم يتفقوا على تفضيل أي من امرىء القيس او النابغة عليه ؛ قال : « هو أحد الثلاثة المتقدمين على سائـــــر الشعراء ، وانما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ؛ فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني (٦٠) » .

وفي التراث النقدي ما يؤيد قول ابي الفرج ؛ فقد جاء في طبقات ابن سلام نفسه ان أهل النظر قالوا : « كان زهير أحصفهم شعرا . . .وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق (٦١) » .

وقد نسب صاحب خزانة الأدب الى ثعلب تقديم زهير ، كما أورد محاورة بين جرير وابنه عكرمة مؤداها:ان جريرا كان يقدّم زهيرا ويجعله اشعر الجاهليين (٦٢) . وممن كان يقدّمه ايضا قدامة بن موسى الجمحي ، الذي كان ــ كما يقول ابن سلام ــ من أهل العلم (٦٣) . وكان كل من عمر

---

٥٨ ــ الاغاني ١٠/٣١٤ وخزانة الادب ٢/٣٣٣ .

٥٩ ــ طبقات فحول الشعراء / ٩٣ .

٦٠ ــ الاغاني ١٠/٢٨٨ .

٦١ ــ طبقات فحول الشعراء / ٥٢ والثعالبي : خاص الخاص (دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٦) ٩٦ .

٦٢ ــ خزانة الادب ٢/٣٣٣ .

٦٣ ــ الاغاني ١٠/٢٨٩ .

ابن الخطاب ومعاوية يسميه بشاعر الشعراء او اشعر الشعراء (٦٤). وقد زعم حماد انه لم يدرك احدا من اهل العلم من قريش يفضل على زهير من الناس احدا في الشعر، لكنه يقول : غير أن قريشا قد اتفقوا على تفضيل زهير والنابغة معا (٦٥) . وكان ابو عمرو ابن العلاء يقول : « كان اوس فحل مضر ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه (٦٦) » . وسجل بعض النقاد القدامى احكاما نقدية توازن بين زهير وغيره على اساس الدوافع النفسية التي اشتهروا بها، فقيل : « كان امرؤ القيس اشعر الناس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب (٦٧) » .

والنقد الحديث لا يأخذ بهذه الآراء المطلقة لأنه يدرك اختلاف الشعر والشعراء من حال الى حال ؛ فالمسألة كلها ترتبط بقضايا دقيقة في الشاعر ذاته، وفي الموضوع الذي يتناوله، والجو العام الذي يقال فيه الشعر . ولكن تظل الأقوال التي فاضلت بين زهير وغيره على اساس من الضوابط النفسية خاصة أقرب الى الاحتمال والتقبل من تلك التي اعتمدت التعميم اسلوبا في احكامها .

وعلى مستوى الصنعة الشعرية يصادفنا الراي المنسوب الى عمر ابن الخطاب في تفضيل زهير، حيث قال : « كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح احدا الا بما فيه (٦٨) » . لقد اعجب به لأن شعره مستوٍ، وفصيح اللفظ، وناطق بالصدق الحقيقي عن مجريات الأحداث واوصاف الناس . ان هذا النقد ـ بالرغم من أن نظريات الشعر

---

٦٤ ـ شرح شواهد المغني ١/١٣١ .

٦٥ ـ شرح ديوان زهير / ٨٦ ، ٣٢٦ .

٦٦ ـ طبقات فحول الشعراء / ٨١ .

٦٧ ـ العسكري : كتاب الصناعتين (عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٢) ٢٣ .

٦٨ ـ الاغاني ١٠/٢٨٩ ومعاهد التنصيص ٢/١٠٩ .

الحديثة قد تجاوزته بكثير ـ يظلّ نقدا يقدم أوليات أساسية في الحكم النقدي المعلل .

وقد لاحظ الاقدمون تأثر زهير في الصنعة بطريقة اوس بن حجر ـ وكان زهير راوية له ـ وهي قائمة على البروز الحسّي، والاستقصاء للصور وتفصيلاتها (٦٩) . وعرف عن زهير أنه صاحب مذهب التحكيك الشعري في العصر الجاهلي ، إذ به عُدَّ واحدا من الذين أطلق عليهم الأصمعي «عبيد الشعر » . (٧٠) قيل إنه كان ينظم القصيدة في ليلة أو شهر، ثم يتركها عنده عاما كاملا لا يذيعها في الناس إلاّ بعد أن يعاود فيها النظر مرات عديدة . ولهذا سميت قصائده بالحوليات او المقلدات والمنقحات (٧١) . وحتى نحكم حكما مقنعا على عمل زهير هذا، لا بد لنا من الاجابة عن مسألة هامة في المعرفة النقدية : هل الشعر ابن الملكة الشعرية وحدها، أم ابن الصنعة الحاذقة فقط ، أم ابنهما معا ؟

ان الاجابات العصرية لا تميل الى فصل الصنعة عن الموهبة ، وهي تعدّهما أساسا متحدا لكل فن ناجح، وبهذا يكون زهير واحدا من الذين وعوا باكرا دورهم الشعري الريادي، لذلك جاء شعره ناضجا متقنا ، ولقد لاقى قدرا كبيرا من الاعجاب في عصره وبعد عصره . ان الأساس الفني لمذهبه اهتمامه كثيرا بالصور الكثيفة التي قادت الى خلق الترابط العضوي في القصيدة الواحدة، لأنها تشيع معاني عميقة شديدة التشابك والترابط .

---

٦٩ ـ شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ط . دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة / ٢٨) وما بعدها .

٧٠ ـ الشعر والشعراء ١/٢٢ .

٧١ ـ الجاحظ : البيان والتبيين (عبد السلام هارون ١٩٣٨) ٢/٩ ومعاهد التنصيص ٢/١١١ وخزانة الادب ٢/٣٣٥ . وابن جني : الخصائص (ط . الهلال ١٩١٣) ١/٣٣٠ .

ان مثل هذه المعاني تؤدي بتفاعلها وتجاوبها وتجاذبها الى الكشف عن الرموز والايحاءات التي تؤلف الوحدة المعنوية الباطنية للقصيدة : فرصدنا لحركات النفس داخل القصيدة الواحدة يقودنا الى الوقوف على قضايا انسانية بعيدة بعدا جذريا عن الموضوعات الظاهرية التي نتحدث عنها .. وهذه هي القيمة المتوقعة لكل ترابط صوري كهذا الذي يشيعه زهير باتقان نادر .

بهذا تغدو الأقوال التي اتهمت معلّقته كما اتهمت غيرها من المعلقات بالتفكك (٧٢) ، اقوالا قاصرة، عاجزة عن الرؤية الشمولية التي تعتمد اكتشاف الحقيقة من خلال حل العقد والتداخل الشعري العجيب .

ولكن الرواة والنقاد اخذوا على زهير عدة مآخذ في شعره، تنحصر في مجالات اللغة والسرقات والفن وغاياته بشكل عام :

ومن مآخذهم اللغوية استبشاعهم كلمة (حقلّد) في بيته (٧٣) :

تَقِيٌّ نَقِيٌّ لم يُكَثِّر غنيمة بِنَهْكَةِ ذي القُربى ولا بِحقلّدِ

ومنها انكارهم عليه قوله (ركك) في بيته :

ثم استمروا وقالوا إنّ موعدكُمْ ماءٌ بشرقيِّ سَلْمى فَيْدُ او رَكَكُ

لأنه حكى بعض الأعراب انه قال : إنما هو « رك » (٧٤) . ولست ارى وجها لهذه المآخذ . فـ (حقلد) كلمة عربية مستعملة، قد تكون ثقيلة على اللسان، لكنها في موضعها في البيت ادت ما أراد الشاعر ؛ اما (رك) فنقلها

---

٧٢ ـ الموجز في الادب وتاريخه ١/١٨٥ .

٧٣ ـ كتاب الصناعتين / ٣٠ والبيت في الديوان / ٢٣٤ والحقلّد : الضيق البخيل ، والسيء الخلق .

٧٤ ـ الموشح / ٦١ وحكي عن بعض الاعراب انه قال : انما هو (ركّ) والبيت في الديوان / ١٦٧ .

هو الذي دفع الشاعر الى فك ادغامها . والشاعر — على اية حال — اطمأن على وضع كل كلمة في موضعها من شعره ، لذا فان اي مأخذ لا يكون بافراد الكلمة ومحاسبته على جمالها او قبحها منعزلة ، وانما في موضعها من القصيدة. وهذا مبدأ غير الذي حوكم على اساسه زهير كما هو واضح .

واما في نحل الشعر فقد روي ان الأصمعي كان « يرى أن ابياتا من قصيدة زهير الميمية (امن أم اوفى . . .) ليست له وانما هي لصرمة بن انس الأنصاري (٧٥) » . واتّهم ايضا بالاغارة على شعر غيره من الشعراء فقد جاء على لسان ابي عبيدة قوله : كان قراد بن حنش من شعراء غطفان وكان جيد الشعر قليله ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدّعيه ، منهم زهير بن ابي سلمى ادعى المقطوعة التي مطلعها :

إنّ الرزيّـةَ لا رزيّـةَ مثلَها   ما تَبْتَغي غطفانُ يومَ أضَلّتِ (٧٦)

والمقطوعة في ديوان الشاعر ، وقد ذكر انها في رثاء سنان ابن ابي خارجة مع زيادة بيت على الأبيات التي رواها ابو عبيدة وهو :

ومُلَعَّنٍ ذاقَ الهوانَ مُدَفّعٍ   راخَيْتُ عُقْدَةَ كبْلِهِ فانحلّتِ (٧٧)

ومع تقديم وتأخير في الابيات ، ثم مع اختلاف في رواية بعض الألفاظ والعبارات .

وهذا امر يرتدّ الى مسألة النحل والانتحال في الشعر الجاهلي . ومن الصعب ان يجزم الانسان فيها براي وتظلّ خاضعة للفرض والتخمين . على ان مما يضعف احتمالات كون الأبيات لقراد ان أحدا لم يقل بذلك سوى

---

٧٥ — مصادر الشعر الجاهلي ٢٢٨ عن كتاب المعمرين / ٦٦ . وهناك قصيدة اخرى منسوبة للانصاري في ديوان زهير / ٢٨٤ .

٧٦ — المرزباني / معجم الشعراء (عيسى البابي الحلبي ١٩٦٠) ٢٠٥ .

٧٧ — شرح ديوان زهير / ٣٣٤ .

ابي عبيدة،وان الابيات في الديوان مزيدة ومختلفة بعض الاختلاف،ومقرونة عند زهير بمناسبة ؛ ولم ترد اية اشارة من ثعلب ، شارح الديوان ، تشير الى اتهامها على غير عادته .

اما في مجال السرقة الشعرية فيذكر الرواة ان زهيرا اخذ ابياتا ممن سبقه او عاصره من الشعراء،من ذلك — مثلا — قول امرىء القيس (٧٨) :

فلأْياً بِلأْيٍ ما حملنا غلامنا على ظهر محبوك السراة محنّبِ

اخذه زهير فقال :

فلأْياً بِلأْيٍ ما حملنا غلامنا على ظَهْرِ محبوكٍ ظِماءٍ مفاصِلُه

والمسألة هنا ترتبط بمفهوم السرقات الشعرية قديما وحديثا ، لان هذا المفهوم ليس واحدا في العصرين،فبينما يعدّ النقد القديم التأثر والتأثير في الشعر سرقة معيبة،ينظر اليها النقد الحديث على انها طبيعية،بل ربما كانت عامل اغناء كبير في الشعر ؛ لان حصيلة هذا الفن تلاقح المشاعر والمواقف والافكار الانسانية . وهو لا يفترض السرقة في الشعر ابدا ، لانه يعتبر الشاعر مسؤولا عن كل حرف يستخدمه. وهو — على اية حال — لا ينظر الى الشعر نظرات جزئية تتوقف عند التقاء شاعرين عند كلمة أو جملة،لان الشاعر الذي يصدر عن تجربة ذاتية حية لا بد أن يحدث شيئا ما فيما يتأثره،وذلك ليحوّله الى عالمه الخاص المفروض من المواقف الذاتية . فزهير تصرّف ببيت امرىء القيس تصرفا يبدو قليلا،لكنه اذا قرن الى السياق كله ونظر اليهما نظرة شاملة،امكن ان يقال ان التجربة الكلية المتكاملة في القصيدة هي التي فرضت مثل هذا التصرف ؛ عندها يغدو الشعر كله ملك زهير، يحاسب عليه ويحاكم به .

---

٧٨ — انظر هذين البيتين وغيرهما من الابيات مجموعة في شرح ديوان زهير ١٥ — ١٧ المقدمة.

وأما في المجال الفني فقد أخذوا عليه اضافته (احمر) الى (عاد) في قوله :

فَتُنْتَجْ لكمْ غلمانَ اشأمَ كلهم كأحمرِ عادٍ ثم تُرضِعْ فَتُفْطِمِ

قائلين : (ان ثمود لا يقال لها عاد ، لأن الله عز وجل انما نسب قدارا الى ثمود » (٧٩) كما خطأوا قوله :

يخرجْن من شَرَباتٍ ماؤها طحل على الجذوعِ يَخَفْنَ الغم والغرقا

قائلين : « ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق (٨٠) » وهذا خلاف الواقع .

انهم — كما يبدو من نقدهم لشعره هنا — لا يفرقون كثيرا بين الصدق الحقيقي والصدق الفني . فالشاعر — فنيا — لا يتقيد بسرد الواقع كما كان وانما كما يمكن ان يكون من جهته ؛ ومن هنا لا يعيب زهيرا ان وضع (عاد) بدلا من (ثمود)،لأنهما في خياله ترمزان الى معنى ذهني واحد هو الشر الرابض في الأرض ؛ ومن هنا اصبحت الواحدة تعني الثانية عنده .

كما لا يعيبه أيضا أن خالف المفهوم السائد في تفسير خروج الضفادع من الماء،لأنه وهو ينظم القصيدة التي منها البيت،اراد هذا التفسير لحاجة خاصة به . فالذي يجب أن يحاسب عليه الشاعر هو مدى ارتباط الجو الذي يستحدثه بدوافعه ومواقفه ؛ اذ لا بأس حينئذ من تحوير الواقع او استبداله بواقع جديد يخترعه خيال الشاعر وعواطفه . ان عدم وضوح هذا المفهوم في اذهان كثير من النقاد الذين درسوا زهيرا هو الذي، دفعهم الى محاكمته على أساس محاكاة الواقع ، وبالمعنى الحرفي لهذه المحاكاة، فأخطأوا في احكامهم النقدية عليه .

---

٧٩ — طبقات فحول الشعراء / ٧٣ والموشح / ٥٦ .

٨٠ — كتاب الصناعتين / ٧٢ .

- ٤ -

هذه صورة متكاملة لزهير الانسان وزهير الشاعر ، وهي صورة تحوي مضمونا واحدا هو « السمو » : فلقد كانت افكاره ومواقفه الاجتماعية تصدر عنه وتهدف الى انجازه على مستوى العصر كله، فبالسمو — كما عبر زهير في شعره مرارا — يعرف الانسان موقعه من الحرب والسلام ، وبه ايضا يدرك ابعاد ايجابيته في تفاعله مع غيره ممن يؤلفون معه وحدة اسمها المجتمع المتكامل . وكان ايضا يطبّق السمو في خلقه . يُرْوَى انه كان يقول : ما انا بأشعر من النابغة . (٨١) ويروى ايضا انه كان محبوبا ومحترما ممن عرفه (٨٢) . كما كانت مناهجه في الابداع الفني تتصف بالسمو ايضا ، فاذا وعينا ان السمو الفني يعني النتيجة التي يتوصل اليها شاعر يجتهد في تعمق تجربته واتقان وسائل فنه حتى تخرج، حين تخرج ، وهي صاعدة الى قمم الابداع، ومتجاوزة كل ما قد يسمها بالابتذال والسوقية ، ادركنا كم كان حظ زهير من السمو الفني عظيما .

ان احساسي بصفة السمو في شعره فكرا وفنا هو الذي دفعني لاطلاق لقب (شاعر السمو) عليه ؟ فزهير شاعر متميز باخلاصه لعصره واخلاصه لشعره ، لذا فهو ما زال بحاجة منا الى دراسة جديدة واعية هادئة تستقصي شعره وتستخرج منه كنوزه الثمينة .

د. عبد القادر الرباعي

---

٨١ — شرح ديوان زهير / ٣٢٦

٨٢ — خزانة الادب ٤/ ١٥٠ وذيل الامالي /٢٣ وديوان كعب بن زهير/٢٦

تعليقات
و
مُناقشَات

ذيول وملاحظات

للمهندس حاتم غنيم

ما كنت اظن انني ساكتب يوما معقباً على قول قائل او بحث باحث؛ فما بي تتبع السقاط،ومعرفتي بنفسي تمنعني من ذلك • غير انني طالعت في العدد الاخير من مجلة المجمع اقتراحاً للاستاذ عيسى الناعوري بشأن ايجاد مرادف لكلمة « تين ايجرز » الانكليزية ، معلّقاً على بحث للدكتور ناصر الدين الاسد نشرته المجلة في عددها الاول ؛ وكنت أثناء مراجعتي للبحث هذا دوّنت ملاحظات لي تتعلق بالمسألة نفسها ، جرياً على عادتي في كتابة تعاليق هامشية ارجع إليها عند الحاجة ؛ فارتأيت،وقد طرق الموضوع مجدداً،ان أنشرها،عسى ان تفيد او تقود الى نقاش يجرّ منفعة . ثم عزمت على ان اجمع حواشي اخرى كنت ذيّلت بها بعضاً من المقالات المنشورة في اعداد المجلة ، لعلّ البحث يكون اوسع ، والفائدة اعم . .

وقد توخيت ان ابدا ببحثي المنشور في العـــــدد الثاني ص ٧٩ (استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب « شعراء عباسيون ») حتى يصدق القول : من ساواك بنفسه فما ظلمك . ولن اعرض للأخطاء الطباعية التي حَرَّفت من النصوص المستدركة بعضاً ، فتلك تسهــــل معرفتها إما بديهة او بالرجوع الى المصادر المذكورة ؛ ولكنني سأنشر هنا نصّين لسلم الخاسر فاتني ادراجهما ، إذ لم اطّلع عليهما إلاّ بعد ان كنت ارسلت بحثي للمجلة . والمقطوعتان هما :

ا ــ تخريجها : كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار (لمحمد بــن

عبد المنعم الحميري ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، منشورات مكتبة لبنان ١٩٧٥) ص ٤٣٧ (من السريع)

١ ــ ان المنايا ، وهي غــدارة ‏ صادت حسينا ثانيا يوم فخ

٢ ــ اوقد ناراً خابياً ضوؤهــا ‏ لم يُغنِ للايقاد فيهــا بنفخٌ

٣ ــ كبيدق لم يحمِـــهِ شاهــد ‏ فشَتَّجَتْه ضربةٌ شـاه رخْ

ب ــ تخريجها : غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة (لبرهان الدين الوطواط ، الطبعة المصورة نشر دار صعب ــ بـيروت) ص ٢٥٢ (من مجزوء الكامل)

١ ــ يا ايّهـــا ألمُلِـك الـذي ‏ اضحـــى وهمّتـــه المعالي

٢ ــ انت المنــــوّه باسمـــه ‏ عنـــد الملمّـــات الثقالِ

٣ ــ ثـــم الـــذي امـــواله ‏ عنـــد المحامـــد خير مالِ

للـــه درّك مـــن فتـــى ‏ ما فيــك من كـــرم الخلالِ

٤ ــ يحيى بـــن خالـــدٍ الـــذي ‏ يعطـــي الجزيـــل ولا يبالي

اعطـــاك قبـــل سؤاله ‏ فكفـــاك مكروه السؤالِ

ملِكٌ خـــلا مـــن مالـــه ‏ ومـــن المروءة غـــير خـــالِ

واذا رمـــاك بموعـــد ‏ كان النـــوالُ مـــع المقـــالِ

(بزيادة اربعة ابيات على المقطوعة ٤٠ ص ١١٠)

ثم يجدر بي ان اشير الى ان القطعة (ي) من النصوص التي جمعتها لسَلْم تُرْوَى لأبي العتاهية في الأغاني (٤/٨٢) والمستطرف (٢/٧٢) وثمار القلوب (٣٥) وبهجة المجالس (١/١٨٥) مما يرجح انهاله .

أما الحاشية الثانية فقد تتبعت فيها ما كتب الاستاذ روكس بن زائد

العزيزي في العدد الثاني والعدد المزدوج (٣ ــ ٤) بشأن كلمتي كيمياء وكهرباء والنسب اليهما ؛ وما جاء في تعليق الدكتور ف . عبد الرحيم عن الكلمة الأخيرة . وانه لمن اللافت للنظر والداعي الى الاستغراب ما استغرقه هذا الموضوع من نقاش وبحث ، بداه منذ اكثر من اربعين عاما الأب انستاس ماري الكرملي ، اذ كتب مقالاً نُشر في الجزء الخامس من مجلة مجمع اللغة العربية المصري انهاه بقوله : إنه «لم يبق شك في ان الكيمياوي والكيماري من اصح الكلام واقومه واصدقه رواية وموافقة لكلام الفصحاء والبلغاء » . وكان ان اصدر المجمع في الجلسة الخامسة من الدورة السادسة (سنة ١٩٣٨) قرارا نصه : « يقال في النسب الى كيمياء : كيمياوي وكيماوي »ثم قدّم الامير مصطفى الشهابي بحثًا في النسب الى كيمياء ونحوها من الاسماء الممدودة المعربة الى المجمع نفسه في دورته الخامسة عشرة ، ورات لجنة الاصول آنذاك (سنة ١٩٤٩) انه « يجوز في النسب الى كيمياء اثبات الهمزه وقلبها واواً ، ولكن القلب اولى » . ثم اعيد بحث هذا الموضوع في الجلسة التاسعة من الدورة الخامسة والثلاثين المنعقدة سنة ١٩٦٩ ، وانتهى المجمع المصري الى جواز النسب الى كيمياء باثبات الهمزة ، وبهذا « قطعت جهيزة قول كل خطيب » ، واصبحت تخطئة الاستاذ العزيزي للدكتور بدران غير ذات موضوع .

ولو سلكنا عند دراسة النسب الى كلمة كهرباء النهج الذي طرقه المجمع حين توصّل الى قراره المذكور ، وقَمِين بنا ان نفعل ذلك ، لعَلِق بظننا ان تكون الهمزة فيها للالحاق (الحاقاً ببرنساء وعقرباء) ، وذلك لاستبعاد كون الهمزة للتأنيث ، لان مذهب البصريين يرى هذه متفرعة عن الف التأنيث المقصورة . ومن المحقق ان الالف في كهرباء ليست للتأنيث ، وفي هذه الحالة يجوز ابقاء الهمزة او قلبها عند النسب . فلا نقول غضاضة اذن في ان نقول كهربائي ، فلا يمجها الذوق ، كما نقول كهربي وكهرباوي

وكلها جائزة .

بعد هذا سأتطرق الى البحث الخاص بالمقرنسات وأصل اشتقاق لفظها . وقد ابعد الاستاذ عيسى الناعوري مرماهحين قدر أن أصل المقرنسات من كلمة Corpus اللاتينية ، فالكلمة لا تعني الجسمبل الجسد، وشتّان ماهما ؛ كما أن القرنسة لاعلاقة لها بالتجسيم ، بل هي معالجة زخرفية لابراز جمال العنصر الانشائي عند الانتقال من الاتجاه العمودي الى الاتجاه الأفقي ، وتكون عادة ذات شكل مدرّج أو سلّمي ، مكوّن من منحنيات متقعّرة او مسطّحة . ولكن من اراغ التشابه الصوتي وجده . وهل نستطيع أننجزم بأن الطاولة والطبليّة وكلمة Table الانكليزية ورديفتها الفرنسية ذوات اصل لغوي واحد ؟ . . لذلك فأنا الى ترجيح ما جاء في التكملة والتاج عن كلمة القرنسة اميل • ونحن بمندوحة عن الاهتمام بالاصل،أكان من القرناس أم من أصل اغريقي او لاتيني . وقد كنت نظرت في أصل كلمة Cornice الانكليزية ، وهي تعبّر عن زخرفات ناتئة فوق تيجان العمدان ، فوقفت على أنها اشتقت من الكلمة اليونانية Koronis والتي تفيد الانحناء ؛ أفلا يجوز أن تكون هذه أصلا للمقرنسات ، كما تكون كلمة Curvus اللاتينية ، والتي تفيد الانحناء أيضا ، أصلا للمقربسات ؟ ولعل اختلاف اللفظين يفسّر اختلاف اللفظ بين المشارقة والمغاربة . .

واختتم هذه الملاحظات بما جاء في الاقتراح المقدم من الاستاذ عيسى الناعوري عن استعمال كلمة (عَشَريين) كمرادف لكلمة(تين ايجرز) الانكليزية . والكلمة المقترحة لا شك خفيفة الوقع تتقبّلها الأذن ، ولكنها لا تماثل الانكليزية تماما . فهذه الأخيرة تشمل الأعمار من ١٣ الى ١٩سنة، في حين تشمل الكلمة المقترحة من هم بين العاشرة والثالثة عشرة أيضا . وليست العبرة هنا في زيادة الشمول او نقصه ، ولكن المرحلة المعنية

بالكلمةيقصد بها مرحلة تكوينية ونفسية خاصة ، لايمكننا ادراج من هم في العاشرة مثلا ضمنها . واللغة العربية واسعةويمكننا ان نجد اكثرمن كلمة تلائم هذه المرحلة ، مثل يفعة ومراهقين . وانا لا اجد ضرورة لالتزام كلمة رقميّة كي تعبّر عن مرحلة من النضج ، إذا امكننا التعبير عنها بكلمة وصفيّة توضّحها .

ثم يتطرق الاستاذ الناعوري الى انه « يمكن ان يقال لمن هم في سن العشرينات او الثلاثينات : العشرينيون أو الثلاثينيون .. الخ » بينما يذكر ابن سيدة في المخصص (حـ ١٧ / ١١٨) في باب النسب الى العدد انك « إذا نسبت الى عشرين تقول هذا عِشْريّ وثلاثيّ الى آخر العدد .. »وانما فعلوا ذلك لئلا يجمعوا بين إعرابين . اما اذا اردت النسب الى ثلاثة فتقول ثُلاثيّ . وربما دفعنا هذا للانتهاء الى ان الاصح ان نقول : « سنوات عِشريّات وثلاثيّات » بدلاً من السنوات العشرينيّات والثلاثينيّات ، رغم ماذكره الدكتور الاسد في مقاله عن قرار مجمع اللغة العربية المصري بهذا الصدد.

ارجو الاّ اكون اطلت وابرمت ، كما ارجو الاّ اكون فرّطت او افرطت ، وعذري في ذلك حبي لهذه اللغة الشريفة ،وقانا الله من السرف والشطط ، والله من وراء القصد .

المهندس هاشم غنيم

عشمرون مقابل (تين ايجرز)

جلب نظري تعليقكم على لفظ « تين ايجرز » وقتراحكم «عشريون» لها ؛ لا بأس به قياسا على العشرينيين والثلاثينيين (العشرينيون او الثلاثينيون) وشيخ ثمانيني أو تسعيني .

لكن جلب نظري ايضا ان « تين ايجرز » تختلف عن بعد العشرين حتى في اللغات الاجنبية هنالك شبه اتفاق مع العربيات كما في twenties او thirties ، الخ .

وحين قلبت صفحة المجلة قرات تعليق الدكتور خيري الصغير النحتي فعاد فكري الى teenagers للتوّ بسؤال لماذا لا ننحت من عشر teen — التي تتكرر (في طعشر الاردنية السورية الفلسطينية) ومن age « عمر » لنحصل على عشمري ؟ وال teenagers هم العشمريون — ترفع وتجر وتنصب كما في جمع المذكر السالم ،

فالكلمة حلوة ومع التكرار ستجري على الالسن بمقبولية ، ثم انها على وزن عَشْمَرِيّ — من يركب راسه في الحق والباطل لا يبالي ما صنع او من ياتي الامر من غير تثبت — (١)

وكلتا الصفتين كما ترون ليست غريبة (أو ليستا غريبتين ان شئت) عن واقع العشمريين . » .

أحمد الخطيب

---

١ — محيط المحيط كلمة (عشمر)

حول كتاب "حساب التفاضل والتكامل"

للاستاذ محسن الكرمي

نظرت نظرة سريعة في هذا الكتاب ، ولي المام لا بأس به بهذا البحث من الرياضيات . وفيما يلي بعض الملاحظات :

١ – كلمة "الاقتران" لترجمة كلمة Function غلط ، لان Function في الاصل معناها كمية تابعة ، ثم صارت بمعنى معادلة فيها كميتان ، احداهما Independent Variable أي متغير والثانية Dependent Variable أي تابعة أو لازمة ؛ ومثال ذلك : ع = ٣س فان (س) هو ال Variable و (ع) هو ال Dependent Variable . فبين الكميتين تلازم وليس تقارن . واستعمال التقارن في هذه العلاقة غلط . والتقارن في الزواج والفلك معناه الاجتماع ، كالتقارن بين الاصدقاء ، وأين معنى التلازم في هذا ؟ ونظرة الى القاموس ، في مادتي (قرن) و (لزم) تكفي لايضاح الفرق .

٢ – كلمة (نهاية) لترجمة Limit غلط ، لأن معنى Limit في حساب التفاضل والتكامل هو الحد الذي تؤول اليه نسبة ما عند الاقتراب من كمية ، كالصفر او ما لا نهاية ، وهذا لا يحتاج الى زيادة تعريف . فمعنى Limit هنا وفي نسبة التفاضل مثلا $\frac{dy}{dx}$ هي كمية هذه النسبة في مآلها إذا اقتربت الكمية المتغيرة من قيمة معينة، وهي الصفر هنا . وفي الانكليزية فرق بين end و Limit.

٣ – لا حاجة الى استعمال (ظل) عند الكلام على مماس الزاوية في

مثلث قائم الزاوية ، لأننا لو رسمنا دائرة على هذا المثلث وكان أُحـــد الضلعين القائمين نصف وتر، واعتبرناه بأنه يساوى (١) ، لـكان الضلـع الثاني المقـابل للزاوية مماســاً . وأنا اقترح استعمال مماس للطرفـين ، ولو أن العـرب قديماً استعملوا الظل .

٤ – جيب التام وتام الجيب واحد ، وكذلك قاطع التمام وتمـــام القاطع، وهكذا . فتمام الجيب هو (تجيب) ولا حاجة الى (جتــا) المصرية ، ولا الى امثالها مثل : ظتا .

٥ – يوجد تنافٍ في المصطلحات بين ما هو مذكور في متن الكتاب ومـا هــو مذكور في جدول المصطلحات الملحق بالكتاب ، ويكفي أن أورد بعض الأمثــلة :

Discontinuous مستعمــلة (منفصل) في الكتاب و (منقطــع) في الجدول . Intermediate مستعمل (وُسطى) في الكتاب و (متوســطة) في الجــدول .

٦ – لا يوجد تساوق بين المصطلحات ؛ فكلمة Series مذكورة بكلمة (متتالية) ثم ذكرت (متسلسلة) في مقابل Series Solution .

٧ – ترجــة كلمة Elliptic بكلمة (ناقِصـي) على أُســاس القطــع الناقص، خطأ ، وكان الأفضل أن يقال اهليلجي .

٨ – لم اجد فرقاً بين Compound و Complex ، ولا بــين Inverse مثــلا و Opposite او Reversed ؛ وInverse هـــو المنكوس وليــس المعكوس .

٩ – كلمة Interval مترجمة بكلمة (فــترة) وهذا غير صحيح

اما ما جاء في المجلة من تسويغ بعض الاستعمالات العامية ، فأن الأمر لا يجوز بالتصويت .

وأهم شيء هو السعي لتحديد معاني الكلمات العربية ، وازالة التشويش في القواميس العربية ؛ وهذا ما فعلته في قاموسي (الهداية) الذي سيصدر عن قريب بأذن الله .

حسن سعيد الكرمي

حول كتاب "حساب التفاضل والتكامل"

رد الدكتور أحمد سعيدان

لقد اتيح لي ان التقي بالأستاذ ابي زياد ، الصديق المخضرم ، في عمان ، وان ابحث بشيء من التفصيل في امر تعليقاته ؛ ولكن بما ان المجمع قد راى نشر هذه التعليقات فمن حق القراء عليّ ، ومن حق زملائي المترجمين ، ان اقدّم ردي للنشر ، ولو من قبيل « قول على قول » الذي به اشتهر صديقنا ابو زياد .

١ ــ كلمة Function ،بمفهومها الحديث في الرياضيات، تتضمن بالضرورة تناظراً بين متغير رئيس ومتغير آخر ، او متغيرات . فترجمتها بالاقتران لاغلط فيها . ولعل الأستاذ أبا زياد يقلل من وصف الترجمة بأنها غلط ، كأن يقول : إنها غير موفقة ، مثلا . والمصطلحات العلمية ، كالمفاهيم ، يعتريها مع تطور المعرفة تغيّرات في الدلالة ، فما كانت تتضمنه كلمة Function قبل خمسين عاما غير ما تتضمنه اليوم . لهذا نرى ان المصطلح العلمي إنما هو من قبيل التسمية : تسمى المفهومة باسم ما ، فيكون هو المصطلح ، ثم تحدد صفاتها وخصائصها ، فتصبح هي صفات المصطلح وخصائصه . اما الاسم ذاته فقد يدل على هذه الصفات ، كلها او بعضها ، وقد لايدل على اي شيء منها .

٢ ــ كلمة Limit ترجمت في العراق بكلمة « غاية » ، وترجمت في سائر العالم العربي بكلمة « نهاية » ، وما من (غلط) في اي من الترجمتين ، فكلاهما اسم لمفهومة تحدد صفاتها وخصائصها في سياق

البحث ؛ والاسم يوحي باكثر هذه الصفات . ولعل كلمة « مآل » اقرب الى المعنى المقصود من النهاية والغاية . ولكن لم يستعملها احد ، علـــى مانعلم ، كاصطلاح يقابل كلمة Limit

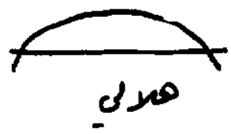
٣ ، ٤ ــ ابو زياد جافاه التوفيق في امر الظل والمماس : فنحن نفهم أن يكون للمنحنى مماس ، ولا نفهم كيف يكون للزاوية مماس . امــا ظــل الزاوية فاصطلاح علمي لمفهوم معروف ، بينه وبين ظلال الاشياء علاقــة وثيقة . وهو اصطلاح عربي اصيل يدل على مفهوم اخطأ الغربيون فهمــه، فسموه Tangent ، واليوم يريدنا ابو زياد ان نقع في الخطأ ذاته ، وندير ظهورنا للاصطلاح العربي .

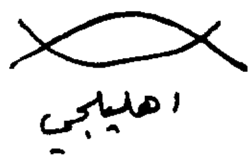
وكذلك جافاه التوفيق في امر جيب التمام وتمام الجيب. هنالك تمام واحد هو تمام الزاوية ، اي متممتها الى ٩٠°. وللزاوية جيب هو جا ، ولتمامها جيب هو جيب التمام جتا . اما « تجيب » الذي يقترحه أبو زياد فغلط ــ وليسمح لي باستعمال لفظ نهيت عن استعماله ــ ذلك أن«تجيب» توحي بالتجيُّب،بتشديد الياء ؛ وما في الاصطلاح شيء من هذا القبيل .

٥ ، ٦ــ مايسميه الاستاذ الكرمي تنافياً في المصطلحات إنما هـــو ترادف ؛ فكلمة discontinuous ، مثلاًتترجم الى منفصل أو منقطع. إذ قد راينا أن نستعمل اللفظين بمعنى واحد ، والزمن كفيل بأن يقـــرّ منهما ما يقرّ ، ويزيل مايزيل . ومثل هذا ينطبق على متسلسلة ومتتالية .

٧ ــ كلمة elliptic ترجمت الى ناقصي،لأن العـــرب سمّوا ال ellipse بالقطع الناقص،فترجمنا elliptic وellipsoid بالناقصي . واذا كان ابو زياد يصف هذا الاصطلاح بأنه خطأ ، فبماذا نصف الاهليلجي؟ هل الاهليلجي يحمل لقارىء اليوم أي معنى من المعاني ؟ لقد استعمـــل العرب الهلالي والاهليلجي للدلالة على شكلين كالتاليين يحدهما قوســـا

دائرتين





وواضح ان ليس اي منهما مماثلا للشكل البيضوي الذي نسميـــه ellipse أو elliptic .

٨ ــ نوافق ابا زياد في اننا لم نفرق بين Compound و complex ، وبين اصطلاحات اخرى متقاربة . اننا انما بدأنا السير في طريق طويل شاق ، ولا ندّعي اننا بلغنا نهايته، او ان محاولتنا بلغت الكمال . فما لـم نبلغه في اول الطريق سيبلغه غيرنا فيما بعد .

٩ ــ كلمة "فترة" اردناها ان تكون اصطلاحا رياضيا ، يشمل الفترة الزمانية والفسحة المكانية ، ويتجاوزهما الى اي قيمتين مقيستين او غير مقيستين ، مما يتخذه المتغير من قيم .

وفي الختام ارجو ان يجد الصديق ابو زياد في ردي من المتعة مثل ما أجد في تعليقاته .

الدكتور أحمد سعيدان

حول كتاب
"مصطلحات التجارة والإقتصاد والمصارف"
للاستاذ عبد الرزاق الجزار

لقد اكملت قراءة كراس (مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف) الذي أصدره مجمعكم الموقر ، وقد وجدت انكم ترحبون بكل ملاحظة او تصويب يصل اليكم ، كما ورد في الصفحة الثانية من المقدمة حيث ذكرتم بالنص :

(واننا لنرحب بكل ملاحظة او تصويب او تعديل يصل الينا).

وعلى الرغم من اهمية الجهود المشتركة الموفقة التي بُذِلَت في سبيل إصدار هذا الكرّاس ، إلاّ اني ارى (وقد اكون مخطئا فيما ارى) أن بعض المصطلحات العربية المستحدَثة إزاء المصطلحات الانكليزية تتطلّب تبديلا أو تعديلا .

ولي الشرف العظيم أن أحصر هذه الملاحظات بالضميمة المرفقة طيا.

آملا أن اكون قد اسهمت في تلبية ندائكم الكريم المنوّه به في اعلاه، خدمة للغتنا العربية الشريفة ، لغة القرآن الكريم .

والله الموفق .

١ ــ إنّ اول ما يلفت الانظار هو عنوان الكراس ، اذ ورد باسم (مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف) . فقد أوردتم التجارة وعطفتم عليها الاقتصاد ، وكلتا الكلمتين مصدر للفعلين (تجر) و (اقتصد) ، ثم عطفتم عليهما كلمة المصارف ، ويدلّ بناؤها على أنّها جمع (مصرف) ؟ وكان الأحرى ان يعطف عليهما (الصيرفة)او (الصرافة) ، اي ايراد صيغة المصدر لا صيغة الجمع .

٢ ــ نلاحظ انه طُبع على الغلافين الخارجي والداخلي تاريخ اصدار الكراس . فقد ذكر تاريخ صدوره أو تاريخ طبعه في شهر جمادى الثانية سنة ١٣٩٩ هـ . ولم يرد في كتب العربية هذا الشهر بهذا الاسم . اذ تذكر لنا المعجمات العربية المعتمدة أن اسمه (جُمادى الاخرة) وليس (جمادى الثانية) .

٣ ــ وقبل أن أفارق غلاف الكراس الجميل ، هنالك ملاحظة أخيرة ؛ فقد طبع عليه اسم (المملكة الاردنية الهاشمية) و (مجمع اللغة العربية الاردني) . وكلتاهما وردتا بتخفيف النون . والصواب أن تكون نونهما مشددة، على أرجح الاقوال .

قال ابو دَهْبَل بن قُرَيع بن كعب بن سعد :

حَنَّتْ قَلُوصي امسِ بالاردنّ ... حِنّي فما ظُلِمْتِ إن تحنّي

الخ ..

الصفحة (٣)

٤ ــ (شرط أو فترة التعجيل) المصطلح Acceleration Clause بدلا من (بند التسارع) ؟ لان البند كلمة ليست بعربية ، بل هي فارسية؛ وان وردت في معجمات اللغة العربية المعتمدة ، فتعني المعلم الكبير . امّا تفضيلي : التعجيل على التسارع ، فعلى الرغم من أن كلتا الكلمتين عربيتان ، فالمعنى المؤدّى من التعجيل اقرب الى المقصود.

٥ — (كمبيالة مجاملة) Accommodation Bill ولا ارى لزوما لذكر اعادة التوقيع بازائها ، لان ما ينصرف الى الاذهان من المصطلح الانكليزي موضوع البحث باللغة العربية هو كمبيالة مجاملة .

٦ — مدير — وصي على تركة — وكيل التفليسة — لمصطلح Administrator بدلا من اقتصارها على وكيل التفليسة

الصفحة (٤)

٧ — (سيارة مدرعة) لمصطلح Armoured Car بدلا من (سيارة مصفحة) . وخاصة ان ذلك منصوص عليه في المعجمات العسكرية المعتمدة .

٨ — (مراجعة الحسابات) لمصطلح Audit بدلا من (تدقيق الحسابات) وخاصة أن الأوساط الحسابية في معظم البلاد العربية تستعمل كلمة (مراجعة)بهذا المآل . اما تدقيق الحسابات فيقابلها باللغة الانكليزية مصطلح check

الصفحة (٥)

٩ — دَيْن ميّت — دين هالك لمصطلح Bad Debt ؛وقد آثرت ذكر مصطلح عربي ثان (ميت) لكثرة شيوعة في الأوساط التجارية والاقتصادية والحسابية من جهة ، ولتطابق المعنى المقصود مع هذا المصطلح .

الصفحة (٦)

١٠ — (رواج) لمصطلح Boom بدلا من (طفرة اقتصادية) .

الصفحة (١٠)

١١ — (صك حاجز) أو(الصك الحاجز) بدلا من (صك الحاجز) لمصطلح Counter cheque

١٢ ــ (موظف حاجز) أو (الموظف الحاجز) بدلا من (موظف الحاجز)
لمصطلح Counter Clerk

١٣ ــ شرط استعمال القوارب وما يماثلها،لمصطلح Craft and sea clause
بدلا من شرط الصندل (الماعون) الذي ينغلق فهمه على معظم
المواطنين في البلاد العربية .

الصفحة (١٣)

١٤ ــ انخفاض سعر العملة ــ استهلاك الأصول ــ استهلاك ــ لمصطلح
Depreciation .ولا ارى موجبا لذكر كلمة اهتلاك الأصول .
لان الاهتلاك ينسحب الى معنى آخر لايتفق والمصطلح الانكليزي .

الصفحة (١٥)

١٥ ــ وفور خارجية،لمصطلح External Economics ،بدلا من (وفورات
خارجية).لأن مفردها (وفر) وجمعها وفور لا وفورات .

الصفحة (٢٩)

١٦ ــ المصغّر الفيلمي لمصطلح Miccrofilm بدلا من (ميكروفلم) . لانكم
باستعمالكم نفس المصطلح الانكليزي ، كأنكم لم تضعوا مصطلحا
يقابله بالعربية أو هو قريب منها .

الصفحة (٣١)

١٧ ــ كِشْفَة او بَتْكَة-لمصطلح Scrap بدلا من (خردة) التي هي كلمة
فارسية صرفة .

الصفحة (٣٢)

١٨ ــ (فرق بين سعرين)-لمصطلح Spread ؛ تلاحظون انها مكونة من

مجموع كلمات اقل من مجموع الكلمات الموضوعة من قبل المجمع (الفرق بين سعر البيع والشراء) وتؤدي الى المعنى المقصود .

الصفحة (٣٤)

١٩ ـــ اذون خزينة ـــ حوالات خزينة ـــ لمصطلح Treasury Bills لأن بعض الأقطار العربية اعتادت على استعمال المصطلح العربي الثاني لها . واني أميل الى ترجيح الحوالات على الأذون لالتصاقها بالمعنى المقصود .

٢٠ ـــ (اموال ائتمان)- لمصطلح Trust Funds ولا أرى اقحام (الوقف) كمرادف لها . لان الوقف له أحكامه في الشريعة الاسلامية ، ولا يوجد في القوانين الوضعية . بحيث ان المعنيّين في القضايا العامة اقتصروا على ترجمة كلمة وقف الى اللغة الانكليزية بنفس لفظها العربي (wakf)

اكتفي بايراد هذه الملاحظات المتواضعة ، وهي حصيلة دراسة سريعة لمصطلحات الكراس ، قد اكون فيها مصيبا ، وقد اكون مخطئا ! فاذا أصبت فلي اجران ، اما اذا كنت مخطئا فلي اجر واحد،كما يقول الفقهاء .

آمل ان اكون قد اسهمت في تلبية النداء الموجه منكم بخصوص ابداء المقترحات.

وتفضلوا بقبول فائق تقديري واحترامي .

عبدالرزاق الجزار

مصطلح "حاجز للخدمة" مقابل (كاونتر)

كان مجمع اللغة العربية الاردني في احدى جلساته عام ١٩٧٩ قد قرر استعمال مصطلح « حاجز للخدمة » مقابل المصطلح الانكليـــــــــزي Counter ، وقد عممه وزير المواصلات السابق ، الزميل الدكتور سعيد التل، على دوائر البريد لاستعماله بدلا من المصطلح الاجنبي ، كما كتب بذلك الى الاتحاد البريدي العربي . وقد اعترضت على هذا المصطلـــــــح وزارة المواصلات العراقية الشقيقة ، وكتبت بذلك الى الامانة العامة للاتحــــاد البريدي العربي ، ونقل الاتحاد اعتراضها الى الاردن ، ووصل الــــى المجمع .

وفي ما يلي صيغة الاعتراض العراقي ، ننشرها لأجل تبادل الآراء في الموضوع ، توصلا الى المصطلح الاصح :

آد /١/١٢/٩٢

الامانة العامة للاتحاد البريدي العربي

٥٢ نهج ابن شرف ـــ تونس ـــ الجمهورية التونسية

م / استخدام عبارة (حاجز للخدمة) بدلا من كلمة (كاونتر)

تحيـــة طيبة ،

يشرفنا الاشارة الى نشرتكم المرقمة ٧٩/٣٧ والمؤرخة في ١٩٧٩/١١/٦

بخصوص استخدام عبارة (حاجز للخدمة بدلا من كلمة كاونتر) التي أقرها مجمع اللغة العربية الاردني، ولدى دراستنا لهذه التسمية الأردنية من الجوانب الواقعية والفنية واللغوية وجدنا أن لفظة (حاجز) لا تنطبق على المعنى الواقعي (العملي) واللغوي للتركيبات المشيّدة أو المنصوبة كمواقع لأداء الخدمات البريدية في مداخل المكاتب البريدية، أو ما يطلق عليها تسمية (شباك او شبابيك البريد) ؛ ذلك لأن هذه التركيبات المستطيلة غالبا ما تقسم الى عدد من النوافذ (شبابيك) لتؤدي كل نافذة منها خدمة من خدمات المكاتب، حسبما يُمليه تعدد الخدمات وحجمها. وعلى ذلك فاننا نسمي النافذة باسم الخدمة التي تؤدى عليها، فنقول: (نافذة او شباك الطوابع) ، و (نافذة او شباك المسجلات) ، و (نافذة او شباك التوفير) . اذن فان هذه التركيبات ليست مجرد حاجز او حواجز بين موقع وموقع، او بين موظفي الخدمات البريدية وطالبي الخدمات ، بل انها اجهزة مركبة ومعدة لأداء الخدمات من الموظفين ، الى المواطنين ..

وهذا هو البعد العملي والواقعي لها .. ومن الناحية اللغوية فان جملة شباك البريد بالانكليزية Post Office counter افرزت التسمية اللاتينية المختصرة (كاونتر Counter ، وشاعت على السن الموظفين البريديين العرب اقتباسا من زملائهم الأجانب، الذين كانوا يعملون في ادارات البريد العربية في بدايات تأسيسها وعندنا في العراق، ومنذ فترة عربت هذه التسمية بعد الرجوع الى جذورها اللاتينية والعربية، فأطلقنا على التركيبات المستطيلة التي تنظم مجموعة شبابيك الخدمة البريدية باسم (المحسب)؛ وهي ترجمة حرفية ومعنوية ومشتقة من الكلمات (حساب account) و (محاسبة accounting) و (محسب / شباك بريد Post Office counter) وعليه فان التسمية (المحسب) التي نستخدمها في العراق هي التسمية الواقعية واللغوية لهذه التركيبات التي تكوّن شبابيك البريد في المكاتب، وان التسمية الاردنية (حاجز) أو (حاجز

للخدمة) لا تنطبق على الواقع عمليا ولغويا،فالحاجز بالفرنسيـــــــــة obstacle/Barriere/Barraie هو السد / المانع / العائق .

راجين التفضل بالاطلاع،وتعميم هذه التسمية على الادارات البريدية الأعضاء في اتحادنا البريدي العربي .

ننتهز هذه المناسبة لنعرب لكم عن أطيب امانينا .

المدير العام

لهيئة البريد

نزار توفيـــق محمد

تعليق المجمع

ويرى المجمع أن المصطلح الذي تقترحه وزارة المواصلات العراقية ــ وهو : المحسب ــ كان يصح لو ان الحاجز ــ او الكاونتر ــ كـــــان للحسابات او للمحاسبة ، ولكنه في الواقع ليس كذلك ؛ بل هو لتأدية خدمات متعددة للمواطنين : من بيع الطوابع ، الى البرقيات ، الى معاملات التوفير البريدي ، الى تسليم الرسائل المسجلة ، الى تسليم الطرود ، الى امور اخرى متعددة . ومن هنا كان اقتراح المجمع استعمال مصطلح « حاجز الخدمة » لشمول كل الخدمات التي يؤديها موظفو الحاجـــــز للجمهـــور .

والمجمع يرجو أن يعرف راي المجامع الشقيقة في هذا ، لتوحيـــــد المصطلح في العالم العربي ، بدلا من الاستمرار في استعمال المصطلح الاجنبي الذي لا مبرر له .

(المحرر)

أخبار مجمعيّة

أعضاء مؤازرون في مجمع اللغة العربية الأردني

قرر مجلس مجمع اللغة العربية الاردني في اجتماعه السابع والأربعين ، الذي عقده مساء يوم الاحد ١٤٠٠/٤/٢٩ هـ . الموافق ١٩٨٠/٣/١٦ م . تعيين أعضاء مؤازرين للمجمع من البلدان العربية الشقيقة ومن المستشرقين البارزين .

وكان المجمع العلمي العراقي قد قرر من قبل تعيين جميع أعضاء المجمع الاردني اعضاء مؤازرين فيه ، توثيقا للروابط العلمية والأخوية بين المجامع العربية . ورأى المجمع الأردني اتخاذ خطوة مماثلة ردًّا للتحية العراقية بمثلها ، فقرر تعيين جميع أعضاء المجمع العراقي الشقيق أعضاء مؤازرين فيه ، وعددهم (٣٧) عضوا ، وبذلك بلغ عدد الاعضاء المؤازرين الذين عينهم المجمع الاردني بموجب قراره رقم (٢٨٠٠٠٦) تاريخ ١٩٨٠/٣/١٦ م ستة وخمسين عضوا ، وهذا هو القرار :ـ

القرار رقم (٢٨٠٠٠٦)

بناء على تنسيب المكتب التنفيذي الخطي ، واستنادا الى الفقرة (ب) من المادة (٩) من قانون مجمع اللغة العربية الأردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م ، قرر مجلس المجمع ما يلي :

١ ــ تعيين جميع أعضاء المجمع العلمي العراقي التالية اسماؤهم اعضاء مؤازرين في المجمع الاردني :

١ ــ الدكتور سعدون حمادي
٢ ــ محمود شيت خطاب
٣ ــ عزيز عقراوي
٤ ــ الدكتور احمد سوسة
٥ ــ الدكتور مسارع الراوي
٦ ــ الشيخ عبد الكريم المدرس
٧ ــ محمد بهجت الاثري
٨ ــ موسى عبد الصمد
٩ ــ طه باقر
١٠ ــ الدكتور يوسف حبي
١١ ــ الدكتور محمود الجليلي
١٢ ــ الدكتور ناجي عباس احمد
١٣ــ الدكتورمنذرابر هيمالشاوي
١٤ ــ الدكتور جواد علي
١٥ ــ الدكتور جميل سعيد
١٦ ــ الدكتور عبد العال الصكبان
١٧ ــ الدكتور عبد العزيزالبسام
١٨ ــ سنحاريب (زكا) عيواص
١٩ ــ كوركيس عواد
٢٠ ــ الشيخ محمد الخال
٢١ ــ ضياء شيت خطاب
٢٢ ــ الدكتور جوامير مجيد سليم
٢٣ ــ الدكتور علي المياح
٢٤ ــ يوسف خيدو البازي
٢٥ ــ الدكتور جميل الملائكة
٢٦ ــ الدكتور يوسف عز الدين
٢٧ ــ الدكتور جمال محمد صالح
٢٨ ــ الدكتور زكي صالح
٢٩ ــ الدكتور علي عطية عبدالله
٣٠ ــ الدكتور جابر الشكري
٣١ ــ الدكتور حسن كتاني
٣٢ ــ الدكتور نجيب خروفة
٣٣ ــ ميخائيل عواد
٣٤ ــ الدكتور نوري القيسي
٣٥ ــ الدكتور فخري محمد صالح الدباغ
٣٦ ــ الدكتور كامل حسن البصير
٣٧ ــ اندراوس حنا .

٢ ــ تعيين السادة التالية اسماؤهم من علماء الأقطار العربية الشقيقة ومن المستشرقين الغربيين ، اعضاء مؤازرين كذلك في المجمع :

١ ــ الدكتور عدنان الخطيب	مجمع دمشق
٢ ــ الدكتور شكري فيصل	مجمع دمشق
٣ ــ الدكتور محمد هيثم الخياط	مجمع دمشق
٤ ــ الدكتور علي محمد خسرو	رئيس المجمع العلمي الهندي
٥ ــ الاستاذ ابو الحسن الندوي	عضو المجمع العلمي الهندي
٦ ــ الدكتور مختار الدين احمد	الامين العام للمجمع الهندي
٧ ــ الدكتور احمد محمد سليمان	استاذ في كلية الطب / الجامعة الاردنية
٨ ــ الاستاذ حمد الجاسر	من المملكة العربية السعودية
٩ ــ الدكتور ابر هيم السامرائي	من العراق
١٠ ــ الاستاذ ابو القاسم محمد كرو	من تونس
١١ ــ الاستاذ محمد مزالي	من تونس
١٢ ــ الاستاذ محمود المسعدي	من تونس
١٣ ــ الاستاذ خليفة محمد التليسي	من ليبيا
١٤ ــ الاستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	من الجزائر
١٥ ــ الاستاذ عبد الحميد المهري	من الجزائر
١٦ ــ الدكتور عبد الهادي التازي	من المغرب
١٧ ــ الاستاذعبد العزيز بنعبدالله	من المغرب
١٨ ــ المستعربالاستاذ جاكبيرك	من فرنسا
١٩ ــ المستعرب الاستاذ بيدرو مارتينيث مونتافيث	من اسبانيا

٣ - وتلقى المجمع بعدئذ من المجمع العلمي العراقي الشقيق ، أنه تم تعيين أربعة أعضاء جدد فيه ، هم :

الدكتور احمد عبدالستار الجواري

الدكتور احمد ناجي القيسي

الدكتور محمد حسن آل ياسين

الاستاذ محمد تقي الحكيم

فقرر المجلس في اجتماعه التاسع والاربعين ، والذي عقده بتاريخ ١٢/٦/١٤٠٠ هـ الموافق ٢٧/٤/١٩٨٠ م . تعيين هؤلاء الاعضاء الاربعة اعضاء مؤزرين فيه ، وابلغهم ذلك خطياً .

مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته السابعة والأربعين

عقد مجمع اللغة العربية الشقيق في القاهرة مؤتمره السنوي فـــي دورتـــه السادســـة والاربعين ، وذلك من ٣ الى ٣١/ آذار — مارس — ١٩٨٠ . وقد ناقش المجمع ، جريا على عادته في كل دورة من دورات مؤتمره السنوي ، مئات المصطلحات الفنية والعلمية الحديثة ، واصدر عددا من القرارات في أصول العربية وتيسير النحـــو والاملاء . .

وخلال المؤتمر القيت بحوث في لغة المسرح الحديث ، وفي قضايـــا الشعر العربي المعاصر .

وقد وعد الزميل الدكتور عدنان الخطيب بأن يوافينا ، كالعهد به ، بتقرير واف عن وقائع المؤتمر ، نرجو أن ننشره في حينه .

شفيق جَبري في ذمة الله

ب[illegible]عاء ١٩٧٩/١٢/٢٣ فقدت سوريا علما من اعلام الشعر والأدب ، ودرعا من دروع اللغة العربية ، بفقد شاعر الشام واديبها الكبير شفيق جبري ، كما فقد مجمع اللغة العربية في دمشق عضوا بارزا من اعضائه العاملين المجلّين . وقد نعاه مجمع دمشق ، ووزارة التعليم العالي واسرة التعليم في جامعة دمشق ، ووزارة الثقافة والارشاد القومي، واتحاد الكتاب العرب في دمشق .

ولد شفيق جبري في حي القنوات في دمشق سنة ١٨٩٨ ، في بيت دمشقي عريق ، ونما وترعرع في دمشق ، وفيها نمت شاعريته .وقدعمل في سلك الحكومة ، وفي وزارة التربية والتعليم،كما كان عميدا لكلية الآداب في الجامعة السورية ــ جامعة دمشق اليوم ــ من سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥٨ . وعين عضوا في مجمع دمشق ، وظلّ يكتب في مجلته ويشارك في نشاطاته العلمية حتى في شيخوخته.وقد تجاوز من العمر اثنين وثمانين عامه،وظلّ في وحدته وشيخوخته يقيم في منزله في بلودان صيفا وشتاء .

وعلى الرغم من أنه نظم الكثير من القصائد ، فانه لم يجمع شعره في ديوان ، ولكنه ترك لنا الكثير من المؤلفات النثرية ، منها :

الجاحظ معلم العقل

بين البحر والصحراء

دراسة عن كتاب الاغاني

محاضرات عن محمد كرد علي

ارض السحر (رحلة)

انا والشعر

انا والنثر

لقد فقدت المجامع اللغوية العربية بفقده مجمعياً فذا ، أحب اللغة العربية عمره ، ودافع عنها بشعره ونثره .

ومجمع اللغة العربية الأردني يشارك شقيقه المجمع الدمشقي ، كما يشارك الشعب السوري الشقيق في مشاعر الأسى على الزميل الراحل • وقد بعث رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة بهذه المناسبة برقية التعزية التالية :

الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية

دمشق — سوريا

علمنا متألمين برحيل الزميل المرحوم شفيق جبري . فباسم المجمع الأردني واسمي أبعث اليكم بأحر التعازي ، متمنيا لكم وللزملاء جميعا في المجمع الدمشقي الشقيق طول العمر وخصب العطاء ، وللفقيد الغالي رضوان ربه ، ولذويه الصبر والسلوان .

رحمه الله واجزل ثوابه .

وانا لله وانا اليه راجعون .

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكريم خليفة

البطريرك يعقوب الثالث
والدكتور ميشيل خوري
في ذمة الله

وفقد مجمع دمشق أخيراً عضوين آخرين من أعضائه العاملين ، هما

البطريرك يعقوب الثالث

والدكتور ميشيل خوري

ومجمع اللغة العربية الاردني يتقدم الى المجمع الدمشقي الزميل بالمشاركة القلبية على خسارة هذين الزميلين الكريمين ، رحمهما الله ؛

وحين يسقط واحد من أعضاء المجامع اللغوية ، تخسر اللغة العربية عاملا نشيطاً مخلصاً من ابنائها البررة ، العاملين على عزتها ورفعة شأنها ، وجندياً مناضلا في ميادينها .

عوض الله المجمع الدمشقي الزميل عنهما خيراً ، ليستمر في مسيرة الخير التي سار على دربها ستين عاماً أو اكثر ، لم يعرف غير الجهاد المتواصل من أجل خدمة اللغة العربية .

المصطلحات

التعريف	المصطلح العربي	المصطلح الانجليزي
	زبون	Client Or Customer
انهـــاء معاملة البيـــع .	اقفـال	Close
عقد تأمين يصدر على حياة الاطفال بقصد تكوين ثروة .	عقد مكون للثروة	Estate Builder
مصلحة المسـتفيد وصاحب وثيقـة التأمين في استمرار حياة المؤمن له .	مصلحة تأمينية	Insurable Interest
انتهاء عقد التأمين بسبب عدم دفع الاقسـاط	توقف	Lapse
القـيم التي تحفـظ لصاحب وثيقـة التامين اذا توقف عن دفع الاقساط.	قـيم مصونة	Non-Forfeiture Values.
العمولة المتحققة لرئيس الوكالة ، أو رئيس الوحـدة ، على شكل نسبـة مئوية من عمـولات الوكلاء العاملين في تلك الوحدة أو الوكالة (Commission)	عمولة خاصة	Override
الحـــد الادنى المتفق على بيـعه بين الشركة والوكيل / البائع .	حصـــة	Cuota
اسـتمرار سـريان الوثيقـة بفضـل المثابرة على دفع الاقساط .	استمرار	Persistency

التعريف	المصطلح العربي	المصطلح الانجليزي
جزء من مقابلة البيع يتم فيه عرض التأمين على الحياة بوصفه الحل المثالي لمشكلات الزبون المرتقب .	عرض	Presentation.
	زبون مرتقب	Prospect
البحث عن الزبائن المرتقبين .	تنقيب	Prospecting
وثيقة تأمين بتعرفة أعلى من التعرفة العادية لاسباب تتعلق بالوضع الصحى أو المهني ...الخ للمؤمن له .	وثيقة أعلى تكلفة	Rated Policy
تجنيد الوكلاء لبيع التأمين .	تجنيد	Recruitment
اشخاص من مناصري التأمين ، يرشدون الوكيل الى الزبائن المرتقبين.	مرشدون	Referred Leads.
الطلبات التي تقدم للشركة قبل دراستها ، وقد تكون مصحوبة بكامل القسط او بجزء مقبول منه .	طلبات مقدمة	Submitted Business
المبلغ الذي يدفع لصاحب الوثيقة (تأمين عادي لمدى الحياة أو مترتب) لدى تسليمه وثيقة ...	قيمة التصفية	Surrender Value,or Cash Surrender Value

التعريف	المصطلح العربي	المصطلح الانجليزي
... التأمين للشركة بقصد تصفيتها قبل تاريخ استحقاقها او وفاة المؤمن له .		
الدائرة المعنية بتقدير الخطر وتقييمة وتصنيفه ومايتبعة من انتخاب بمقتضى الاسس والانظمة المرعية .	دائرة التقييم	Underwriting Department.
	يعقد صفقة	Write An Application (a policy)